الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة
في
المملكة العربية السعودية

أ. د. مسعد بن عيد العطوي

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

من إصدارات نادي القصيم الأدبي ببريدة

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية

تأليف

د. مسعد بن عيد العطوي

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

من إصدارات نادي القصيم الأدبي ببريدة

ح نادي القصيم الأدبي ، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

العطوي ، مسعد بن عيد

الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية

٠٠٠ ص ؛ ٠٠٠ سم

ردمك ٥-٩٠- ٦١٩ -٩٩٦

١- السعودية - القصة العربية القصيرة - نقد أ - العنوان

ديوي ٨١٢،١٩٥٣١ ١٥/٣٢٧٢

تم الصف والأخراج في نادي القصيم الأدبي ببريدة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُقدّمة

الحمدلله وبه نستعين وعلى رسوله محمد بن عبد الله أفضل الصلاة والتسليم وبعد:

لم تتجاوز تجربتنا القصصية في المملكة العربية السعودية نصف قرن ، وإن كانت الأقصوصة في الأدب قد احتلت مساحات شاسعة في الأدب العربي القديم، وكانت تجمع بين المتعة والمنفعة ، وإن نبعت الأحداث من الأشخاص في غير إرادة فنية أو تأطير جمالي ولكنها تؤدي وظيفة منفعية غير مقصودة ذات توجيه عميق وتأثير فاعل تؤدي إلى غرس القيم وما أشد فاعليتها .. بل ذلك ما تبتغيه القصة الحديثه في شتي أشكالها فهي تنأى جاهدة عن التوجيه المباشر .

والحكاية في القديم ، رصدت الأقوال والسلوكيات من واقعية الحدث ، أما اليوم فنبعت من إرادة البناء الشكلي ، تطرح الأحداث لهدفية مخصوصة ، والقصة الحديثة قد وظفها الأدباء لغاية مضمونية ، وفنية ، ليودعوها تجاربهم النفسية ، وتعددت أشكالها ، أما القديمة فلم يتعرض المنظرون الأوائل لبنائها الفني إلا إذا ضممنا إليها فن المقامات في القرون المتأخرة .

ومن خلال رصدنا لفاعلية الأقصوصة في بلادنا وانتشارها وتأثيرها والمقارنة بين تاريخ كتابة الأقصوصة والإنجازات الحضارية ، تبين لنا أنها صحبت التطور الحديث فى عهد النهضة ، واستوعبت المتغيرات الفكرية والاجتماعية، فكانت تطرح القضايا وتنشر الوعي وتستغرق الأحداث وتتطلع لمستقبلها .

ونتيجة لتجذرها ، وتنامي أصلها وتمدد أغصانها واستشراف الناس لظلالها وأزهارها ، فإننا ندعو إلى أن تكون وسيلة تبث القيم الإسلامية والقيم الإنسانية ، والتمكن العقلاني ، والمنهجية العلمية والسلوكية وتطور الملكات

والمواهب ، ومعالجة الحاضر بإيمان وموضوعية وراصدة لتطلعات المستقبل

ونحن وإن احتضنا الفنون الأدبية المعاصره غير أننا « ننبه الأذهان أننا عندما نفتح نوافذنا وأبوابنا على مصرعيها ليدخل الينا منها هذا التراث الإنساني الكبير لا يعني ذلك أننا سنترك هذه الأبواب وهذه النوافذ مفتوحة للشوائب الضارة أو للهواء المسموم ،فمن هذا التراث الإنساني ماهو صالح لنهضتنا الحديثة ، ولتكويننا الجديد ، ومنه ما هو غير صالح ، كما أن الهواء منه ما هو خليق أن يجدد من خلايانا ، وأن يبعث إلى أجسادنا حركة دائبة وروحا وثابة خلاقة ، ومنه ما هو ريح صرصر عاتية تقتلعنا من جذورنا ، وتخرجنا من أرضنا ، وتزلزل من عقائدنا الراسخة الأصلية »(١) ومن هذا الهواء ما هو ملوث يفتك بالخلايا ويفسد الأجسام والعقول .

وعندما نقف أمام القصص السعودي نجد أنه تأثر بعوامل رئيسة صحبته في رحلته وتلاحمت معه وهي :

١) الناحية الدينية ، فلها تأثيرها ، حيث تدعو الكتاب إلى الالتزام الفكري والسلوكي ، وتدعوهم إلى الواقعية في طرح القضايا ، وبعدهم عن الخيال الذي يؤطر عناصر التشويق المنحرفة ، وتنأى بهم أيضا عن المجاهرة بالشذوذ الفكري والسلوكي والجنسي .

٢) عدم التوتر ، فالأمن والاستقرار ، وتوحيد فكر الأمة ، وعدم الثنائية وفقدان التناحر الفكري وجدله يدعوهم إلى الطرح بيسر وسهولة .

٣) الرغد والرفاه الذي تعيشه البلاد ومجتمعاتها ، فليس هناك معاناة عوز ، وليس هناك صراع مادي ولاثهب أو طبقات مطحونة ، ومن هنا يفقد الأديب المعاناة النفسية التي ينزف منها تجاربه فلم نجد في المرحلة الأولى قصصا ذاتيا يوحي بالحيرة والحرمان والاضطراب النفسي ، أو قصصا يتحدث عن المغامرات الذاتية ، وليس معناه فقدان العمق الشعوري في الأقصوصة لدى القاصين والقاصات لكن الأمر يعود إلى نسبية المعاناة ، فالمعاناة الذاتية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتأصلة في نفس الأديب والملاصقة له في استمرارية أكثر تأثيرا من المعاناة بقضايا اجتماعية عامة .

٤) ثم جاءت مرحلة الاضطراب نتيجة لتفاعل أبناء الوطن مع الأحداث الإسلامية العربية التي تأثرت بالموجات الفكرية ولفحها للمبدع من كل صوب وتأثر بالحروب غير المتكافئة ، والمجاعات والكوارث ، التي أثقلت العالم الإسلامي فانداح القاص في معمعة الحيرة التي تمور بنفسية الفرد المعاصر .

وقد عنيت بالأقصوصة منذ زمن أقرأ وأرصد حركتها ، فكان لي تواصل مع القصة الحديثة والمترجمة والأقصوصة السعودية ، الأمر الذي يشدني إليها بين الفينة والأخرى ، وقد شرعت في قراءة الكتب التنظيرية عن الأقصوصة في العالم العربي ، وأردت أن أجد لها مثيلا في الأقصوصة السعودية ، غير أنني لم أعثر إلا على اليسير، الذي يضيء ولايكشف عن الحقيقة ، ولا غرو في ذلك فالموضوع متشعب الاتجاهات ، حديث العهد ، فالكثافة فيه وتنوعه لم تتجاوز خمس عشرة سنة ، والأبحاث التي تناولته قليلة ، فلابد أن تكون هناك جوانب تحتاج إلى مزيد من التنقيب والإضاءة والإثارة ، ذلك ما دعاني لدراسة الأقصوصة من جانبيها المضموني والشكلي ، لاعتقادي أن الفن الأصيل هو الذي يجمع المنفعة والمتعة معا ، فالمتعة وسيلة لنفث الفكرة ، وخير وسيلة لإدراك التلاحم بينهما ، هي دراسة المجموعات القصصية فهي تبلور الشكل والمضمون وتعطي عملا فنيا متكاملا .

وقد كتبت فصلا عن القصة القصيرة في المملكة ، أوضحت فيه تطورها الفني والفكري في ثلاث مراحل ، ثم تحدثت عن لغة القصة ، وبنائها الفني ، ثم عن الاتجاهات العامة التي تتمثل في السرد والتقرير، والتفتيت والإيحاء ، والرمز ، ثم شرعت أدرس بعضا من المجموعات القصصية ، فكان هدفي في الدراسة أن أستجلي مقومات الفن فيها ، واستبين استشراقاتها وجمالياتها

كاشفا عن غاياتها ومضامينها ، وتواصلها مع المعتقد أحيانا ، ثم أختم الحديث عن المجموعة بما يمثل الرأي النقدي حولها .

ولكي أحقق ذلك بدا لي أن أنتهج منهجا يتميز بالشمولية ويدرس الأقصوصة من الجوانب الآتية ما أمكنني ذلك :

١ ـ البعد الاجتماعي : أطرح فيه علاقة المجموعة بالمجتمع والقضايا التي تناولتها .

٢ ـ البعد الزماني : أحدد فيها زمان أحداث الأقصوصة وزمان كتابتها وتأثير الزمن فيها .

٣ ـ البعد المكاني : أتناول فيه تحديد المكان وأثره على المجموعة القصصية وأحداثها وطرح قضاياه .

٤ ـ الشخصيات ، من حيث فاعليتها وتطورها وفق الأحداث وتناميها مع الزمن ، أو المعرفة وتأثرها بالمكان، ومدى وعيها وسطحيتها ، وأشير إلى علاقة الأسماء بالمكان والأقاليم .

٥ ـ اللغة ، من حيث سهولتها وفصاحتها ، وشعبيتها ، وهل يستعين القاص بالعامية أم يعرض عنها جانبا .

٦ ـ الحوار وأثره في تجسيد الغاية ، وملء الفراغات والفضاءات التي تستوجبها القصة القصيرة .

٧ ـ البناء الفني للقصة القصيرة ، أي كيف تكون المقدمة والاستهلال وعرض الأحداث وهل تكون سردية أو تقريرية ؟! أم عن طريق التكثيف والإيحاء ، وهل يصرح بالخاتمة أم يتركها لوعي القاريء ، وقد أشرت لتوظيف القصاص لعملية الترقيم والتقسيم أيضا .

المؤلف

الرياض ١٤/١٠/١٤١٤هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

الدراسات السابقة : حول القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية

١- (فن القصة في الأدب السعودي الحديث) تأليف الأستاذ الدكتور/منصور إبراهيم الحازمي ، وقد خص القصة القصيرة بفصل من فصول الكتاب وأودع الكتاب بعض النماذج القصصية .

والكتاب لا يتناول تاريخ الأقصوصة بالاستقصاء ، وإنما تعود أهميته لما ضمنه من الآراء التي صدرت عن مؤلف قدير ، وكاتب مطلع على تطور الأدب في بلادنا ، وقد واكب النهضة الأدبية وبلورة فنونها ، وله علاقة حميمة مع رواد الأدب في بلادنا ، وهو أستاذ في جامعة عريقة هي جامعة الملك سعود ، وله الحضور المتواصل مع الندوات الأدبية ، لهذا فإن الكتاب يمثل إضاءة لسالك سبيل البحث في هذا الميدان .

٢- (البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة) دراسة نقدية تحليلية ، تأليف الدكتور نصر محمد عباس ، يؤخذ على العنوان أنه لم يحدد القصة القصيرة مع أنه لم يتجاوزها إلى غيرها ، وتحدث عن البناء من خلال الشخصية وأنواعها فقط مع أن الشخصية عنصر من عناصر الأقصوصة ، وقد أتى بالضوابط والمقاييس المنظرة للشخصية وقاس بها شخصيات القصص السعودي .

وفي تحريره وتحديده لفكر الأقصوصة يرى د. نصر محمد عباس أن الشباب طرأت عليهم النظرة المتحيره المتأزمة القلقة المضطربة " وكان فنان الكلمة في مجال القصة السعودية يعاني ، ويحس بوطأة الترقب والقلق ، وكان قلقه

انعكاساً وتجاوباً مع قلق أعم وأكثر حده ، جاءت معظم انتاجات القصة السعودية القصيرة من خلال هذا كله ملتصقة بباطن الإنسان ... وقد أعطى معظم قاصي وقاصات المملكة كل اهتماماتهم بغية تجسيد هذا البعد النفسي" (٢)

وفي هذا تعميم ينأى عن الواقعية ويسقط الاعتدال ، فالقصة القصيرة في السعودية قد استوعبت المناهج الفنية العالمية عن طريق الترجمة ومواكبة التنظير وعن النهل من الأدب الغربي مباشرة لإدراكهم اللغات ، وتواصلوا مع اتجاهات الأقصوصة في العالم العربي ، فاتضحت تلك الاتجاهات عند الكتاب السعوديين ، والكتاب والكاتبات وإن شاكلوا كتاب العالم في شكلانية القصة القصيرة ، غير أننا عندما نسبر الأغوار النفسية ، نجد أن الشريحة الكبيرة منهم تواصلوا مع المجتمع فتحدثوا بواقعية عن قضاياه وطرحوها طرحاً موضوعياً أحياناً وملتزماً أحياناً أخرى في أساليب شتي، إلا أن هناك عددا قليلاً من القصاص والقاصات يظهر القلق والتأزم في أسلوبهم ، ومنهم من يكون مصدر الجنوح عنده نابعاً من انحراف في تفكيره وعدم رضاه عن واقعه وهذه الفئة قليلة ، ومنهم الذي أغرم بالشكلانية المستحدثه فانتهجها نهجا ، تحت تأثير هيمنة التنظير وذلك لأننا عندما نجيل البصر والبصيرة في أعمالهم الأدبية لا نعثر على ألفاظ نابية تمس المعتقد ولا تمس الأسس الاجتماعية والتركيبة الأسرية .

وكتاب الدكتور نصر عباس انتقد بعضاً من النتاج الفني بما يحتويه من فكر متطرف وأسلوب متباعد عن المنهجية " إن بعض هؤلاء القاصين والقاصات تطرفوا في تناولهم هذا وانساقوا إلى متاهات التعبير السيريالي الذي أفقد القصه إطارها الأساسي ، بل أضعف من الصلة بين المتلقي وبين الفن المطروح باعتباره مجال تجارب وتفاعل وإحساس صادق بالمعاناة ، ومحاولة مؤثره لاجتيازها ، بيد أن بعض أعمال كتاب القصة الرمزية ، استطاعوا أن يشكلوا قصصهم بقوالب رمزية لا تلتزم بتقليدية البناء لكنها بقيت متحركة في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إطار الفن القصصي الذى يعطى معادلا للواقع المعاش وموازيا له ، لا يفقد معه المتلقي الصلة بذاته أو بالآخرين " (٣).

٣- " القصة القصيرة المعاصرة فى المملكة العربية السعودية ، دراسة نقدية " تأليف الدكتور محمد صالح الشنطي .

الكتاب يتناول الأقصوصة السعودية من حيث البنية التنظيرية الحديثة للأقصوصة ، وأخذ يعالجها بمنظار مستحدث ، وتجاوز الاصطلاحات النقدية التي درج عليها المنظرون العرب ، ومال إلى النقد الإبداعي الذي يقوم على الإنشائية والتواصل مع النص وانصهارهما ، مما أفقد بلورة المضمون والأفكار في صراحة ووضوح .

وهو أيضا يفتقد البعد الاجتماعي الذي يتواصل مع المحلية ، والفن يهدف إلى المتعة والمنفعه فأعرض عن المنفعة والالتصاق بالواقع الاجتماعي .

والمؤلف يتحدث عن تواصل الكتاب بالمملكة العربية السعودية بهموم العالم العربي في حديث مقتضب يمثل الاتجاه التنظيري الذي واكبه المؤلف .

والشنطي أكثر الكتاب متابعة للقصة السعودية ، فله أيضا (فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر) ، وله عدد من المقالات في الصحف السعودية عن القصة .

٤ - (القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية) . تأليف / سحمي ماجد الهاجري صدر عن النادي الأدبي بالرياض ، وقد جعل حدود البحث من النشأة حتي عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

وأصل الكتاب رسالة جامعية ، تميزت بالبحث الجاد الذى يواكب نشأة الأقصوصة في المملكة العربية السعودية من واقع المصدر الأدبي الأول في البلاد ، ذلك هو الصحف والمجلات ، مثل أم القرى ، وصوت الحجاز ، والبلاد السعودية ، والمنهل ، وعرفات ، والرائد ، وقريش .

وقد رصد النتاج القصصي ، ووضع له كشافا ، وأبان عن التوجهات النقدية ورصد القوالب الفنية لمرحلة النشأة والمرحلة التي تليها حتى عام ١٣٨٤هـ .

وهو يقول في نتائج بحثه وخاتمة رسالته " ورصد بداية الحركة الأدبية التي تخلقت فيها القصة القصيرة ، وتتبع مصادرها في هذه المرحلة ، وناقش الآراء التي تعرضت لمسألة العلاقة بين المقال القصصي والقصة القصيرة ، كما قدم أهم الملامح لأوائل المحاولات القصصية ، وبين بعد ذلك الأثر الهام الذي أسهم به الوافدون في كتابة القصة القصيرة في المملكة ، ثم حلل القصص القصيرة التي نشرها كتاب سعوديون في هذه المرحلة ورصد علاقاتها بالواقع ومدى تفاعلها معه " (٤) .

وفي الباب الثاني درس البحث المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية ، والتي انتشرت فيها القصة القصيرة وتنوعت مواضيعها وفي الفصل الأول من هذا الباب تبلورت المؤثرات المباشرة التي ساعدت على انتشار القصة القصيرة كالصحافة ، وصدور المجموعات القصصية ، وترجمة القصص ، والنقد القصصي ، وكذلك تتبع البحث تطور المفهوم ، وتنوع مضامين القصص التي شكلت قسمين كبيرين أفرد لهما الفصل الثاني ، أحدهما مثل مرحلة انتقالية اهتم الكتاب فيها بالمضامين على حساب الشكل ، والثاني مثل فترة التطور نحو الصياغة الفنية لدي الكتاب الذين حافظوا على التقنيات المطلوبة لكتابة القصة القصيرة (٥) .

وأزعم أن الكتاب يمثل الحلقة الأولى من الدراسة للأقصوصة السعودية التي يجب أن تلحق بها دراسات مماثلة ومتأنية وراصدة لتفاعل الحركة ، ومكملة لبناء البحث العلمي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القصة القصيرة :

يعرف صاحب المعجم الأدبي القصة بأنها :((أحدوثة شائقة ، مروية ، أو مكتوبة يقصد بها الإمتاع أو الإفادة))(٦) . وقد عُرفت بأسماء عدة في التاريخ العربي منها : الحكاية ، والخبر ، والخرافة .

ونستوحي من هذا أنها تميل إلى القصر ، بخلاف التعريف الحديث لها الذي يشير إلى طولها : ((فهي مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب(٧) . . .أو حوادث يخترعها الخيال)) (٨) أو تمازج هذه وتلك .

ويشير عبدالنور إلى ان القصة مرادفة للرواية ((وانزلها الكتاب ومؤرخوا الأدب أيضا في مكان الرواية ، ونظروا إلى الكلمتين على انهما تدلان على فن واحد ، واختلطتا في العبارة الواحدة لدى معظمهم ، حتى إن احدهم يتكلم عن الرواية فتبادر كلمة القصة إلى لسانه والعكس صحيح))(٩) .

الأقصوصة :

يفرق صاحب المعجم الأدبي بين الأقصوصة والحكاية ، ويرى أن الأقصوصة ((مركزة على حادث فرد ، فتدرس أبعاد النفسية ، وعلى شخصيات قليلة العدد ، ليست رموزا أو كائنات خيالية)) .

((وهي تتطلب الإيجاز ، والانتقال السريع في المواقف)) .

((وكان لشيوع الصحف والمجلات أثر بارز في الإقبال على الأقصوصة ، والصحافة تطلب سبيل الإمتاع والإفادة معا بمعالجة القضايا الفلسفية ، والسياسية والاجتماعية من خلالها بأسلوب أقرب إلى أذواق القراء من الأسلوب الصحافي المباشر))(١٠) .

وهذا التوصيف يشير إشارة جازمة إلى أنه يعني القصة القصيرة ، ويدعم هذه أنه لم يورد تعريفا للقصة في معجمه .

وأبو حاقة يصرح بأن ((الأقصوصة قصة قصيرة ، تعنى بحادث واحد ، وتركز عليه كل اهتمامها ، وتنصب لإيضاحه واستنتاج ما يمكن أن يستنتج منه، وهي تتطلب كل مقومات القصة الفنية)) (١١).

وصاحب المعجم الأدبي يفصل بين الأقصوصة والحكاية، ويرى أن الحكاية((فن في غاية القدم ، مرتكز على السرد المباشر المؤدي إلى الإمتاع والتأثير في نفوس السامعين ، يتخذ موضوعا له الأشياء الخيالية والمغامرات الغريبة ، وقد يعنى بالأمور الممكنة الوقوع أو الأحداث الحقيقية التي يعدل فيها الراوي ، ويقحم فيها أمالي خياله وإحساسه))(١٢) .

ويرى أنها تختلف عن الأقصوصة ((بأنها تكثر من الأحداث والمغامرات، وتتسع في البعدين الزماني والمكاني ، ومع ذلك فهي عادة أوجز من القصة لاعتمادها على التبسيط ، وقصدها المعنى الرمزي ، متحاشية الخوض في التفاصيل ، لتبقى بعيدة عن واقع الحياة العادية .. وتكون شخصية البطل فيها شاحبة الملامح)) .

وللحكاية أنواع ((الحكاية الغربية المثيرة للخيال ، والواقعية ، والماجنة ، والأسطورية)) .

وهي بهذا تتميز عن الأقصوصة ((القصة القصيرة)) غير أن الحكاية تلتقي مع الأقصوصة أخيرا عندما تتجه في الأدب المعاصر ((نحو الواقعية المستقاة من الحياة نفسها))(١٣) . ونتيجة لهذا فإن بعض الكتاب يرى أن القصة القصيرة هي تطور للحكاية (١٤) .

ومن هذا المنطلق فإني أرى تقارب هذه المصطلحات وترادفها لاسيما وأننا افتقدنا حكاية المغامرة في أدبنا العربي المعاصر ، ومال الكتاب إلى الواقعية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الأول

مراحلها

- المرحلة الأولى
- المرحلة الثانية
- المرحلة الثالثة

الاتجاهات
للقصة
في المملكة العربية
التقنية
القصيرة
السعودية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المرحلة الأولى:

الأقصوصة لون أدبي احتل مساحة كبيرة من قراءة القراء ، وتأليف المؤلفين لقدرته على مواكبة المتغيرات ، وإدراك معطيات العصر ، ووعي توجهاته ومفاهيمه ، والقادر على إيصاله إلى القيادة الفكرية والسياسية ، وتأثيره في الجماهير الشعبية بوسائله الجذابة من تتابع أحداث وحوار وعناصر تشويق ، وسلاسة لغته ، وشعبيتها ويسرها ، ومحاكاته للنفس الإنسانية ، والإنسان يقرأ القصة في كل زمان ومكان ، والأقصوصة أدنى الثمار الفنية وأقربها وأيسرها .

وقد أودعها الأدباء مشاعرهم وتجاربهم ، وعالجوا فيها قضاياهم ، وألبسوها حللا شكلية جديدة النسج متطورة ، والأديب في السعودية جزء من هذا العالم المتواصل الفكر ، وفي مستهل نهضة المملكة العربية السعودية بادر الأدباء بتوظيف هذا الفن لتنمية النهضة ، وبناء الحضارة ، وبث الوعي الاجتماعي، وطرح الفكر النير ، وبناء الفرد ومجتمعه ، وكشف القضايا ، وتمخضت القصة عن معاناة الكاتب المتلاحم مع بيئته وأمته .

اهتم الأدباء الأوائل بالمملكة العربية السعودية بالفن القصصي مبكرا فاستهلوه فيما يقارب عام ١٣٥٠هـ واستوعبوه قراءة لكبار الأدباء العرب مثل أحمد شوقي ، وعلي باكثير الذي له صداقات مع أدباء المملكة حيث أشرف على طبع أول كتاب صدر عن الأدب في نهضته المعاصرة وهو (وحي الصحراء) ، ونهلوا من القصص العالمي المترجم كما يشير إلى ذلك الأديب أحمد عبدالغفور عطار في مجموعته (جحا يستقبل نفسه) ولم يقفوا عند هذا فحسب ، بل ترجموا القصص القصير لكبار الكتاب ونقلوه ، ومن هؤلاء العطار في مجموعته السالفة الذكر .

وبادروا إلى توظيفها توظيفا اجتماعيا ، فانشأوا الشكل القصصي ، وكان الرواد في ذلك أحمد السباعي ، ومحمد حسن عواد ، وأحمد عبدالغفور عطار ، وعبدالوهاب آشي ، ومارسها الرعيل الأول والثاني مارسوها مبكرين وهم تلامذة في مدارسهم ، ونشروا نتاجهم في مجلة (الحائط المدرسي) وقرأوها في منتدياتهم ، الأمر الذي صقل منهم كبار الأدباء ، وأتاح لهم طرح قضاياهم الفكرية بأسلوب قصصي ٠

وتظهر القصة عند محمد حسن العواد في كتابه (تأملات في الأدب والحياة) الذي كتب مواده بين عام ١٣٥١هـ ــ ١٣٥٥هـ ، فأودعه أربع قصص هي الشيطان العاشق ، والهولة ، ولميس ، وهلدا (١٥) ، والقصة الأولى مستمدة من التراث من كتاب (تزيين الأسواق) للأنطاكي ، فاختارها ((نسجا فنيا تلقيحا للادب الجديد بالادب القديم)) (١٦) ٠

والقصة تمثل الحكاية التراثية التي تستقطب العامة حيث الشيطان يتمثل في صورة زوج (عائشة) ثم يمتطي الإنسان الشيطان ليسترق السمع فيعود سالما، وتخلوا من معالم بناء القصة المتزامن مع فترة تأليفها ، وفيها تقرير يخرجها عن الإيحاء القصصي ، لقوله ((دارت هذه المحاورة في غرفة النوم))(١٧) فالأولى وصف المكان لا التصريح الواضح ٠

ومن الحكايات الخرافية قصة (الهولة) التي تحكي سقوط الفتي القبيح ثم الكلب في البئر فتاتي الفتاة الجميلة لتنقذهما ليلا خشية الفضيحة فتسقط معهما فيرغم الأب خوفا من انكشاف أمر ابنته على أن يزوجهما (١٨) ٠

وقصته الثالثة (لميس) تحكي حوارا تاريخيا في مجلس الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك ، والقصة هادفة حيث ترمز إلى عظة وعبرة من دروس التاريخ يطرح للقاريء الواعي ويتكلف ذلك كثيرا ، يحكي على لسان سليمان (ماذا سيكون حديث الناس عني من بعدي إذا انا قصرت فيما يرضي حاجات الأمة والبلاد ، ويحقق مطامح هذا الشعب العربي الحي ؟ أنا راع مسؤول عن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رعيتي وعلي واجب كبير هو أن أتحمل المشقات وأصفح عن الأخطاء ، وأنفذ الرغبات الكثيرة ...) (١٩) ، فكأنه يخاطب المسؤولين المعاصرين له .

وقصته الرابعة (هلدا) مستمدة من التاريخ الأنجليزي ، فهي فتاة مغامرة التحقت بالجندية ، وهو من خلال هذه القصة يريد أن يجعل للمرأة دورا ، وهدفه هذا يصرح به من خلال تعليله للوحدة الموضوعية لقصصه ، يقول :(هذا ملخص الهيكل الذي بنيت عليه هذه الأقصوصة في أسلوبها المبسط ، وهي أقصوصة ضمنية أدمجت في ثنايا قصتنا الكبيرة (طريق الخلود) على انها مكتوبة بقلم (نانا) بطلة قصة طريق الخلود ، كما أن أقصوصة (لميسا) هي الأخرى ضمنية مدمجة في تلك القصة الكبيرة على أنها مكتوبة بقلم بطل القصة(م...) زوج نانا .

والحديث عن قصة (طريق الخلود) لايتسع له مجال هذه الصفحات ، وحسب القاريء أن يعرف أنها قصة كبيرة اجتماعية ترمي إلى إصلاح المجتمع عن طريق المراة المهذبة ، وربما اتيح لنا أن نطبعها وحدها ـ طبعا ـ في مجلد أو مجلدين (٢٠) .

والواقع أن بناء القصص في مستهل الحياة الأدبية ، اعتمد على اقتفاء الأثر ، ولم تكن له عوامل مساعدة من التنظير ، مما أخفى كثيرا من معالم القصص أمام الكتاب أنفسهم ، وقد اعتمدت القصة في فجرها على الأحداث التاريخية ، أو الحوادث القريبة العهد ، فاستمد الكتّاب منها مضامينهم ، غير أن القاريء يجد العلاقة بين ذلك القديم والواقع الجديد الذي يمس قضايا يشعر بها القاريء ، وتنكشف له ، وتستدعيها خواطره أثناء قراءته للقصص ، كمعالجة قضية السجون في مجموعة (خالتي كدرجان) لأحمد السباعي ، والقاريء لها يشعر بالمأساة ، وكون السجن مدرسة لصقل مواهب السجين ، وزيادة مهارته ، وتشجيعا له من قبل عتاة الإجرام ، ومازالت القضية ملحة في الزمن الماضي ، وحاضر أحمد السباعي والمستقبل .

وعندما نجيل البصر والبصيرة في المفاهيم التي كونت ذهنية الأدباء الأوائل نجدها خالية من بذر بذور القصص وزراعته في تكوينهم الأدبي ، ومن هنا فإننا نعذرهم لاقتحامهم هذا اللون ، فإنه طاريء عليهم وإن رغبوا في تسخيره مما جعلهم يقفون عند حد البداية والاستهلال ولم يتطور الفن على أيديهم كثيرا ، بل هم أنفسهم لم يدعوا إلى ممارسته ولم يكشفوا عن تنظيره .

وقد امتاز كتاب الجيل الأول بالوعي المتكامل حتى هيمن عليهم ، فجعلوا القصص وسيلة لبث هذا الوعي ، فكان قصصهم وعظا وإرشادا اجتماعيا ، وكان الوعي عند كاتب القصة أكثر منه في شخصيتها أو بطلها ، ويظهر هذا جليا في قصة (على ملعب الحوادث) لعبدالوهاب آشي المنشورة في كتاب (أدب الحجاز) جمع محمد سرور الصبان الذي طبع عام ١٩٢٦ م ، يقول آشي في قصته : (يا أبتاه ! هرمت فهرمت جيوش نصرتي ، ووهت قوي أبطالي ورجالي ، تهدم عزمك فتهدمت هياكل تقديسي ، وانفضت معابد آثاري ، وانهارت مساجد تتلى فيها أبلغ الآيات .

يا أبتاه ! إن كنت في كفالتك ناعمة البال ، رخية العيش ، هنيئة قريرة ، تقسو علي لأزدجر ، وتنهرني لأنتهر، وتبتسم لي عند الرضا ، فتملاء جوانحي سرورا وتفعم قلبي املا نظيرا .

ياأبتاه ! رددت عني في غضارة حياتك ، وعنفوان شبابك كيد الخائنين ، وقمعت أيدي العابثين ، ونابذت خصومي ، وقاهرت أعدائي ، وما هي إلا جولة جللت ناصيتك بخيوط الكفن ، ورمت عزمك بالوهن ، وأصبحت والدهر على طرفي نقيض ، وشاءت الأقدار بأن تغيب عني ، وتنسل مني ، وتلحد في جوفي، فما فتحت عيني في صباحي إلا تبدلت الوجوه علي ، وعدت وليس لي من حقي شيء (٢١) .

والأقصوصة تبدو عليها سطحية الفن القصصي ، فقد أراد أن يرمز للحجاز بفتاة تستغيث بأبيها الذي يمثل ابن الوطن ،لكنه لم يلبث أن صرح بهذا الرمز:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ياأبتاه ! انعزلت في هذه الناحية النائية ، وقبعت في كسر دارك الأخيرة المنزوية وبقيت وحيدا بين من تركني بينهم ، فازور جانبهم عني رويدا رويدا، وعدل الكل عن سبيل إصلاحي ، وتنكبوا جادة شرائعي وحصبوني وشتموني وألحقوا بذاتي كل نقص وشين ، وأنا مقر (مصباح الهدى) وقلبي مثوى (الكتاب المشرف) أنا (الحجاز) (٢٢) .

والقصة متأثرة بالتراث الذي يعتمد على السجع ، وقوة العبارة ، وخطابيتها أكثر من كونها فيضا شعوريا على شفير ذلك المزدان بصفحات الرمال ونواتيء التلال ، وقفت وفي يدي (عصا وسبحة) وعلى رأسي (عمامة وجبة) وهي كل ما اخترته من ميراث أبي وأمي ، وخالي وعمي ، تلفت يمنة ويسرة (٢٣) .

والقصة القصيرة ، في العهد الأول في المملكة العربية السعودية ، لم ترتكز على دعائم فنية ، لكن الأدباء يلتمسون أسلوبا فنيا لحكاياتهم ، التي يحرصون على تركيبها وتأليفها ليودعوها الأفكار المراد بثها ورواجها ، وتقوم معالجتهم على العقلانية البحتة ، وجعل الشخصية الرئيسة في القصة عقلانية تتحرك بمنطقية مزدوجة تتجه نحو الخير أحيانا وإلى الشر ، وغالبا ما يختارون لها موضوعات ذات علاقة بالإنسان في كل زمان ومكان لتكون أكثر عبرة ، فعبدالله عريف الكاتب المشهور ، يحاول طرح فكرة تعليم الفتاة ، وتطوير المدارس ، وإنشاء الجامعة ، فيجعل الأفكار تصدر من (فتى عرفته فزعا يفزع لأقل المصائب ، ويتصبب جبينه عرقا لأصغر المواقف ، وترتعش أعضاؤه لأقل الأحداث ، ويجلس إليك فلا تكاد تشعر بجليس معك ، وتحدثه فيقتطف الكلام اقتطافا ، يخشى المجالس فلا يدخلها ، ويحذر المواضع فلا يقف عندها (تضطرب شفتاه دوما بشيء لا يعدو أن يكون تسبيحا ٠٠٠) ٠

لكن التعليم والعلم والإطلالة على الغير وممارسة الحوار قد كونت منه شخصية ذات طموح ، صقلها الامتزاج والتلاحم مع منتديات الجامعة ، فتمثل له هاجس

الوطنية ، وتحدث عن الصحافة ، وتعليم الفتاة (فأدهش إذ يسألني عن المدرسة الحجازية وعطلتها المدرسية ، وماذا يشتغل الأساتذة والتلاميذ أثناء العطلة؟! وهل انقلبت إلى جامعة كبيرة تضم بين جدرانها كليات عدة؟! . . .والشيء الكثير يسألني عنه ، ثم يختتم كتابه فيقول :

((كل هذا شغل تفكيري ويجعل مني رجلا قلقا لحال أمتي ، فجد بتصوير الحقيقة التي تمثل للعيان ، وهنا يرد العريف ردا بما يعتمل في ذاته :

هون عليك ياابن أبي ما بلادك بالتي ذكرت ، وما المرأة الحجازية بالتي ظننت إن بني قومي لايقنعون بوجوب تعليم المرأة ، لأنه يعوزهم التعليم الصحيح ، وهم لايرون معك ضرورة تعليمها ولو شؤونها المنزلية ، وهم لايذهبون معك في وجوب تكوينها تكوينا تدريجيا ، وهم بعد ذلك يطالبونك بالإقلاع عن مثل هذا التفكير ، فأحذر أن يرموك بشيء هو السفه والجنون ، وربما الإلحاد))(٢٤).

وبعد نقده للمدارس وأسلوب التعليم فيها واستمطاره لفكرة الجامعة ، فإنه يختم القصة بما يوحي بأهمية التعليم (وأنت أيها الصديق الزميل أي شيء هذا الذي أسمعه منك وقد كنت فرقا تكره المرأة وتعليمها ، والجامعة وخريجها ، والصحافة وأصحابها : أظنه التعليم وحده خلقك خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (٢٥) .

وهكذا نجد أن الأدباء وظفوا القصة في معالجة قضايا ملحة للمواطن والأمة وطالبوا فيها بأسلوب فكري حضاري ، فنالوا حظا ، وفتحوا الآفاق للمجتمع وصحوته وتعاون الفكر الواعي المدرك والعمل الإداري ، فقامت نهضة تمخضت عنها حضارة اليوم بتوفيق الله .

وقد تناول الكتاب في قصصهم القصيرة مضامين أسرية كقصة(البائسة) للشاعر الأديب حسين عرب ، التي تحكي ابنة أحد الأتراك الذي مات والدها فسطا عليها أبناء عمومتها وسلبوا مالها وحليها ، فعانت من الغبن والاضطهاد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والظلم حتى ماتت بعد زمن يسير ، وهو يصفها بلغة أدبية ذات قوة وجزالة في قصته التي كتب تحت عنوانها (قصة حجازية يمتزج خيالها بالواقع)(٢٦) يقول في مستهل قصته :

(بينما الليل مرخ سدوله على البشر ! والدنيا هادئة وقد كساها الظلام وخيم عليها والنوم يرسل جيوشه على الأجسام فيميتها ، والكون ساكن لايحركه شيء ولا نسمع منه شيئا إلا صوت تلك البائسة العذراء ، المنكوبة الحسناء ، ذلك الصوت بأنينه الذي يطرق القلوب كأجراس الناطق فيثر منها ساكنها ويوقظ غافلها) (٢٧) .

وبعد تحليل من الكاتب للمشهد تتحدث الشخصية في القصة بجهد جهيد (أنا ابنة زكي فاضل التركي الكبير رفلت في بحبوحة من الأنس والسعادة ، وعلى بساط من الفرح وطيب المعيشة . ولما قضت المنون على والدي وقد خلف لي ثروة طائلة .. ما كاد يوارى في لحده ، حتى انقض علي أبناء عمي كالذئاب الغادرة ، فسلبوني كل ما أمتلكه من نعمة وما أدخره من المال والحلي، ولقد تجاسروا بقساوتهم فأخرجوني من داري التي أسكنها ، ورموا بي في السبل والأسواق ، أستعطف المارة ..) (٢٨) .

وقد سجل محمد علي خياط أثر التربية السيئة والدلال المفرط في قصته (لقاء غير منتظر) فالأم ذات الابن الوحيد " تركت الحبل على الغارب ورعته بعطفها لاسيما وهو ابنها الوحيد ، وهنا يبدأ الحنان والمحبة يلعبان دورهما ! المحبة الحمقاء التي ليست من العقل في شيء ، فأرخت له العنان بدافع الشفقة الزائدة التي خص الله بها الوالدين - الشفقة العمياء - يخرج ويدخل في أي وقت أراد ويسهر إلى ساعة متأخرة من الليل مع من يريد من الأصحاب والخلان في أي مكان كان دون أن تجعل عليه رقيبا ، واتخذ من ثروة أبيه الطائلة وحنان أمه وضعفها شفيعا للهوه وعبثه .." فغادر المدرسة غير آسف

ودخل في كلية (القهاوي) بعد أن كان إذا لمح بها أحد أصدقائه لوى عنه وجهه ونفر منه"(٢٩).

وتحدث هاشم الزواوي عن الوطن وتقهقره ، وتبأطؤ أهله في قصته (أحلام اليقظة) : " في ظلام الليل ، وسكون الطبيعة ، وهدأة الكون ، ووجوم الخلق كنت منعزلا عن مكة أرسل الشكوى أنات وآهات ، وزفرات وشهقات تصعد في الفضاء سابحة لتمر بالأجيال المجيدة في العصور الزاهية ، فتنبئهم بما نحن فيه من التدهور والتقهقر ، علهم يهيبون بالمجد فيقيلون عثاره أو يؤوبون للوطن فيلبسونه دثاره " .

فهو يصور معاناة أصحاب القلم في مستهل النهضة كيف يشعرون بالمرارة من تخلف وطنهم فيسعون جادين بفكرهم إلى اليقظة الفكرية والعملية العلمية والكاتب يستدعي الليل بظلامه وظلماته ليشاكل حال الوطن وأبنائه " في ذلك الليل الداكن ، بظلامه الحالك ، بسواده القاتم ، بمنظره المفزع ، بمرآه الرهيب بسحبه الكثيفة ، بهوائه العليل ، بعظمته الجبارة ، بجلاله الصامت "(٣٠) .

ويشخص لنا الوطن في صورة إنسان تقدمت به السن فهو شيخ داهمته الخطوب وأضناه السعي ، وقارعته الدواهي " كهلٌ قد أخنى عليه الدهر ، ومرت عليه دواهي العبر ، شيخ قد داهمته الخطوب وصارعها ، مسن قد نازح الأيام وقارعها ، هرم قد عرف الحياة فألوى وجهه عنها " (٣١)

واستخدم الحوار في قصصه ، وتمثل له الوطن رجلا يحادثه :

" وجاءني وإذا بي من أول وهلة أهش له وأبتسم ، وأستبشر ! لكني علمت من مجريات أحواله وأسارير جبهته ، أنه قد أنهكه العناء والتعب ، وأضناه عظيم الشقة فلزمت الصمت أمام جلال الكون وعظمة القدرة ، أرتقبه عن كثب ريثما يبرح عنه بعض ما يعانيه " .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم يدخل عنصر الحوار ، ويكرر السؤال الإنكاري ، ويرسم لنا في لوحة شعورية مقارنا بينه ومن يماثله في الحياة وهو يريد بالناس الأوطان التي تماثل وطنه لأنه شخص الحجاز في رجل هرم أثقلته السنون :

" أيهذا .. مابالك مطرق الرأس شاخص العينين؟!

بينـــما الناس في لهوهم يلعبون

أيهذا .. مابالك كئيب المنظر حزين المـــرأى؟!

بينما الناس في طريقهم يمرحون

أيهذا .. ما بالك مضطرب الجأش قلق الهدوء ؟!

بينما الناس ....

وبعد لأي قال والدمع رقراق في عينـــــــيه

قال " هم في غيهم يعمـــهون "

أيهذا .. مابالك كاشر الوجه عابس الجبيـــن ؟!

بينما الناس ....

وبعد حين قال والزفرة تصدع من قلبـــــــه

قال" هم في غفلتهم يسرحـــون"

وهكذا نجد في قصة هاشم الزواوي ، نوعا من تجسيد الشخصية ، التي كان لها في الحوار الفاعلية ذات التأثير ، غير أن المتحدث أكثر وعيا من الشخصية المنتحلة أو الرامزة للحجاز ، وكأن القصة تمثل نفسية القاص . فهو يريد مخاطبة أصحاب الوطن لا الوطن ذاته ، وقصته تعبر عن لحظة زمنية في (حلم يقظة) ولم يثقلنا بأحداث وبناء منطقي يعصر فيه زمنا طويلا وأحداثا كثيرة ، وهنا يلتقي مع خاصية من خصائص القصة القصيرة .

وهذه الأقصوصة تعدّ تطورا وتناميا في القصة مع الجيل الأول من كتابها ، ولو أن الزواوي واصل ممارستها والبحث عن تنظيرها ، والإبداع فيها لرأينا نتاجا مميزا .

والذي ينظر إلى كتابتي عن هذه المرحلة يجد أنني لم أفصل بين السباعي والعطار ، وآشي والجيل الثاني من الأدباء حسين عرب ، محمد علي قطب ، عبدالله عريف ، هاشم الزواوي ، رغم أن المتأخرين قد أشاروا إلى أنهم جيل الشباب والجيل الثاني من الأدباء فالأوائل أصدروا لهم (وحي الصحراء) ولحق بهم الذين أصدروا (من أقلام الشباب الحجازي) والواقع أن نتاجهم القصصي ولاسيما قصصهم القصير متقارب في مستواه الفني ومعالجته للقضايا ، لذا فانهم ينتظمون في حلقة واحدة في ميدان القصة القصيرة .

الغاية والهدف :

ربما يظن ظان ممن لاعلم عنده أن القصة وسيلة ترفيهية فحسب ، لكن الواقع أن الترفيه وسيلة من وسائل القصة لتحقيق هدف أسمى ، ونحن حين نطرح سؤالا حول بداية الأقصوصة في المملكة العربية السعودية ، فنقول : ماذا يقصد بها أولئك الكتاب ؟ فنقول : إن من يقرأ القصص التي كتبت لا يستغلق عليه معرفة الهدف بل إن الهدف قد طغى على تركيبة الفن القصصي ، شأنهم في ذلك شأن الأمم الأخرى ، التي بدأت بكتابة القصة في مستهل نهضتها ، فمثلا نجد الولايات المتحدة الأمريكية في مستهل نهضتها قد اتجه أدباؤها إلى بعث الحياة الجادة في العمل والكفاح ، واستصلاح الأرض ووحدة الوطن ، وبناء الحضارة في القارة الجديدة ، ونأوا عن العبثية والجنسية حتى أن بعض الكتاب الأمريكيين الذين مالوا إلى الحديث عن الجنس ، لم يجدوا من يطبع لهم مجموعاتهم ، ذلك في أوائل ظهور الحياة الأدبية ولاسيما الأقصوصة والقص

والأدباء في هذه المرحلة تجردوا من الأنا ، وأنكروا الذات ، ونظروا نظرة إصلاحية للمجتمع بدلا من المشاعر الدافئة الشخصية ، والأسرار الذاتية والاعترافات (٣٢) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالقصة تتطلع إلى ما هو مألوف ، ومحدد ملموس ، وتبحث عن الشخصيات العادية وتعرض عن الشاذة ، وقد طبعت القصص بالطابع المحلي الذي ينشد الإصلاح والتطور والتلاحم (٣٣) .

والكتاب والنقاد في مصر قد اكتشفوا انحرافها إلى الرومانسية أو بالأحرى معايشة الأثرياء ، فداخلها المال والجنس ، لأن الذين تصدروا لها من الأثرياء فهم القدوة يقول النساج :

" خدم الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الطبقة البرجوازية المصرية ، الكبيرة والصغيرة التي سارت في ركابها ، فأخذت تستمتع بحياة ذات طعم خاص وتمارس ألوانا من السلوك تختلف عما يمارسه بقية أفراد الشعب وقواه الفاعلة وكذلك اعتنقت مجموعة من القيم والأخلاقيات التي لم تكن مستمدة أصلا من واقع مجتمعنا المصري ، وإنما حاكت فيها النمط الأوربي الذي كان يعد في نظرها النموذج الغالب المنتصر ، فإذا بها في ثقافتها وأدبها ونوع حياتها منعزلة تماما عن الشعب المصري ، ومنفصلة عن كل ما يدور في أعماق المجتمع وداخله لأنها تعيش ماديا ومعنويا في إطار بيئة وحضارة وفكر وفن وقيم تتباين كلية وما كان عليه مجتمعنا المصري .. وإزاء هذه الحقيقة يصبح علينا أن نتوقع من القصة القصيرة التي يكتبها أدباء نشأوا أصلا في حضن هذه الطبقة أو انتسبوا إليها وحاولوا اللحاق بها والتشبه بكل ما يصدر عنها ، أن تكون تعبيرا عن هذه الطبقة وعمن يلحقون بحياة مثل حياتهم " (٣٤)

وتأخر الاتجاه التحليلي والواقعي والفكري بعض الوقت في القصة القصيرة المصرية ، حتى ظهر جيل من طبقات الشباب يعانون معاناتهم ، فكتبوا عن واقعهم .

ونحن لما نستقريء القصص القصيرة التي كتبها أدباؤنا الأوائل نجدهم حرصوا على الغاية والهدف الراشد ، وقولبوا حكاياتهم في بوتقتها ، ونسجوا قصصهم تحت هيمنة الحدث ، ولكن ماهو الهدف ؟

نقول : إن الهدف الأول يمتثل في الإصلاح الاجتماعي وبناء الإنسان فردا ومجتمعا ، كقصة (على ملعب الحوادث) لعبدالوهاب آشي ، الذي شخص الوطن في رجل تقدم به الزمن وأخذ يخاطب المجتمع " أين رجالي ... وأين أبطالي " !؟ فنهض الشيخ بعزم الشباب الملبي ، وما عزم ذلك الشيخ إلا مآثره ومفاخره التي لاتزال على رغم الحدثان دائمة رائعة ... فأطرقت إطراقة التسجيل " (٣٥) .

ومنهم من أراد نشر الوعي الثقافي ، يقول عريف في قصته (بين عهدين):

" وآه إذ تسألني عن المدرسة وتحسبها جامعة ... المدرسة ياصاح اليوم تتخذ سبيلا وعرا ، وتسلك طريقا عظيما ، ومناهج لاتتفق وحياة اليوم ، وكتب لاتتمشى وروح العصر "(٣٦) ، وهكذا يوجه النقد لأهم روافد الرقي والتقدم .

ومنهم من عالج قضايا اجتماعية ملحة ، كقضية السجون في قصة (خالتي كدرجان) وتعليم المرأة ، والتعليم الجامعي ، والدعوة إلى التسلح بسلاح المعرفة والتجربة ، والتواصل الثقافي ، والبناء العمراني والزراعي والصناعي، ومن هنا لانجد في قصصهم التوجه إلى تسجيل الأحداث الماضية خشية اندثارها وإن وظفوا بعضها لمشابهتها لما يجري في حاضرهم .

ونحن لما نقف بإزاء تلك القصص وأهدافها نجد أن تلك الأفكار قد تجسدت واقعيا فبناة الفكر وبناة الوطن تعاضدوا فانتشر الوعي وتطور التعليم في المدارس وتعليم الفتاة قد تحقق ، والجامعات أضاءت الجهات في بلادنا ، والمجتمع قد تخلى عن كثير من التقاليد التي لاتمت إلى الإسلام أو العقلانية كمثل الإعراض عن الحرف والصناعة فانطلق المجتمع يبني أفراده ووطنه ، ومارس جميع المهن .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأصول الفنية :

الأقصوصة القصيرة تغري الكتاب والقراء معا ، فهي وجبة فكرية سريعة تخاطب العقل عن طريق الشعور في لحظة زمنية . ومدى محدد " إن الشيء الأساسي الذي يجب أن يؤخذ بنظر الإعتبار هو المدى ، فإذا كان العمل الأدبي طويلا فتستغرق قراءته أكثر من جلسة واحدة ، فعند ذاك علينا أن نرتضي بالاستغناء عن الأثر المهم جدا الذي تتركه وحدة الانطباع - لأنه إذا ما اقتضت الضرورة قراءته في جلستين أو أكثر ، فإن مشاغل العالم وأموره وأحداثه ستتدخل بيننا وسيؤول أمر (الكلية) الأدبية للانهيار" (٣٧).

ومن هنا أقبل عليها الأدباء في السعودية فوظفوها في مرحلة النهضة والتطور وأودعوها فكرهم ، وشحذوا خلالها الهمم وشحنوها .

وقد تميزت الأقصوصة في بدايتها بصدقها العاطفي ، وتعرضت للموضوعات بشكل منطقي إقناعي ، يعتمد على الحوار بين الكاتب والشخصية التي يستدعيها لطرح الحوار وربما رمز للوطن بشخصية من الشخصيات التي يضفي عليها مسحة ساخرة ، مثل قصة (على ملعب الحوادث) لعبدالوهاب آشي(٣٨) وقصة (حديث الوطن) لهاشم الزواوي(٣٩) .

وشخصيات الأقصوصة مفتعلة يوظفها القاص حسب إرادته ، ويطرح عليها القضايا والشخصية الرئيسة في نظري في تلك المرحلة هي شخصية الكاتب نفسه الذي لا يألوا جهدا لطرح قضاياه والدعوة إلى معالجتها في لغة منبرية وعظية إرشادية وتتجاوز ذلك إلى النداء .وليس العيب في الفكرة الصالحة إنما كون القصص يأتي بأسلوب الخطابة ويظهر ذلك عند السباعي وعبدالله بوقس وغيرهما .

ولاتقوم القصة على بناء الأحداث وتطورها وتوالدها ، بل على الحديث عن واقع موجود يحكى ويسرد سردا ويوصف وصفا مجردا ، والقاص يدعو إلى

عمل ينتظر النهوض به ، وينظر تنظيرا ، ولم يشأ أن يعالج أحداثا واقعة لها أبطالها وشخصياتها وما دمنا افتقدنا عند بعضهم في القصص القريب من الرمز إرادة البناء العضوي ، فإن الحبكة تضعف .

وشخصيات القصص ثابتة سطحية ، تقوم بالأدوار المسندة إليها من قبل المؤلف وربما يستنطقها الكاتب أو يوظفها ليلقي بفكره من خلال تحريكها كدمية في يد طفل يلهو بها .

والحوار غالبا ما يكون مفتعلا يفتقر إلى الحياة وإلى عناصر الارتياح ويغلب عليه هيمنة الهدف ، ولكن يضفي عليه شوقا أنه يطرح قضايا يتشوق إليها القارىء ويريد أن يصل فيها إلى نتيجة ، ومن هنا كان الحوار ذا تأثير .

والقاص السعودي في مراحله الأولى ينهج نهج الأدباء في مقدمة النهضات فهو " يستمد الموضوع أو الفكرة من التاريخ ، أو مما تثيره حادثة يومية ، وإما أن يقوم المؤلف في أفضل الحالات بزج نفسه في خضم من الحوادث المؤثرة ليضع بذلك الأساس للقصة وحسب ، على أن يملاها بالوصف والحوار والتعليق على ما قد يظهر بين ثنايا القصة من فجوات في الحقائق والأحداث(٤٠) .

* * * * * * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرحلة الثانية :

تحركت القصة من بعد عام ١٣٧٠ هـ من التاريخية إلى الواقعية المباشرة التي تقوم على الوصف والسردية مثل قصص غالب حمزة أبو الفرج في مجموعتية(من بلادي) و (البيت الكبير) ، والناصر في (أمهاتنا والنضال) ١٣٧٠هـ ١٩٦٠م ، (أرض بلا مطر) ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م ، وقصص عبدالله جفري (حياة جائعة) ١٣٨٢هـ ومجموعته (الجدار الآخر) ١٣٩٠هـ ، وهناك من القصص المبثوث لكتاب توقفوا عن النتاج ، أو أنهم كتبوا أعدادا قليلة في الأقصوصة واتجهوا إلى فن آخر .

ويقوم منهج هؤلاء على المنهج الفني-الكلاسيكي الذي يعتمد على بناء الأحداث والسردية والوصف التقريبي ، واللغة الفصيحة ذات الأسلوب الأدبي الراقي . وهذه الفئة تعمد إلى الأقصوصة في صراحة واضحة ، ونعتقد أنها استحوذت على التنظير والممارسة معا ، أما الجيل السابق فإنه حاول أن يأتي بحكاياته أو صاغها على أشكال قصصية وإن لم يعلن للملاء أنها أقصوصة ، لذا كان التشابه بينها والمقالة الصحفية ، بل إن الكثير منها ينشر على أنه مقالة اجتماعية ، لكن القاريء والراصد للقصة يجد فيها سمات الأقصوصة فيسطرها ضمن البداية القصصية ، فقد كتبت في كتاب (من أقلام الشباب الحجازي) ولم تصنف تحت مسمى القصة .

والقاص ينظر إلى الماضي القريب ويوظف أحداثه لما يشاكلها من المعاصر ويستقي كثيرا من الواقع ويطرحه هادفا معالجته وناصبا أمام عينيه المستقبل ، وما يتأثر به نتيجة للحاضر فهم يطرحون قضايا البعثات ، ومعاناة الطلاب وتأثرهم ، وفعاليتهم بعد عودتهم وقضايا الزواج من الخارج .

والشخصية صاحب عقلية معاصرة ، فالبطل متأثر بالأحداث من حوله ، والقاص أكثر وعيا من الشخصية التي ربما تنحرف عن الوعي والعقل المنطقي فتمليها الأحداث وتضل الطريق ، أما القاص فيوحي لك بمضامين فكرية معتدلة، تمثل القيم ، وتنشد التطور والرقي الذي تبتغيه الأمة .

ونحن هنا نتلمس معالم الأقصوصة في هذه المرحلة من خلال العناصر الرئيسة :

١ ـ بناء الأقصوصة :

يقوم بناء القصة القصيرة في مرحلتها الثانية على سيرة زمنية ممتدة لسنوات وأمكنة متباعدة ، بهدف طرح قضية تعليمية أو اجتماعية ، وغالبا ما يستقيها الكتاب من الظواهر العامة التي تطرأ عليها بعض الانحرافات ، أو يبتغي الكاتب تبيان محاسن عمل من الأعمال ويدعو إلى مماثله ، من هنا كان بناء الأقصوصة يعتمد على أحداث متباعدة ، تفقد التماسك والتلاحم ، فهي لاتمثل لحظة زمنية جاءت في مكان محدود ، وإنما الأحداث والأمكنة تدور حول الشخصية في تباعد وطول عهد ، غير أن الأحداث ذات علوق ومساس بالمجتمع والقاريء ، وطارئة عليه وهاجسه في نفسه ، مما دعاه أن يستجلي خباياها ، الأمر الذي أضفي عليها روح الحياة .

وبناء الأقصوصة يستهل بالفكرة الصغيرة التي تبلورها الأحداث ، ثم يلحق الكاتب أحداث نماتها ، وتوالد أحداثها ، كقصة (الأديب الآخر)(٤١) لأحمد رضا حوحو ، فقد بدأت الأقصوصة من المدرسة حيث تبلور ميل الطالب إبراهيم إلى الأدب ، وغضب معلمه من اتجاهه ، فأخذ يثبط عزيمته عن هذا الاختصاص ، ويعلن إغلاق (كلية الأدب) لكن الأديب الناشيء يواصل القراءات وفقا لميوله ويصطدم بالحواجز أمام نشر نتاجه .

ويجري على هذا النهج إبراهيم الناصر في جل نتاجه ، كقصة (عروس القرية) (٤٢) لكن الناصر يخرج على هذا النهج أحيانا ، ويضع مقدمة قصيرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم يستطرد لتناول الأحداث (أرض بلا مطر) فيقول في مقدمتها " كانت كثبان الرمال تحيط بنا في أقصى الصحراء من كل جانب ، فنغدو في العتمة الحالكة كالمردة والأشباح التي تكثر من زيارتنا في ليالي الشتاء الدهماء " (٤٣) ، ثم يستطرد في وصف العمالة ومساكنهم وحديثهم عن شخصية الأقصوصة .

وكذا قصة (أبعاد) للجفري ، ويمهد غالب حمزة أبو الفرج لأقصوصته(الألم والطموح) يقول :

" كثيرا ما تكون ظروف الحياة أقوى من طموح الإنسان ، فتقضي هذه الظروف على الكثير من الأماني وتزداد الكثير من الأحلام ، وكأن هذه الظروف على موعد مع قسوة الأيام للضغط على نفوس أولئك الذين رزأتهم أيامهم فأصابت أحلامهم فأضاعتها ، وأمانيهم فافتقدوها " (٤٤) . ثم يستطرد بعد هذه المقدمة المناسبة للعنوان والموضوع .

ونفتقد كثيرا من البناء الهرمي للأقصوصة التقليدية التي تحتاج إلى مقدمة، وعرض وتأزم وعقدة ثم انفراج وحل وخاتمة ، ويلجأ القاص إلى الوصف السردي لأفكار معنوية ذهنية في قصصه .

٢ ـ الحوار :

الحوار عنصر من عناصر التشويق في القصة ، فهو وسيلة الصراع بين الشخصيات أو هو الذي يستدعي الصراع النفسي ، كما هو الشأن في أغلب قصص المرحلة ،فالصراع لايحدث بسبب الاختلاف أو الجدل ، وإنما الحوار حديث عن الصراع الكامل من تراكمات الحياة ، ويجب أن يكون الحوار ماثلا في رسم هيكل القصة ، ومن خلاله تستدل على الشرائح الأسرية أو الاجتماعية أو يرسم لنا لوحات عن الإنسان ومتغيراته في زمان ومكان محدودين وتحت تأثير تجربة معينة ، والحوار يؤدي إلى :

أ) ـ استحضار الحلقات المفقودة من القصة ، فالقاص يريد أن يطرح أفكارا من واقع تجربة كانت ، ولاسبيل له إلا الحوار ، فالذكرى بين شخصين تنمي الحوار كقصة(اللوحة الأخيرة) لغالب حمزة أبو الفرج ، التي تحكي واقع أسرة فلسطينية ، يقول :

" أوتذكرين ياسعاد ، كيف كان والدنا الشيخ في عام (٤٨) ينظر إلى بقية البيت وفيه بعض من أفراد العائلة ، وقد اختطفتهم يد الغدر ففصلت بيننا وبينهم على الرغم من هذا الالتصاق بين أجزاء البيت وصمتت سعاد ولم تجب ، وأخذت الدموع تنهمر في مآقيها في سلاسة غريبة ، وتعبر في صمت عن حقيقة ما يكمن في نفسها وهي تطالع تلك الصورة ، قال : ... أوتبكين ، لاياسعاد لم يعد هناك حاجة للبكاء ، فلقد قرحت الأيام أجفاننا لكثرة ما بكينا ، وتابع حديثه ليضع الصورة إلى جانبه هذه المرة ويلتقط أخرى وفي عناية فائقة ، أما هذه فهي داري في بيروت كنت أعيش فيها مع أولاد عمي بعيدا عن مسقط رأسي ، أرقب الأفق دائما في صمت ، أتعذب ليل نهار على الرغم من كل مظاهر الحياة في بيروت ، أوتذكرين لقد بعثت بنسخة منها إليكم وكانت رسالتك الجوابية على جوابي مثيرة مقلقة ، وهي معي لاتزال ياسعاد اقرؤها كل يوم ، لأستخلص منها ما يعينني على المضي في هذا البلد المدهش المليء بالمتناقضات وكنت تذكريني دائما بالعودة إلى البيت ، إلى بيتنا في صفافة لنعود مغامرة ثانية إلى الهرب من خلف الأسوار لنلاقي سناء وفهدا ، ونتحدث إليهما ، وكنت تطلبين مني أن أكون رجلا فأعود وقد امتلاءت نفسي بالإيمان بالله وبتلك المباديء التي لقنا إياها والدنا العجوز"(٤٥) .

ومن هذا النص نستنتج ما يلي :ـ

١ ـ إقحام الحوادث عن طريق الحوار ، فقد لجأ إليها القاص ليستدعي ما ينتظم الأفكار في الأقصوصة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ ـ لم يستطع أن يعبر في قصصه عن تعذيبه وأحزانه إلا بالوصف الصريح " أتعذب ليل نهار على الرغم من كل مظاهر الحياة في بيروت " ، وكذلك تذكيره بالعودة وأن يكون رجلا قد امتلأت نفسه بالإيمان بالله وبتلك المباديء التي لقنا إياها (والدنا العجوز) فهو لم تفصح سلوكياته عن تلك فعرضها علينا صراحة .

٣ ـ الكاتب كان يصف حديث مخاطبته ولا يترك لها الفرصة للتحدث عن ذاتها وهذا يؤدي إلى ضعف الحوار .

أما الناصر فكان يناجي نفسه ويرصد ما يعتلج فيها من صدى لواقع الحياة " كانت مناجاتي مع نفسي منطقية للغاية ، رغم أن الواقع في الكثير من الأحيان يرفض الاعتراف بالواقع ، فأنا موظف صغير توقف بي الزمن عند آخر مربوط في أول درجات النظام .. كانت مشكلتي مع الحياة كمشاكل النظام مع البشر ، الجميع يريدونه إلى جانبهم "(٤٦) .

ب) الحوار وسيلة رئيسة لتطوير الحوادث وتتابعها وتوالدها ، كالحوار الذي دار بين بطل قصة (رسالة أبعاد) والموظفة ، فإنه ينبيء عن توالد الأحداث نتيجة لقائه مع الموظفة (نادية) .

" وبعد ساعة من المحادثة الهاتفية ... كنت أطرق بابها ودخلت ... مرت لحظة صمت ... كانت في خلالها مغضية تزجي الوقت بلعبة الأصابع المتشابكة في يديها ، وقلت : أستطيع أن أعرف المطالب ومدى ضرورتها ؟

ـ قالت : هناك في الواقع حاجة إلى أغطية صوفية بمناسبة اقتراب فصل الشتاء .

ـ قلت : ألا تلمسين ـ ياآنستي ـ إهدار أناقتي الآن بسبب هذا الرشح الذي يفرزه الجسم بفعل الحرارة .. إن الشتاء بعيد الإياب .

ـ قالت : هناك مطالب خاصة بي .

ـ تفضلي :

ـ إن قرار احتجازي طيلة الأسبوع في المدرسة دون ان أخرج سبب أكيد لتوفر حالة السأم التي أشعر بها .

ـ إن هذا قرار من المدير ، ويمكنك مشافهته في ذلك .

ـ أرجوك .. إنني أرتاح إليك .. إنني يا.. (عادل) اعتبرك أخا ، وصديقا وانعكاسا لأفكاري ! ...." (٤٧) .

وهكذا تتنامى حوادث القصة من شكوى نادية للمدير وفصله من العمل ... يقول : وطالعني وجه المدير الممتليء الأبيض ونظر إليّ الرجل محدقا لحظات .. ثم قال :

ـ أنت تعرف بلاشك أن وظيفتك (وكيل المدرسة)

ـ ذلك أكيد ياسيدي المدير .. ولكن أسلوبك الساخر هذا حدث عن غلطة ارتكبتها .. ولا أعلم عنها ؟؟

ـ غلطة ! هيه اسمع يا أخي وكيل المدرسة .. ينبغي أن تلتزم حدود الأدب المتعارف عليه بين الناس .. وتبتعد عن طريق المشرفة الاجتماعية التي تعمل عندنا في القسم الداخلي.(٤٨)

ويتضح أسلوب قصته بأنه لم يلتزم السرد البنائي ، وإنما كان يستدعي الحدث حسب موجات الشعور ودوافعه ، فهو تحدث عن استدعاء المدير له قبل حديثه عن الأسباب في لقاء نادية .

ج) الحوار عامل من عوامل رسم شخصيات الأقصوصة ، وقد نرى ضعفا في هذا الحوار ، وقد يعجز القاص عن استبيان الشخصية عن طريق الحوار ، فيلجأ إلى الوصف الخارجي كحديث الشخصية مع جاره القديم (أبو مها) في قصة (ليس الحب يكفي) حيث رسم الشخصية بقوله : " ومضى هو يدردش مع أبي مها بأشياء كثيرة شعر معها بأن العجوز يحس بالتطور ويعايشه ، ويلمس أثره وتأثيره ، ويراه شيئا هاما ضروريا لكنه مع هذا يظل على سجيته في بيته نفسه"(٤٩) .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالقاص يعرض وصفا فلم يستنطق الأحداث لتنبىء عن واقع الشيخ أو على الأقل يحكي حواره .

وأحيانا يجلو الحوار ما يعتمل في نفسية شخصية الكفيف " وسعل أبي قبل أن يقول : أريد أن نعرج على السوق يامحسن لننتقي لك ثوبا للعيد ..؟ ودوت كلمة (ننتقي) في مسمعي وكأنما هي قذيفة مرقت بالقرب من وجهي ، وشعرت بأن الدموع التي رشحتها عيناي بفعل حرارة تلك الكلمة القذيفة قد غدت ساخنة أكثر مما ألفت حتى كدت أخشى أن تذيب من فرط حرارتها بعضا من جلدي فتسلخه ساخنا " (٥٠) .

د) الحوار " يرفع الحجب عن عواطف الشخصية ، وإحاسيسها المختلفة ، وشعورها الباطني تجاه الحوادث أو الشخصيات "(٥١) فقصة (الوفاء عندما يتجسد) تحكي قصة ممرضة مخلصة في عملها ، وقد أحبها صديقان كل منهما يتوافر له الجاه والخلق والمال وكان الموقف في صراحة متناهية من الأطراف الثلاثة ، ثم تكشف الفتاة عن أسباب رفضها لهما في حوارها مع مريضها : " لقد سألت المدير عن ذلك فقال وأنا هنا أبكي صديقك ، فهو قد طلب منه أن ينسى كل شيء إذا عرف أنك راغب فيّ ، ولهذا خاف إحراجك فطلب ما طلب من المدير وهو صديقه كما تعرف ...

- وأنت ما رأيك ياسهير ؟؟

- أتصدق إذا قلت بأنني أميل إليه بعض الشيء ، ولكنني وأنا الوافدة الغريبة لايمكن لي أن أتزوج في الغربة لأن لي كما تعرف أو لا تعرف قضية ...

- وماهي قضيتك ؟؟

قضيتي أنني أعول أمي وأخوتي الصغار ، وهم في حاجة إلى مرتبي الذي سينقطع بعد الزواج ...

- قد يقبل صديقي بأن تعملي وتساعدي أسرتك بمرتبك أو يتحمل هو نفقات عائلتك فكما تعرفين هو ميسور الحال . وأجابت سهير :

- الأولى لايقبلها هو ، والثانية أرفضها أنا ...

- والحل ..؟؟

- الاعتذار ، هكذا سأقول للمدير كما أقوله لك ، قد أكون راغبة في الزواج وقد يكون صديقك عريس لقطة كما تقول لكنني لا أملك من أمري ما يجعلني قادرة على الموافقة " (٥٢) .

ويؤخذ على الحوار في هذه الشرائح القصصية اعتماده على الواقعية المباشرة والتصاقه بالحياة ، وإن كنا نرى بعض الإشراقات النفسية من ورائه لكنها قليلة ، ذلك ما وقف بهذه المجموعات في حدود ضيقة من الفن القصصي، وجعلها تتسم بمباشرة الوعظ والإرشاد وأن انتخابهم للحوار يعتمد على الحدث والفكرة وتحقيق أهداف مرسومة ، الأمر الذي جعل الحوار يبتعد عن الثرثرة ، والقول الذي لاغاية منه في حوارهم ، وهو لا يبلغ مرحلة عالية في تفتق الذهنية وتشعب المعاني ، وإنما ينقل فكرا جيدا فحسب .

والقاص في حواره ينجرف وراء أفكاره ، ويفتقد الممارسة القصصية والمقارنة الفنية ، والتفكير الواعي ، ومن هنا يضع شخصيات الحوار للهدف ويستنطقها ، فيكون الحوار مفتعلا لأنه من شخصية واحدة هي شخصية الكاتب ذاته ، فلا يخرج الحوار بطريقة تلقائية ، ويبرز فيه التكلف ، ويؤطره تأطيرا ، ويوظفه توظيفا لتحقيق الفكرة فيخرج مباشرا يقترب من الخطابية .

٣ ـ الشخصيات :

يمنح القاص الشخصية صفات يمليها عليه الهدف من الحكاية ، فينطلق في تصوير الأحداث ، وتلاحقها ونسجها في منطقية وتقريرية ، وغالبا ما يعرض الكاتب عن تسمية الشخصية ، ويتحدث بلسان حاله ولا يذكر الأسماء إلا في معرض النداء ، والكاتب يحمل فكرا أو حبا إنسانيا ، والأحداث تنبيء عن الأفكار ، مما يكثف الفكر حول شخوص الأقصوصة ، حتى لتبرز هذه الآراء في وصف المعشوقة فالبطل يحب الفتاة التي " نصفها ملاك ، ونصفها الآخر بشر ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهي اليوم بعيدة عن بلدنا .. في رحلة شريفة .. في رحلة دراسية لتنال الشهادة الجامعية ..."(٥٣) .

والأحداث تترى من بطل القصة في مثالية عالية ، فهو يفدي الفتاة الطائشة ويؤثرها على نفسه رغم أنها تدعي عليه بالمضايقة ويفصل من عمله لعدم إفصاحه بما يشينها " لكنني سأتقبل كل شيء .. دون أن أتورط فأجلب لهذه الفتاة الصغيرة بلاخبرة ولا تجربة - الخزى - ..أو الإحراج ، أو على تقدير .. أسبب لها ما سوف يطبق عليَ بعد لحظات "(٥٤) .

وربما تحدث عن جمع من الناس بدلا من إفراد شخصية بعينها ، لأن الحدث يحتم ذلك حينما يتحدث الناصر عن العمال وتجمعاتهم في (أرض بلا مطر):

" كانت كثبان الرمال تحيط بنا في أقصى الصحراء " ثم يفرد بعض الشخصيات ليذكر معاناتهم مثل صاحب الكشك الذي احترق ، ومثل (رافع) الذي يرى أن مواصلة العناء والنصب مستمرة وسوف يلهثون كالبغال في البيدر ، أما (ظافر) الذي أمضى خمسة وعشرين عاما وقد ختم بساق مقطوعة ، أو شخصية القصة الذي فقد ما جمعه في عامه ، وهو يذكر هؤلاء الأشخاص ليفيض لنا بمزيد من الكشف حول أولئك العمال ومعاناتهم ، فوظف تعداد الشخصيات لتكثيف الأفكار وطرح القضايا (٥٥) .

ونظرا لأن القاص يفتعل الشخصيات ويوظفها لطرح أفكار هادفة سامية ذات شمولية ، يقصد منها التعليم والوعي ، ولايقوم القصص على المنهج التحليلي الذي يلج في عالم الشعور ، من هنا فإن الشخصيات غالبا ما تكون سطحية تجرفها الأحداث ، وإن كنا لانعدم الوعي أحيانا كالقبسات التي نلمحها عند الجفري .

٤ ـ المكان والزمان :

قصص هذه المرحلة يعتمد على بناء القصة القصيرة الذي يمثل شاخصا في الأدب الأوربي وشاع بناؤها وتنظيرها ، وأصبحت الأقصوصة تسير في ركاب هذه المناهج واقتبس الأدب العربي صوره هذه لاسيما في الأقصوصة ، وشاع المذهب الكلاسيكي ، وكان من أساس القصة القصيرة ، تحديد المكان الذي لايتباعد غالبا ، فإما أن يكون في قرية أو مدينة أو طريق ، أو حديقة أو منزل وأما الزمن فيكون في لحظة محدودة بفترة زمنية لا تمتد طويلا .

ولو نظرنا إلى القصص في السعودية لوجدنا الأمر يكاد يختلف ، ويعود ذلك للقضايا والمضامين المطروحة في الأقصوصة ، فالمضامين الملحة تتمثل في بعث البعوث العلمية ، وما يدور في إطارها ، كذلك قضية الزواج من أجانب أو سفر لعلاج ومعاناة المريض وأسرته ، أو قضية اجتماعية ، كطرح قضية العمال في شركة(الزيت) في قصة (أرض بلا مطر) لإبراهيم الناصر ، وربما يمازج القاص بين أحداث متباعدة ، مثل البعثة العلمية ، وحوادث المرور ، وتعليم الفتاة ، ومعاناة المصحات ، كقصة (في رسالة أبعاد) للجفري :

" يا أعز الناس : أنت هناك في صراع مع الحياة .. في كفاح لتحقيق المستقبل الذي تنطلقين بشغف إلى نوره الهادي نحو واقع أفضل وأكرم ، وأنا هنا .. بعد تجسد الفرقة والنوى طيلة هذه الشهور التي أسرني فيها سرير المستشفى أصارع الأحياء" (٥٦) .

وتحديد المكان يكون بتسمية حي من الأحياء ، أو قرية من القرى ، أو مدينة من المدن ، أو إقليم من الأقاليم وتحديده بالوصف كما كان يشير إبراهيم الناصر للمنطقة الشرقية ، وتحديد الزمن ينبع من الأحداث وإرسال الوفود العلمية ، والمدة الزمنية في الأقصوصة تمتد إلى سنوات البعثة والعودة وهكذا ، فالإطار الزماني يمتد في بعد زمني أكثر مما تحتمله الأقصوصة وتتبعه مساحة المكان المتباعدة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك ما أثر تأثيرا كبيرا على بناء القصة القصيرة في السعودية في مرحلتيها الأولى والثانية معا ، فقد حرمت من التأني والتأمل والتحليل ومعرفة الشعور الإنساني في حالة من الحالات أو معالجة قضية إنسانية عامة ، فكل من المسافات المتباعدة والزمان الممتد يدعو الكاتب إلى السرد والوصف ويجعلنا نفتقد إلى تحليل أثر الزمان والمكان على الإنسان وتأثيره فيهما ، وينأى عن التحليل الشعوري الداخلي ، ويكثر ذلك في قصص غالب حمزة أبو الفرج لاسيما مجموعته (الضياع) .

* * * * *

المرحلة الثالثة:

لانستطيع تحديدها بعام محدد لكنها تقترب من عام ١٣٩٠هـ وتمتد حتى زمننا هذا ، فقد تبلورت الأقصوصة ، وأصبحت قوية النسج متماسكة البناء ، تتواصل مع الشكل القصصي الفني ، وتسير في إطاره ، بل اخذت تتشعب اتجاهاتها وأشكالها الفنية ، وقد تطور الفن القصصي عند الجيل الثاني ، وغزر نتاجهم ، وتجسد وعيهم مثل غالب حمزة أبو الفرج وإبراهيم الناصر ، وعبدالله جفري ، وبرز كثير من الأدباء الذين أودعوا أفكارهم وتجاربهم وتوجهاتهم في الأقصوصة ، وتواصلت البلاد مع الوعي الثقافي العالمي ، فاختلفت المناهل والمشارب ، الأمر الذي أثر في تركيبة الأقصوصة وبنائها ، وأصبحت الشكل الذي يوظفه جل الأدباء في مضامين شتى ، ونافست غيرها من الألوان الأدبية كما نافس النثر الفني من المقامة وغيرها الشعر في القرنين السادس والسابع الهجريين ، فتصدرت الأقصوصة في بلادنا وسائل الإعلام من الصحافة والإذاعة والتلفاز ، وتكاثرت حولها الدراسات النقدية ، وتعددت أشكالها تبعا للمكونات الذهنية وما تثيره التجارب الشعورية التي تمثل التواصل مع البيئة ، أو ما يفيض من الذات الفردية ، ومن هنا تشعبت النزعات المضمونية في هذه المرحلة :

١ ـ النزعة الواقعية الاجتماعية :

هيمن هذا الاتجاه على الأقصوصة في المملكة العربية السعودية ، لأنه نابع من الدوافع الإنسانية الوطنية عند كتاب القصة الذين تواصلوا مع المجتمع أو هم خرجوا من رحمه ، فتأثروا بمؤثراته ، وعانوا معاناته ، فحملوا مسؤولية فكره ، فكانوا شريحة من شرائحة فعاشوا واقعه ، وأحسوا بقضايا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوطن وأبنائه ، فظهرت مصادر للأقصوصة منها المدن وتطورها وتناميها ، والهجرة إليها والتسرب في دروبها ، وحضور منتدياتها الشعبية وقضاياها الاجتماعية والتعليمية وتركيبتها الذهنية ، كقصص غالب حمزة أبو الفرج ، ومحمد صادق دياب ، وعبدالله بوقس ، وبهية بوسبيت .

ويتمثل المصدر الثاني في الريف بقراه وفطرة إنسانه ، وتقاليد مجتمعه ، وضعف موارده ، ومبانيه وحكاياته الشعبية وآماله المستقبلية ، ومعالجة قضاياه الملحة ، كقصص الناصر ، وعلوي الصافي ، وعبدالعزيز المشري ، ومريم الغامدي وغيرهم ، وهؤلاء الكتاب وغيرهم استلهموا قضايا التعليم ، وعايشوا نشأة تعليم الفتاة ، ونشأة التعليم الجامعي ، والتواصل مع البعثات العلمية ذهابا وإيابا ، ومرحلة التكثيف الإعلامي ، والطفرة المادية ، والتمدد العمراني ، والتمازج مع العمالة الوافدة ، وإتاحة الفرصة للانتقال والتطواف في بلاد العالم ، كل هذه أخذت تتنامى وتهب معها التيارات الجازفة على مجتمعنا السعودي التي تولدت عنها قضايا اجتماعية مثل العنوسة ، وعمل المرأة ، وتفكك الأسرة ، والتبذير والإسراف في حفلات الزواج وولائمه ، وقد طرح الكتاب كل هذه القضايا ونفثوها في أقصوصاتهم فهي ذات مساس عميق بالمجتمع ، وقد سلك الكتاب في ذلك منهجا تبلور في الأقصوصة العربية " ذلك المذهب الذي ينادي بتسجيل الملحوظات والمشاهدات من غير سلطات للمؤثرات الداخلية من عواطف الكاتب وأحاسيسه من غير تهويل ولا تزييف للواقع ، إنما غايته تناول مشاكل المجتمع وذلك لإيقاظ وعي الجماهير " (٥٧) .

لكن الكتاب في بلادنا لم يخفوا تأثرهم الديني ومعالجة القضايا تحت مظلته، فطرحهم ينبع من الدين والعقل عند أغلبهم ، وإن أعرض بعضهم عن التصريح ، ومن الذين صرحوا غالب الفرج وعبدالله بوقس وبهية بوسبيت ، أما الذين لم يعلنوا ذلك فهم عبدالله جفري، والمشري ومحمد علي الشيخ في

مجموعتـــــه (العقل لايكفي) ومريم الغامدي في مجموعتها (أحبك ولكن) ومحمد صادق دياب ، وغيرهم الكثير .

ونحن لما نقرأ النتاج القصصي في هذه المرحلة نجده يفيض إن لم يحصر نفسه في هذه القضايا ، وربما نتبين ميل الكاتب لقضية من القضايا فهي تغلب عليه مثل غالب حمزة أبو الفرج الذي يدور جل قصصه في فلك البعثات والوفود العلمية والتجوال في العواصم العالمية وفي مدن الجزيرة العربية ، فيرصد التطور والتقدم خطوة خطوة ، وينقل لنا لوحات من البعثات العلمية بإيجابياتها وسلبياتها ، وقد ظهر هذا المنحى في مجموعاته (ليس الحب يكفي) و(الضياع) و(ذكريات لا تنسى) وهي قصص انطباعية صادرة من معايشته مع تلك الشرائح نظرا لتلقي تعليمه في القاهرة وكثرة أسفاره ، وعلاقاته الاجتماعية ، ووظائفه الإعلامية التي أتاحت له التواصل مع أرباب الفكر، ورجال الإدارةوالصحافة .

والقاص يركزعلى وعي أولئك الطالبين للمعرفة ، وما يحملون في جنباتهم من تواصل مع حضاراتهم القديمة " ولقد أحس بضخامة المدن الأمريكية ونظافتها ، بعد أن فتن لأول مرة برؤية المدن الأوربية ، وهاله أن تكون كل هذه المدن صورة انيقة لمظاهر حضارة جديدة ، قرأ عنها كثيرا ، وقارن في قرارة نفسه ، بين هذه الحضارة وحضارة بلاده يوم كانت بلدانه تتربع على القمة في مواجهة أحداث العالم ، وتسيرها وفق ظروفها وما تراه مناسبا ، لقد انحسر ظل تلك الحضارة فترة من الزمن ، لدرجة شعر فيها بالغيرة ، وهي تدب في أوصاله ، ولكّن الذي جعله يهدأ بعض الشيء هو أن حضارة الأمم أشبه بسلم طويل يستخدمه الإنسان درجة درجة حتى إذا ما وصل إلى القمة ، ومنح هذه القمة كل قدراته وإماكاناته ، عاد مرة ثانية يستخدم درجات الهبوط " (٥٨) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولايغفل الكاتب ما يحدث من انحراف فكري وسلوكي أو ضياع وشتات ، وقد قارن بين أخوين أحدهما اتخذ خليلة له والآخر اهتم بطلب المعرفة " ولكم حاولت أكثر من أنثى أن تعقد معه صداقة كما عقدت (سوزي) صداقتها مع أخيه، ولكنهن اخفقن في لفت نظره ، فأطلقت عليه كلمة(كمل بوي) على غرار (كاوبوي) وكان يستمع إلى هذه الصفة ويشعر بالفخر ، فهو وحده الذي استطاع أن ينأى بنفسه عن شرور الصداقة بين الرجل والمرأة " (٥٩) .

وهو لايسرد حكايات البعثات في الخارج فحسب وإنما يتحدث عن التنافر بين بعضهم ومجتمعاتهم بعد العودة ، فيسجله وينقده نقدا بناء سواء من حيث السلوكيات أو الزواج من البلاد التي يدرس فيها ، وهو لايقف عند حدود الوطن بل يتجاوزه إلى البلاد العربية كقصة (مشكلة قابلة للحل)(٦٠) التي تحكي حياة فتاة تونسية ، وقصة (شهادة ميلاد)(٦١) تتحدث عن فتاة دمشقية ، ويسجل في أقصوصة (الزمان) تعليم مهنة الطب والمرحلة التي هيمن فيها اتجاه التعليم وطلب المهن العلمية ورجح على الزواج مما أوجد العنوسة وقد جعل البطلة تنتقل من (خميس مشيط) إلى (جدة) والتحقت بالطب وابن عمها (دخيل) يلاحقها لترضى به زوجا وهي ترفض ولكنها تندم ، ويختم القصة بقوله على لسانها :

" فقد تزوج دخيل وأصبحت له أسرة .. وأشرفت أكثر من مرة على علاج زوجته وبقيت أنا قمر ١٤ بلا زواج ولكنني لن أقول أو أكابر بأنني لم أتأسف : ففي بعض الأحيان أحس بأنني قد ظلمت نفسي وفي كثير من الأحيان أشعر بأنني ظلمت أبي وأمي ..

فهأنذا اليوم بعد أن توفي أبي وأمي أبحث في قرارة نفسي عن زوج أرضى عنه فلا أجد .. ربما لأنني خائفة وأنا الطبيبة المشهورة من الزواج ومشاكل الأسرة ، أنا التي أنصح جميع تلميذاتي بأن يبكرن في الزواج على أمل أن لا يأتي ذلك اليوم الذي تحتاج فيه المرأة ، أية امرأة إلى زواج .. أي زواج"(٦٢)

ومن الذين كتبوا في هذا الميدان وأوسعوه تقصيا الكاتب عبدالله بوقس في مجموعته (خدعتني بحبها) فإن جل القصص يدور حول قضايا التعليم مثل قصة (خدعتني بحبها) التي يقع الطالب المبتعث (إحسان) في حب فتاة لعوب هي (ماريا) وينخدع بها ويخلص لها لكنها تعرض عنه لتصطاد آخر ، ويشك في ذلك حتى يريه خالد(صديقه) تلك الفتاة مع ضحية أخرى :

" وفي المساء يذهب كل من خالد وإحسان إلى الملهى الذي أرشدهما إليه سنان وهناك يرى إحسان (ماريا) ذات الشعر الأصفر الذهبي على حقيقتها مع ضحيتها المخدوع في موقف مثير يأباه خلقه الكريم ودينه القويم ، وتجافيه تقاليده فتزول عن عينيه غشاوة الحب الخادع ، ويشعر بأنه ولد من جديد ، وترتفع روحه المعنوية ، وتعود إليه بشاشته وحيويته ، ويشد على يد صديقه المنقذ وفي عينيه ابتسامة الرضا والتقدير والعرفان بالجميل ، وقبل أن يغادر الملهى يلقي نظرة أخيرة على الإنسانة التي عذبته وغشته وخدعته ، ولم تعد تستحق حبه واحترامه وتقديره ليقول لها وداعا ياحبي الخادع ٠٠ ويصمم على السير قدما فيما رسمه وخططه لحياته ومستقبله وهو أشد إيمانا من أي وقت مضى ويدرك أن الحب الحقيقي كنز ثمين لايودعه الله إلا في القلوب المؤمنة الكبيرة الحساسة ، وإن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا " (١٣)

ومن الاتجاه الواقعي الانطباعي ما نراه ماثلا في قصص الكاتبات السعوديات للقصة القصيرة مثل بهية بوسبيت في مجموعتها (وتشاء الأقدار) ولطيفة السالم في مجموعتها (الزحف الأبيض) وخيرية السقاف (أن تبحر نحو الأبعاد) ،فنجد أن كاتبات القصة القصيرة قد استحوذت عليهن قضايا المرأة كمعاناة الجهل بعد أن فات عليهن قطار التعليم ، لاسيما وقد ظهر جيل المتعلمات اللاتي يقربن منهن في العمر ، وتناولن العقبات التي تعترض سبل التعليم للفتاة من جهل الاباء ،وغيره ، ومعاناة الفتاة من الزواج الإجباري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتعليم الجامعي ، وقضية العنوسة ، ومشاكل الزواج ، وقضايا الطلاق والتعدد ، وتربية الأولاد .

وهذه القضايا لم تنحصر معالجتها في هذه المجموعات عند تلك القاصات وإنما شارك كثير من الكاتبات في أقصوصات مبثوثة في الصحف والمجلات ، وكذلك الكتاب شاركوا أيضا بقصصهم كثيرا .

ونحن لو نظرنا للشكل عند هؤلاء القصاص لوجدناه يختلف ، فالقاص غالب حمزة أبو الفرج يظل أسلوبه متواصلا يعتمد على الإرشادية فهو يحلل بعض المواقف تحليلا خارجيا ولا يستنطقها لكي يصل منها إلى حكمة وعظة ، ويطرح قضاياها بلغة عربية فصيحة في سهولة وسلاسة ، ويجري على هذا النهج عبدالله بوقس الذي يصف وصفا تقريريا في مقدرة لغوية وكلاهما يعتمد على الحوار الذي يبلور أهداف الشخصيات وينبيء عن الأحداث .

ويختلف أسلوب القاصات في السعودية ، اللاتي كتبن القصة فيما قبل التسعين وثلاثمائة وألف ، فيتلاقى بناء القصة عندهن مع البناء الكلاسيكي مثل بهية بوسبيت الذي يقوم بناء القصة عندها على التتابع السببي والمنطقي في لغة عربية ترتفع عن العامية وتقترب كثيرا للشعبية ، وتقصر عن تدفقها وسلاستها ورقتها عن أسلوب غالب حمزة وعبدالله بوقس .

أما الشكل عند لطيفة السالم ، وخيرية السقاف ، فقد قامت بعض القصص عندهما على التتابع السببي غير أنهما وضعتا لوحة فنية في المقدمة تنبيء وتوحي عن مضمون الأقصوصة ، ولجأتا إلى الإشارة والإيحاءات والدلائل ، ووظفتا هذه الأساليب الحديثة في بنائهما القصصي ، واستخدمتا اللغة الفصحى ذات الهمس ، ونلمح القدرة على الانتقاء مما يدل على قدرة لغوية وقصصية معا عند ممارسة عملية الإبداع ، وهما تمازجان بين الشكل القصصي ونمطيته القديمة والأشكال الجديدة أحيانا ، وتصدر الأحداث من شخصيات ذات وعي ويكون الحوار نابعا من الشخصية المتأثرة بالحدث .

٢ ـ رسم اللوحات الشعبية :

كثير من الكتاب ألقى ببصيرته في الشرائح الاجتماعية ، في أسلوب حياتها ومعاناتها ، ومعاشها وتواصلها وتوادها ، وقد أغرم بعض الكتاب باللوحات الشعبية التي رأها في طفولته وصباه وانغرست في نفسيته لكن رياح التغيير كادت تخفي معالمها وقد اندثر بعضها ، فهب الكتاب إلى استعادة ذكرياتها وسجلوها في أقصوصات متعددة كمجموعتي محمد صادق دياب(١٦ حكاية من الحارة) و(ساعة الحائط تدق مرتين) وهما تميلان إلى رسم الشرائح الاجتماعية في الأحياء والمدن لاسيما مدينة(جدة) .

أما عبدالعزيز المشري فقد تحدث عن الشعبية في جنوب الجزيرة في مجموعتيه (أسفار السروي) و(بوح السنابل) وتناول القرية وعاداتها وتقاليدها وتحدث على لسان شيخ تقدمت به السن في أقصوصة (المدفأة) :

" سألتموني ياجماعة الخير ، عن طاريء الحرب المشهور ذكرها .. بيننا وبين أهل القبيلة (ف) وصواب ما حدث .. أن الناس كانوا يزيدون نارها بالحطب ، ويتذرعون بالقيل والقال وتنشب الحروب ، ولا يطفئها غير دماء الأوادم من أجل سفاهة البعض .. يموت البعض ، ويتيتم البعض ، والبعض يترمل .. أذكر وقتها ان القبائل القريبة على حدودنا ..جاءوا بالقطران ، وسدوا أبواب بيوتنا ، وكان معناها أننا قد فرطنا في الكرامة ، وأن وجوهنا أصبحت سوداء .."(٦٤) .

أما خليل الفزيع فيتحدث عن لوحات أخرى متواصلة مع البحر والبحث عن اللؤلؤ ، يقول في قصته (العاصفة) حكايا (الغوص) مليئة بالشجن والأحزان ، ومع ذلك كانت (الروبيات) و (الفرانسي) في يدي كالتراب ، كنت غنيا وكان (الغوص) يدر علي أموالا لاتحصى ، والآن كما تراني (فراشا) للمدير .. دنيا .. سبحان من يحول ولا يتحول .. كانت لدي (جالبوت) كبيرة ، وفي أيام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معينة من السنة تبدأ رحلتنا إلى أعماق الخليج ، غير أني لم أكن أتعذب كما يتعذبون بإعتباري (النوخذة) ٠٠الرجل الأول في (الجالبوت) والمتصرف في جميع شؤونه ، كان جميع البحارة يعانون الكثير من عناء العمل (الغيص) وهو يبحث عن محار اللؤلؤ " ٠

ويصف حالة حرجة ، كاد أن يغرق بهم (الجالبوت) : " صرخت على الرجال للإسراع في نزح المياه التي امتلاء بها جوف (الجالبوت) ٠٠ أمسكت بأقرب وعاء وبدأت بنزح المياه وكذلك فعل بقية الرجال ، لكننا كلما تخلصنا من قليل من الماء جاء الكثير منه ٠٠ كانت محاولاتنا يائسة في لحظات العذاب هذه ، لم أفكر في نفسي قدر تفكيري في رجالي ٠٠ من خلال صخب الموج كنت أدرك أن البعض في تلك اللحظة في البحر يصارع الموج " (٦٥) ٠

وبناء القصة عند هذه الفئة لايخرج عن معاصريهم لكنه يعتمد على سلسلة محددة من الأحداث النابعة عن مواقف غارسة في الذاكرة ، أو خبرات مارسها في حياته أو أحس بها في إطار مجتمعه ، وهي تقوم على التقريرية والإيحاء أحيانا ، وتعتريها السردية لاسيما في وسط الأقصوصة ، ويوظفون الأحداث والأشياء القديمة ويحللونها ، وربما يوردون حكايات داخل الأقصوصة كما هو شأن عبدالعزيز المشري ، أو يصفها من ذاكرته كأقصوصات محمد صادق دياب ، ومريم محمد الغامدي ، والأخيرة هذه تغفل الخاتمة ٠

وهؤلاء القصاص يغفلون العامية رغم شعبية لوحاتهم اللهم إلا مصطلحات متداولة في الريف لاسيما عند مريم الغامدي وعبدالعزيز المشري ، وهم يجنحون إلى تحليل التجربة الشعبية عن الأفراد والمجتمعات بطريقة اختزالية في ومضات وإشارات تدل على سلوكيات أو أحداث تكمل بناء المضمون في الأقصوصة ٠

٣ ـ المنهج التحليلي :

ويتجلى في القصص القصيرة التي تعتمد على التحليل النفسي ووصف الانفعالات والإكثار من أحلام اليقظة ، والحديث الذاتي وتحليل الأحداث ، وتبلور في نتاج الجفري في طوره الثاني حيث نلحظه في مجموعته (الظمأ) وفي مجموعة (النزوع إلى وطن قديم) لمحمد علي قدس التي تميل إلى التحليل ولكنها تنحاز إلى الوجدانيات ، وهو يضفي أوصافا على مرئياته التي تتلون بنفسية الشخصية كمقدمة أقصوصة (حالة تحت الإنعاش) :

" كل شيء .. تحول إلى لهب ودخان .. فجأة ! كأنه جحيم مستعر ، الوجوه بدت كأنها .. تنانين .. تنفث النار واللهب ..الأرض تميد .. والسقف يهوي ..يتداعى !! والحيطان تتصدع!! والنار تقوظ الأركان ، تفلج القوائم بالشقوق ..! صبغة الوهج تلون كل شيء ، الشرر يتساقط كأنه الشهب في أمسيات الصيف ، أحس بانعدام الوزن والجاذبية ، هوة سحيقة تبعده عن أرضه ، كأنه يرقد على قمة تنطح بسنامها النار والدخان .. رؤيته للأشياء مغلفة بالغموض والتعتيم ، شكل هلالي بحجم واقعه طلاسم ورموز .. لايفهم منها شيئا "(٦٦) .

وكذلك محمد علي الشيخ الذي يفيض في سبحات تحليلية وتهويمات نفسية قبل أن يخوض في عباب حكايته فهو يقول في مقدمة قصته(في متاع الضياع):

" بين الأشياء الممزقة المعالم زمن .. زمن هو مندثر الآن .. وهو لايزال حيا في أعماقه حتى الآن ، كان ينتقل هنا وهناك مادا خطواته إلى حيث النهايات .. لانهايات ..الحياة تسير ..العالم ..الأشياء .. وهو ونحن نسير إلى غاية يجهلها العالم البشري ..أنا أحب ..أنا أريد ..هذه أنا ..لم يبق لها إلا وجود باهت في عالمه اللامنظور كأحلام الفقير تحت أشعة الشمس ، وجود يتطلع إلى معطيات واقع جاثم في ذهول غريب ، فالفروض التي بنى عليها بقاؤه واستمراره ، هي الآن لا شيء .. وهي كل شيء .. حشد من الصور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يجتاح عقله ..الآف من العواطف والانفعالات وتيار من الشعور يولد ويموت ليبدأ الحياة من جديد .."(٦٧) .

والبناء الفني للقصص عند هذه الشريحة من القصاص ، يقوم على وعي بالعمل القصصي الذي يمازج بين التقريرية والسردية والإيحائية والتكثيف والفضاءات ، وترتكز الشخصية عند الجفري على المشاركة الفعلية والتفاعل مع الجزئيات ، وتنموأحيانا إلى الذاتية والهيام بالسلوكيات الفردية التي تبلور الملامح النفسية والإنسانية وهي عند الجفري أكثر وضوحا واستجابة ، ويتضح ذلك في مجموعة (الظمأ) التي خصصناها بدراسة مستفيضة .

أما محمد علي الشيخ فيغرق في التأملية الكونية التي تجلو النفس الإنسانية ونزعاتها وكأنها نتائج التجربة الشعورية للأحداث التي يطرحها في نهاية الأقصوصة ، وكل منهما يعمد إلى الانتقاء اللفظي ، وإلى صقل أسلوبه وتراكيبه ويستعين بالإيحاء والتكثيف والحوار والوصف الشعوري ، وإن رأينا التأثير المكاني والزماني في تهويمات الجفري والتفاعل بينهما وشخصية الأقصوصة .

وكذلك يستعين محمد علي الشيخ بالإيحاء وعلامات الترقيم ، والتحليل النفسي الذي يتبلور في الحركة وإن لم يكن مصدره الحدث أو يوحي به سلوك الشخصية ، وإنما يشير إليه في لغة واضحة ووصف تقريري :

"... وخطوة بدت ثابتة ...متماسكة ...صامتة ...واثقة من المصير ، كخطأ الفيلسوف ...وخطوة خائفة ...قلقة ...مليئة بالعيون والصور كأنها في أرشيف الموت ...وخطوة أخرى فيها شيء من ثبات التحدي ...وشيء من عبث الأطفال ... وخطوة على الطريق ...وليست على الطريق ، وسعها الخيال ...ومحا آثارها يأس قاتل . وكل خطوة على الطريق مرفقة بومضة من الفكر ...وحديث من المروج ورغبة من الجسد في البقاء "(٦٨) .

٤ ـ الإيحاء والرمزية :

يعتمد هذان الاتجاهان على التداعيات والخواطر التي تأخذ حيزها بحسب تواردها الشعوري متواصلة بما تحتويه مشاعر التجربة التي تقف عندها لحظة التواصل وتعبر عنها في غير عودة ، وربما غاب خيط التواصل مع تيار الخواطر والتداعيات الجارية ، وهي تعود إلى إرادة متكاملة من المؤلف بعدم الإفصاح عن هدف فكري في أحيان كثيرة ، فيريد أن يثير حركة التفكك حول نفسية القاريء ، وربما يعود أيضا إلى جهل الهدف من المؤلف فليس أمامه غاية يبحث عنها ذات صراحة وقوة فهو لا يحمل فكرا واضحا يريد بلورته ، فيكون الفكر عبثيا تماما كالكتابة ، وبما أن الكاتب في طور الكتابة فحسب فهو غير راض عن واقعه ولم يهتد إلى حل فهو أشبه بالمرجل الذي يتصاعد ماؤه الحسي بعد أن يتحول إلى بخار يتطاير في الهواء ، ومن هنا فهو يفتقد التقريرية ومن ثم تركيب الجملة المؤدية إلى ذلك ، وليس في مقدرة الكاتب وضع سمات وتشخيص للشخصيات أو علاقات تربط بينها أو تجعلها تنير أو تضيء الأحداث والأفكار .

والكاتب لهذا الفن القصصي يرمز بالشعور ونبضاته ، ويداعبه مباشرة ، ويثق فيه ، ويتجاوز العقلانية ، وربما داعب الإثارة عن طريق التاريخ ، والأسطورة ، والأحداث ومساس النبضات الغريزية من جنسية وغيرها ، ويوظف تداخل الحواس وتراسلها ونقل الوظائف الحسية إلى معنوية وما يعارضها .

والكاتب يحار في تصنيف الأنواع كما يحار في الوصول إلى مضامينها وأهدافها وبعضهم يدخلها ضمن الرمزية ، وآخرون يطلقون عليها التعبيرية " والتعبيرية نقيض الانطباعية ، حيث يحشد الكاتب ـ عادة ـ وسائل غير مألوفة في التعبير عن رؤيته التي لاتسلم نفسها منذ القراءة الأولى ولا ينبيء عنها المستوى الأول من مستويات البناء القصصي ، بل تتعدد المستويات ، وتختفي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرؤية خلف بنية غير بسيطة التكوين ، ويتحول الانطباع المحدد الواضح إلى رؤية فسيحة يرتحل عبرها المتلقي ويحاول أن يظفر بها في فضاء القصة الرحب ، ولذا فإن الكاتب يلجأ إلى إشاعة جو من الإيحاء الرمزي ، وقد يستعيض عن الحدث الواقعي بالحدث (الفانتازي) ويوظف الحلم ويعيد تنظيم الزمان والمكان ويزلزل البناء التقليدي في القصة القصيرة ويستغل الأسطورة والتاريخ وما إلى ذلك "(٦٩) .

وكما أن الكاتب يعبث بالفكرة ويضطرب بالشعور ، ويفكك اللغة ، فإنه أيضا يحطم البناء القصصي ومن هنا كانت الدعوة للتواصل بين الفنون القولية

ومن الكتاب السعوديين الذين صدرت لهم مجموعات في هذا الاتجاه ، عبدالله عبدالرحمن العتيق في مجموعته(أكذوبة الصمت والدمار) ولرقية الشبيب(الحلم) ولخالد محمد باطرفي(محاولة رقم ٢) وليوسف المحيميد(ظهيرة لامشتاة لها) وهناك كتاب ينشرون في الدوريات، ويختلف أسلوب كل منهم ، فالعتيق ورقية الشبيب يميلون إلى الفضاءات التي تنجم عن تفكك الجملة وتراكيبها ، ويعمدون إلى علامات الترقيم فيوظفونها لتحمل دلالات مختلفة ، ويستدعون الكلمات ذات الإثارة الشعورية ، ويكون سبيلهم توارد الخواطر واستدعاءها عند المتلقي ، يقول العتيق في أقصوصته (أكذوبة الصمت والدمار):

" وحينما أشرقت الشمس على دمار تلك المدينة البعيدة ! ..دبت الحياة في أجسام تحت ظلمات الركام .. المترامي الأطراف .. غبار وأخشاب وحديد ، وبقايا الأشياء..والنار في الأنحاء تحتضر .. هبت الرياح فتساقطت الأشياء وتهشمت .. فبقي العالم في سكون .. من بعيد أقبل ثلاثة أشخاص .. وقفوا على المكان ..أخذتهم رهبة الموقف فتسمروا تماثيل .. وشخص يقص الأثر جاء يكسر التماثيل .. وتجلت الوجوه من تحت الدمار يكسوها الغبار

كقولـه : " أوه ٠٠مستحيل ٠٠ أكذوبة ٠٠يعبثون ٠٠جنون الموت ويعتم الدمار "(٧٠) .

وتقول رقية الشبيب في قصة (تسكنينني يا أسماء) :

" تغوص أقدامك الغضة ٠٠ بمزقها الشوك ٠٠ الظلام يعكس رؤى كثيرة ٠٠كبيرة هل تعلمت أن تستندي على جدار الخوف !

الخوف ٠٠ من نفسك ٠٠منهم ٠٠من ٠٠

لانك تحبينه ٠٠لأنه أباك ٠٠فكانت تضحية بقوة تسرعين إليه ، الطريق إلى الغار محفوف بالمخاطر ٠

تسمعين قرع الطبول ٠٠ تسمعين حثيث ثوبك كوخز إبر ٠٠كنصل خنجر ٠٠"(٧١)

والمخالفة النحوية هنا واضحة في (لانه أباك) ، فالأصح أبوك ٠

أما باطرفي والمحيميد فإنهما يتحدثان بأسلوب التقريرية في جمل متماسكة لكن يمكن الإيحاء في جملة الحكاية ، يقول باطرفي في قصته(وغنى لها) :

" سهاد لاتبكي ، فما جدوى البكاء ٠٠

سهاد يكفي (أرقاً) ٠٠ يكفي لظى ٠ لاجدوى ٠لاجدوى ٠لافائدة ٠

وهانحن التقينا ٠ وهانحن انتهينا ٠ وهاهي قد أزفت ساعة الجرس ٠

كان نضالا حبنا ٠٠ كان قصيدة

بل قصة تروى ، تذاع ٠٠ وملحمة ٠

إيه ياسهاد ٠٠ أضعنا كل شيء ٠ ونفضنا العمر ، حتى التقينا ، وماكدنا ، لنركع من جديد هذا قدرنا ياسهاد ، ولامفر من القدر ٠

قال لها : كم كان يعشقها ، وقالت لن تزال ؟

قال لها : أبديه أنت ، ولن يقوى على حبي الفراق ٠

تذكر كل شيء ، كل شيء وبكى " (٧٢) ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولنضرب مثلا آخر من أقصوصة المحيميد (الظل) :" هذا الليل الأحمق يجيئني كلما مل الضوء التحديق الغبي في وجهي ، وتتأوه أمي المتعبة :

ـ تزوج ياولدي ، فاني لهفى على ذلك .

قال الأخر :

ـ لم أنت قلق وحزين ؟؟

قلت :

ـ الليل يملني كثيرا .

ـ دعه يبتعد عنك قليلا .

في دهشة واستجداء

ـ كيف ؟؟

لم لا تمشي على الأرصفة ظهرا حتى يمنحك الضوء ظلك "(٧٣) .

ومثل هذا المستوى يكشف الإيحاء ولا يبلغ مرحلة الغموض المنغلق حتى أصبح الغموض الذي حدث نتيجة لهذه العبثية باللغة سبيلا لكثير من الناشئة الذين ظنوا سهولة الكتابة أو رصف الكلام والألفاظ أدب ، واحتجوا بأنهم بهذا قد نهجوا منهجا جديدا ، والغموض بغيتهم وتفكيك الجملة وسيلتهم " يخيل لهؤلاء الشبان أن الأمر أصبح فوضى وأن الكاتب القصصي حر فيما يفعل لهذا طفقوا ينشئون قصصا غريبة الملامح ناقصة التكوين ، كمن ينحت تمثالا مشوه الشكل هيكلا بلا رأس ، ولا أطراف فيبدوا غريبا لدى ذي عينين ، ثم إن تهافت الشبان على هذا النوع من الأدب ليس فقط بسبب السهولة كما توهموا إنما بدافع أن يقال : "عنهم كتاب متحررون قد عانقوا عصرهم " (٧٤) .

ومن هنا فإن النقاد العرب والمنظرين في المشرق والمغرب لايقفون في وجه التجديد الذي يقوم على احترام المعتقد والبناء التراكمي العلمي وسلامة اللغة ، وإدخاله ضمن المعرفة الإنسانية يكتشفها الإنسان فيستقي منها ويدخل إليها الحياة " بشرط أن يسير أصحابها في طريق الاعتدال ، وأن يكفوا عن

التطرف ويبتعدوا عن المغالاة والتكلف التى أكسبت قصصهم في بعض الأحيان عنصر الغرابة والغموض ، وأن يولوا قصصهم المزيد من التهذيب والتشذيب حتى يخرج للقراء في قالب أو شكل مقبول يستطاع فهمه ، أما إذا أصروا على مواقفهم وتمادوا في الكتابة بالشكل المعهود فإن قصصهم هذه ستبقى رهينة المتاحف حبيسة رفوف المكتبات "(٧٥) .

وخالد باطرفي بأنه وضع بعضا من أقصوصاته في إطار محدود يتقارب مع القصيدة النثرية في توجهاتها ، وشكلها الفني وقد دأب على وضع خاتمة تشبه المقطع من القصيدة ، يقول في خاتمة أقصوصته(زرتها من جديد):

" الأرض أم ظالمة ، عندما تعطينا

للنور ، تمنح بعضا ، وتحرم بعضا

الأرض أم عادلة عندما

تستعيدنا إلى رحمها ، لاتفرق بين السعداء منا والمتعبين

ليكن .. لن أطالب بالحب

ولكن .. لا أقل من أن تحس بي

.. وأن تفهمني "(٧٦) .

وقد شاركه في هذا الحازمي وغيره من المتأخرين .

******

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حواشي المقدمة و الفصل الأول

(١) د٠محمد زكي العشماوي ، المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة ، ص٧ ، دار النهضة بيروت٠

(٢) د٠ نصر محمد عباس ، البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة ص٢٨٨ ٠

(٣) د٠ نصر محمد عباس ، البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة ٢٨٩ ٠

(٤) سحمي ماجد الهاجري ، القصة القصيرة ،٤٠٠ ٠

(٥) المرجع السابق ، ٤٠٠ ٠

(٦) جبور عبدالنور ، المعجم الأدبي ١١٢ ٠

(٧) محمد يوسف نجم ، فن القصة ٩ ٠

(٨) المرجع السابق ١٠ ٠

(٩) جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ٢١٢ ٠

(١٠) المرجع السابق ٣٠ ٠

(١١) أبو حاقة ، المفيد في البلاغة ٢٣١ ٠

(١٢) جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ٩٧ ، وللاستزادة انظر ، د٠ السيد أبو ذكري ، القصة في الأدب المعاصر ٢٠ ، ٢١ ، ود ٠ محمود الحسيني ، الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ٠

(١٣) انظر جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ٩٧ ٠

(١٤) د٠ محمود الحسيني ، الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة ١٩ ٠

(١٥) محمد حسن العواد ، الأعمال الكاملة ٤٥١ حتى ٤٧٢ ٠

(١٦) المرجع السابق ٤٥٣ ٠

(١٧) المرجع السابق ٤٥٣ ٠

(١٨) المرجع السابق ٤٥٦ ٠

(١٩) المرجع السابق ٤٦٧ ٠

(٢٠) المرجع السابق ٤٧٣ ، ٤٧٤ ٠

(٢١) د. منصور الحازمي ، فن القصة ، ١٤٢ ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(٢٢) المرجع السابق ١٤٣ ، نقل الدكتور الحازمي النص كنموذج .

(٢٣) المرجع السابق ١٤١ .

(٢٤) من أقلام الشباب الحجازي ٥٢ ، ٥٣ ، جمع هاشم يوسف الزواوي ، علي حسن فدعق ، عبدالسلام طاهر الساسي ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، والطبعة الأولى عام ١٣٥٥هـ .

(٢٥) المرجع السابق ٥٥ .

(٢٦) من أقلام الشباب الحجازي ١٧٢ .

(٢٧) المرجع السابق ١٧٤ .

(٢٨) المرجع السابق ١٧٤ .

(٢٩) من أقلام الشباب الحجازي ٢٠٩ .

(٣٠) المرجع السابق ٢٥٨ .

(٣١) المرجع السابق ٢٥٨ .

(٣٢) ثلاثة قرون من الأدب ٢ : ٢٥٢ .

(٣٣) ثلاثة قرون من الأدب ، المجلد الأول ، انظر (فلسفة النظم) ٢٧٠ .

(٣٤) د. سيد حامد النساج ، اتجاهات القصة المصرية القصيرة ٣٩ ، دار المعارف ، الطبعة الاولى .

(٣٥) د. منصور الحازمي ، فن القصة في الأدب السعودي ١٤٣ ، دار العلوم ١٤١٠هـ - ١٩٨١م نقل عن كتاب (أدب الحجاز) المطبوع عام ١٩٢٩م .

(٣٦) من أقلام الشباب الحجازي ٥٣ .

(٣٧) ثلاثة قرون ١ : ٢٧٤ .

(٣٨) د. منصور الحازمي ، فن القصة ١٤٢ .

(٣٩) من أقلام الشباب الحجازي ٢٥٨ .

(٤٠) ثلاثة قرون من الأدب ١ : ٢٧٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٤١) د. منصور الحازمي ، فن القصة ، نقلها عن مجلة المنهل ، المجلد الثاني ١٩٣٨م.

(٤٢) إبراهيم الناصر ، أرض بلا مطر ١٩ .

(٤٣) المرجع السابق ٥ .

(٤٤) غالب حمزة أبو الفرج ، ليس الحب يكفي الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ .

(٤٥) عبدالسلام طاهر الساسي ، الموسوعة الأدبية ٣: ٢٦٥ ، شركة مكة للطباعة والنشر الطبعة الأولى ، إصدار نادي الطائف الأدبي .

(٤٦) إبراهيم الناصر ، أرض بلا مطر ٧٠ .

(٤٧) عبدالسلام طاهر الساسي ، الموسوعة الأدبية ٣ :١٤٠ .

(٤٨) المرجع السابق ٣ :١٣٩ .

(٤٩) غالب حمزة أبو الفرج ، ليس الحب يكفي ٣١٦ ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

(٥٠) إبراهيم الناصر ، أرض بلا مطر ٦٦ .

(٥١) محمد الهادي العامري ، القصة التونسية القصيرة ١٠١ ، الطبعة الاولى ، دار بابو سلامة للطباعة والنشر .

(٥٢) غالب حمزة أبو الفرج ، ليس الحب يكفي ١١٥ .

(٥٣) عبدالسلام طاهر الساسي ، الموسوعة ٣ :١٤٠ .

(٥٤) المرجع السابق ٣ :١٤١ ، قصة أبعاد ، لعبدالله جفري .

(٥٥) انظر أرض بلا مطر في اقصوصة (خيبة أمل) ص ٣٤ .

(٥٦) عبدالسلام طاهر الساسي ، الموسوعة الأدبية ٣ :١٣٧ .

(٥٧) محمد الهادي العامر ، القصة التونسية القصيرة ١٣٢ .

(٥٨) غالب حمزة أبو الفرج ، ليس الحب يكفي ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٥٩) المرجع السابق ٢٨٥ .

(٦٠) غالب حمزة أبو الفرج ، الضياع ٦ ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

(٦١) المرجع السابق ٣٨ .

(٦٢) المرجع السابق ١٩٩ .

(٦٣) عبدالله بوقس ، خدعتني بحبها ٤٠ .

(٦٤) عبدالعزيز المشري ، بوح السنابل ٤٥ ، الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .

(٦٥) القصة نماذج مختارة ، العدد الثاني ، نادي الطائف الأدبي ص ٢٠ .

(٦٦) محمد علي قدس ، النزوع إلى وطن قديم ص ٩ ،الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
(٦٧) محمد علي الشيخ ، العقل لايكفي ، مجموعة قصصية ٢٤ ، الطبعة الأولى١٤٠٢هـ -١٩٨٢م مطبوعات تهامه ٠
(٦٨) محمد علي الشيخ ، العقل لايكفي ٧٦ ، من أقصوصة (صورة على جدار التاريخ) ٠
(٦٩) محمد صالح الشنطي ، القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ٣٠٨ ، الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م ، دار المريخ ٠
(٧٠) عبدالله عبدالرحمن العتيق ، اكذوبة الصمت والدمار ٢٥ ،٢٦ ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ دار الرياض للنشر والتوزيع ٠
(٧١) القصة ، نماذج مختارة ، العدد الثاني ٦٥ ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ٠
(٧٢) خالد محمد باطرفي ، محاولة رقم ٢ ، ٢٥ ، الطبعة الثانية ٠
(٧٣) يوسف المحيميد ، ظهيرة لامشتاة لها ٦ الطبعة الأولى ١٩٨٩م ٠
(٧٤) محمد الهادي العامري ، القصة التونسية القصيرة ١٤٠ ٠
(٧٥) المرجع السابق ١٣٩ ٠
(٧٦) خالد محمد باطرفي ، محاولة ٢ ، ٢٣ ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

البناء الفني

❊ شمولية القصص

❊ اللغة

- الابتذال .
- الأخطاء اللغوية والنحوية .
- العامي والدخيل .

❊ بناء القصة

- الاستهلال - الحوار

الاتجاهات
للقصة
في المملكة العربية
الفنية
القصيرة
السعودية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شمولية القصص:

يمثل القصص أغلب أقاليم البلاد ومدنها الكبرى ، وإذا تبصرت تبصراً شمولياً في المجموعات القصصية ، فإنك تدركُ اختلافَ الغايات وتلمحُ التنوع في الاتجاهات الفكرية ، فمنها ما يتحددُ إطاروه داخلَ مدينة من المدن ومنها ما يتسعُ إلى شمولية الإقليم ، ومنها ما يعلو إلى ظلال الوطن عامة ، ومنها مايتوصلُ إلى كيان الأمة العربية ، فعندما نلقي نظرة متوازنةً مع نشوء القصة القصيرة نواجه بالبداية مع أحمد السباعي (خالتي كدرجان) الذي استمد قصصهُ من البيئة المكية ونجد قرنهُ أحمد عبد الغفور العطار ، يستمد من الواقع الانساني ، بينما تلمح في قصص محمد المغربي (البعث) وعبد الله بوقس (خدعتني بحبها) شميم العبق الحجازي .

ويكتمل التصوير بقصص عبد الله جفري ، فيمثل الحياة التي تطورت بعد توحيد البلاد وقيام النهضة وما صاحبها من العقبات أو تأثير على الانسان ، ولقمان يونس في (من مكة مع التحيات) وقصة الحفله لعبد الله باخشوين (وزغرودة) للدكتور عصام خوقير ، وأكثر من تغلل في الحوائر محمد صادق دياب في مجموعتيه ، (١٦حكاية من الحارة) و(ساعة الحائط تدق مرتين) وهذه المجموعات تنقلك إلى دائرة الإجرام والسجون أحياناً ، وإلى مشاكل الارض أحياناً أخرى وإلى التجارة وتقلباتها ، وإلى مشاكل المرأة والتعليم والأمن ، والتطور وتصف الأحياء الشعبية ، والمنتديات العامة ومجمعات القهوة والشاي ، ومشاكل الزواج والطلاق ، إلى جانب الموروثات الشعبية ، واللجهة الحجازية التي تبدو في الحوار ، ويقترب منهم ابن قرية (خليص) محمد الشيخ في مجموعته (العقل لايكفي) وفيها أصرار ابن القرية على

التطور والتعليم والكفاح الذي ينسحب على أبناء القرى في الوطن عامة .وإذا انتقلنا من الأغوار وتهامة إلى الشفا والطائف فإن محمداً الشقحاء قد أفاض في تصوير البيئة لمنطقة الطائف في مجموعاته ،(البحث عن إبتسامة ، وحكاية حب ساذجه ، والانحدار ، والغريب) وظهرت معالم للمدينة المنورة في مجموعات غالب حمزة أبو الفرج ، ومجموعات حسين علي حسين

أما تصوير القصة للمنطقة الوسطي فإنه أقل بكثير من اللوحات التي عرضت عن الحجاز أو المنطقة الجنوبية ، ويعود ذلك لقلة الكتاب الذين كتبوا بالقصة ، ولأن من كتب لم يكن هاجسه إظهار معالم المنطقة إنما كان يتصدي للقضايا ويلح عليها ، ومع هذا لا نعدم استعراض اللوحات في قصص ، سعد الدوسري ، (انطفاءت الولد العاصي)ويوسف المحيميد في مجموعته (ظهيرة لا مشتاة لها) وخالد اليوسف في (مقاطع من حديث البنفسج) وعبد الكريم النملة (نزوة) .

أما المنطقة الشرقية فتحدث عنها إبراهيم الناصر الحميدان في مجموعتيه (أرض بلا مطر) و (عيون القطط) وخليل إبراهيم الفزيع في مجموعاته (الساعة والنخلة) و (النساء والحب) و (سوق الخميس) .

أما المنطقة الجنوبية فانها حظيت بمجموعات قصصية عرضت لوحات اجتماعية وشعبية وقضايا متعددة ، وكان لجازان نصيب كبير منها .

ومن أقدمهم القاص محمد بن زارع بن عقيل فله مجموعات قصصية قصيرة وبعض الروايات(١) ، ومنهم طاهر بن عوض بن سلام المولود عام ١٣٤٢هـ فله أربع روايات ومجموعتان هما (السفن المحطمة) و(الندم) (٢)، ولحجاب الحازمي مجموعة قصصية هي (وجوه من الريف)(٣) وعبده بن خال المولود عام ١٣٨٠هـ وله (حوار على بوابة الأرض)و(لا أحد)(٤) ، وقد كتب علوي الصافي مجموعة من المقالات عن القصة في جازان وله مجموعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(مطلات على الداخل)، ومجموعة حسن حجاب (ذاكرة الدقائق الأخيرة)، ونالت الباحة الحظ الأوفر فقد صور بيئتها وعاداتها وتقاليدها القاص عبد العزيز مشري ، في مجموعاته (الحوت على الماء) ١٣٩٩هـ و (أسفارالسروي)١٤٠٦، و (بوح السنابل) ١٤٠٧هـ، و(الزهور تبحث عن آنية)١٤٠٨هـ ، والكاتبة مريم ابنة محمد الغامدي في مجموعتها (أحبك ولكن) ١٤٠٨هـ .

وهذه الموجموعات وغيرها أفصحت عن الحياة في مدن وقرى الجنوب ، وعاداتهم وتقاليدهم ، ومعاناتهم ، ومما يحمد للكتاب هؤلاء أنهم يعمدون إلى إبراز تلك المنطقة ، حتي اللهجات فانهم حاولوا إبرازها وبثها في حوار الشخصيات .

أما المنطقة الشمالية فقد لمع بعض الكتاب من حائل ، ومنهم جارالله يوسف الحميد والقاص عبد الحفيظ الجازع الشمري ، والشمال الشرقي حظي بمجموعة واحدة للكاتبة قماشة السيف في مجموعتها (محادثه برية في شمال شرق الوطن)، وأما غربها فلم تظهر عنه مجموعات ، ومن الصدف أنني من شمال غرب البلاد وأقوم بدراستها ولم أعثر على ملامح تلك البيئة ، ومع هذا فأنا سعيد لمعايشتي تلك البيئات التي تنقلت إليها بالبصر وها أنا انتقل اليها بالبصيرة .

وقد دب هاجس إلى كياني يبحث عن علاقة طرفي الشمال فهما شمال لأرض واحدة تجوبها القبائل المتناثرة ، تكسوها الصحاري الذهبية الحمراء ، ترتحلها الرمال وربما أن مصدرها الغرب ، فنحن نعايش أرتال الرمال المسافرة من (حسمى)في أقصي الشمال الغربي تجوب الأفق إلى (بسيطاء)لتستقر في صحراء الدهناء والحياة الإنسانية تتطاير في فضاء الكون كعبور تلك الرمال (تستأنف أسفارك ..تنتزع نفسك من المكان بقوة .. جنوباً تيمم .. جنوباً

تتدانى ! وتوغل رحيلاً أهو انحدار أم اعتلاء ، لا تدري بعد ثلاثة أيام من السير الحثيث كنت تدخل دوامة الصحراء ربما بحثاً عن الكنز الحقيقي عن أثر إنساني .. ربما تنطلق الجبال بإشارات خفية منحوته فهي دائما تسمع ولا تجيب بدت لك الصحراء بحراً مواراً من رمال عاصفة) .

وهي تصور حياة الصحراء بقساوتها وشدتها وعنائها ومكابدتها الدائمة بل احتوت الأشياء فيها حتي الإنسان ومعالمه يصارعها حيناً حتي تصرعه:

" قصيدتك تبتلعها الرمال الساخنة تدحرجها تطويها بمنحدراتها المنتظمة بقسوة ممضة .. في الصحراء الكل يصمت بصمتها ، الإنسان يصمت ، والكلاب تصمت ، والقلائص تصمت ، وكل شيء واضح وصارم ، ولا يحتاج إلى مناقشة أو تعليل ، هو يحتاج إلى مواجهة (٥).

والقاصة تحكي معاناة أعرابي الصحراء ، الذي يفترش الأرض ويستظل السماء ، الذي يدور في فلك واسع من الرمال ، يجوبها منفرداً ، يحمل قربته على كاهله ، يتيه في فيافيها ، تلفحه بلهيبها ، تضنيه بمفاوزها ، تهلكه بقحطها يفكر في نجاته لا غير ، يقسو بقساوتها ، لكن جهده يفوقها أحيانا ، وإنسانية تتألق رغم ضراوتها ، لكنها حقاً حياة حزينة :

" تتلفت تدير النظر .. ما من شيء غير أحزانك والكلاب الحزينه تتبعك .. تزود بجرعات ماء من القربة ثم تحكم إغلاق فوهتها خشونه عباءتك التي بلون الرمال تلوح بأطرافها الرياح .. تنتزع نفسك من الأرض بقوة يفجعك إحساس بأن لاشيء غير نفسك ، أنفاسك تتبدد هباء لكنه عزمك الذي يفلق الصحراء بكبرياء" (٦).

تلك ومضات من حياة الأعراب تفاعلت معها وأعجبت بإيرادها وأحسست بعمقها لمعرفتي الحقة بها ، وزاد إعجابي قدرة الكاتبة على تجاوز المدن التي تعايشها في زمننا الحاضر إلى سبر غور الماضي وإن وجد من يعيش تلك الحالة إلى يومنا هذا .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقصة تمثل جوانب من حياة شمال شرق الجزيرة وتفسح المجال في الرحلة للقوافل تدب في وهج الشمس وثقل السير في الرمال إلى جانب الفروسية والصراع الحربي ، وتلك في لمحات توحي ولا تطنب .

والقاصة تستقرئ الأحداث ولا تفصلها ، وتأخذ جانباً وتميزه ، واجتنبت الحدث وتسلسل بنيته وعضويته ، ولغة القاصة لغة مشرقة فصيحة اجتنبت العامية حتى في حوارها ، وثقافة القاصة أمدتها بألفاظ قريبة المتناول في غير إبتذال وتبذل .

وهناك شريحة عريضة من المجموعات القصصية نظرت نظرة شمولية لهاجس الإنسان وقضاياه ، فهي تعالج إنسانية الإنسان وقضاياه الفكرية مثل التعليم وغيره ، ومنها ما يعالج قضاياه كقضية البعثات العلمية ، وقضية عمل المرأة وتعليمها ، والعنوسة والطلاق وأنت تقرأ هذه المجموعات قراءة وطنية لا أقليمية أو قروية ، فهي سمت في الأفق العام للمجتمع ، وما أكثر هذه الشرائح بل إن المجموعات التي لا تميل إلى الخصوصية نجد فيها سمو في معالجة القضايا .

ومن أقدم وأشهر الكتاب والمجموعات : أحمد عبد الغفور العطار في مجموعاته (اريد أن أرى الله) و(جحا يستقبل نفسه) ، ثم عبد الله جفري في مجموعاته (حياة جائعة ١٣٨٢هـ) و(الدار الآخر ١٣٨٩هـ) و (الظمأ ١٤٠٠هـ)وهذه تمثل نبضات شعورية ومواقف إنسانية .

ومن أشهر كتاب القصة غالب حمزة أبو الفرج الذي تنقل في ميادين الابتعاث كثيراً ، وطرح قضاياهم ومشاكلهم ، وأيضا له معالجات قصصية لقضية الزواج من الخارج ، إلي جانب قضايا تعليمية داخل الوطن ، وله مجموعات متعددة منها (قصص من بلادي ١٣٨٣هـ) و (ذكريات لاتنسى ١٣٩٨هـ) و (ألقاك غداً) و(البيت الكبير) و (سنوات الضياع) و (ليس الحب يكفي) .

الأقدار) لبهية بوسبيت ، و لخيرية السقاف (أن تبحر نحو الأبعاد) ، والمجموعات النسائية تميل إلى رسم لوحات لمراحل قضايا المرأة في بلادنا .

والقاص السعودي لم ينزو إلى محلية بل تصدى لقضايا الأمة العربية والإسلامية كالقاص عبد الكريم الخطيب في مجموعته (شجرة الليمون) ، والقاص محمد الشقحاء في عدد من قصصه ، فكلاهما تحدث عن القضية الفلسطينية ، ومجموعات باقادر (الزمردة الخضراء) عن قضية الكويت ، وقريباً منها بعض قصص خالد أحمد اليوسف فى مجموعته (إليك بعض أنحائي) .

يكثر كتاب القصص في بلادنا ، وتكثر قصصهم ومجموعاتهم القصصية ، لكنهم غالبا لايختصون بلون واحد ، فأكثرهم يعني بكتابة المقالة والتأليف وآخرون ينظمون الشعر ، وثالثهم الأقرب رحماً الذين يكتبون الرواية والقصة القصيرة فجفري يكتب القصة القصيرة ويمارس كتابة المقالة أكثر ، والدكتور عصام خوقير يكتب الرواية وتغلب عليه ، وله بعض القصص القصيرة (زغرودة بعد منتصف الليل) ، أما غالب حمزة أبو الفرج فتغلب عليه كتابة القصة القصيرة لكنه يكتب الرواية مثل (غرباء بلا وطن) ومثله عبد العزيز مشري .

ومع العدد الكبير لكتاب القصص إلا إنهم يتفاوتون في مواصلة كتابتهم ، والإلحاح عليها ، فمنهم المقل وقليل منهم المكثر ، شأنهم شأن الشعراء ، ولذلك لما داعبتني فكرة الترجمة لأعلام القصة القصيرة ، وحاولت إحصاء نتاجهم القصصي تبين لي أن أكثرهم لم يتجاوز ست مجموعات ، ولعلي أطرح تصوراً للقاريء بالإشارة إلي مجموع النتاج للذين تجاوزوا الثلاث مجموعات وهم : غالب حمزة أبو الفرج فله ست مجموعات ، وإبراهيم الناصر الحميدان له أربع مجموعات ، وعبد الله جفري له ثلاث مجموعات ، ولخليل الفزيع أربع مجموعات ولعلوي الصافي ثلاث مجموعات ، وأكثرهم القاص محمد الشقحاء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فله ثمان مجموعات ، والقاص حسين علي حسين له أربع مجموعات ، وللدكتور عبد الله باقازي أربع مجموعات ، وعبد العزيز مشري له أربع مجموعات ، وخالد اليوسف له ثلاث مجموعات ، ولعبد العزيز الصقعبي ثلاث مجموعات ، ومنهم من صدر له مجموعتان : فوزية الشملان ، محمد صادق دياب ، وعبد الله باخشوين ، وخالد باطرفي ، ورقية الشبيب وفوزية الجارالله ، وقماشة عبد الرحمن العليان .

ومنهم من أصدر مجموعة واحدة ، وهم أكثر من أن يحصوا إلا في كشاف وربما أن الكاتب خالد أحمد اليوسف رصد ذلك في كتابه الراصد ، ولكن نلاحظ أن اكثر الكاتبات توقفن بعد إصدار المجموعة الأولي ومنهن بهية بوسبيت ، وخيرية السقاف ، وقماشة السيف ، وفاطمة داود حناوي، ولطيفة السالم ، ومريم الغامدي .

اللغة :

الابتذال:

الابتذال هو ارتباط المفردات أو التراكيب أو الصور بمعانٍ يُستحى من إظهارها والبوح بها ، وتخفى غالباً من وراء الإشارة أو الرمز ، كألفاظ الغرائز والألفاظ الجنسية وأعضائها ، والملابس الداخلية ، وألفاظ الفضلات ، وألفاظ التراكيب النابية من الشتائم وغيرها .

والألفاظ والتراكيبُ ليست ثابتة الابتذال إنما تخضع لدلالتها المعاصرة للاستخدام والابتذال يكون في المفردات والتراكيب والصور .(٧)

وعندما ننظر نظرةً واقعيةً نجد أن الابتذال يتداوله عامة الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم ، مثل ما يسمى (بالقهوة) التي يجتمع فيها جمع من الناس لا يرعوون عن الألفاظ السوقية ، أو المضامين البذيئة التي تضمن ألفاظا مبتذلة

ونحن لما نطلع على القصص نجد أن كثيراً منها يستمد مضمونه من الواقع الشعبي ومنتدياته من الأسواق والأحياء والمقاهي ، وكثير من أبطال القصص وشخصياتها من عامة الناس ويحيا في تلك الأماكن ، لذا نجد أن هذا الواقع يكسو بعضاً من القصص بألوان من ألفاظ الابتذال وتراكيبه وصوره ، بل إن بعض الكتاب يلح على هذه الناحية ويهدف إلى إبرازها بواقعية مبتذلة ، وكثيرا ما تظهر في القصص القذارة والأوساخ وألفاظها ، والصور للمناظر البائسة أو السيئة بهدف الكشف عنها وإظهارها لمعالجتها ، والذي يسجل للقصص السعودي أنهم نأوا عن البذاءة والابتذال الجنسي من الألفاظ والتراكيب والصور ، غير أنهم يرمزون بمدلولات عامة للمرأة إلى قضايا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اجتماعية أو سياسية أو غيرها لكنهم لايسترسلون في أوصاف المرأة أو الجنس بخلاف المجاهرة التي تظهر في قصص أجنبي أو عربي في كشف فاضح وصراحة بذيئة وابتذال جنسي بحجة الرمز إلي المجتمع أو الوطن أو الأرض ٠

والابتذال لم يختص به كاتب أو كتاب ، أو مجموعة قصصية ، أنما يرد في بعض المجموعات القصصية ، ومع كل الدوافع الداعية إلى الابتذال فأني اميل وأقدر أولئك الذين صاغوه في قوالب سهلة ممتنعة قريبة المأخذ يدركها العامة والخاصة ، وارتفعوا بذوقهم عن الابتذال ، وسأشير إلى بعض الأمثلة عند حديثي عن المجموعات القصصية ٠

التراكيب المبتذله :

والابتذال في التراكيب يتأتى من خاصية التراكيب حيث الألفاظ دارجة سوقية وأيضا تراكيب الجمل بإدخال حروف لا داعي لها ، أو هي تكون أشبه بكلام السوقه ومن ذلك :

" إنني لم أعد سوى كلب أجرب "(٨)

" جعلني الانشغال أنساه وأهمل شأنه" (٩)

" كأنه القرب المليئة بالماء تصور أمامه تلك الشجرة كبيرة بحيث حجبت الأفق الغربي " (١٠)

" يمسكون بأغصان تلك الشجرة "(١١)

" وزادت جراحي عندما تخلي عني كليهما وكأنني لم أكن لهم ابنة بل مرضاً خبيثاً يهددُ حياتهم بالخطر"(١٢)

" (فكليهما) خطأ نحوي ، ثم عادت بضمير الجمع (لهم) للمثنى ٠

" ولكن كان أمل أخير جعلني أتعود بالصبر" (١٣)٠

" أفاق من نومه وأخذ يستعرض أحلام نومه "(١٤)٠

الابتذال في الصـــــور :

والكاتب عندما يستمدُ تجربتهُ من واقع اجتماعي لطبقة متدنية في مستواها المعيشي والوعي الذوقي فإن الابتذال يظهر في ألفاظه وتراكيبه وصوره ، كقول أحدهم " حذاءُ لين أخضرُ مغلف بمطاط ، الثوبُ قصير بلون التراب ، على الكمين بريق ناشف من مسح الأنف ثابت كالشن ، ودائرة مرتقة مكان الجلوس من الخلف ، وفي ظهر الكف اليمني تغور خطوط حمراء داكنه من شوك (العقش) (١٥) .

فصورة الحذاء والثوب الخلق واثر سوائل الأنف ، وصورة الثوب التي تماثل الشن من قرب الماء فهو يابس من تراكم العرق وصورة الدائرة على مؤخرة الرجل كلها صور مبتذلة في عصرنا الحاضر وفي جل العصور .

ومن هذه الصور ما يظهر في التراكيب الشعبية التي تتداول في المنتديات الشعبية ومرتادو المقاهي :-

" صوت درويش من ركن المقهى :

ياقهوجي هات براد حلاه برا

يصيح جابر من مكانه :

أبو أربعة أسود حلاه برا

يتعالى صوت المعلم عماك الله ماتشوف ...

أنت تربية امرأة لا تنفع للعمل في المقاهي " (١٦) .

وكتب آخر :

" صباح رطب ، جسدي الصغير يتكوم على فراش قطن رائحته عرق وبول ، وخدي الأيسر تلامسه برودة وسادتي الإسفنجية المبتلة من بقايا لعابي ، بقع الشاي موزعة على ثوبي ..." (١٧).

وحري بالكاتب أن يلمح ويخفي من الألفاظ والصور المبتذلة في هذه النصوص .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأخطاء اللغوية والنحوية :

الأخطاء اللغوية والنحوية :

ومن الأخطاء اللغوية كلمة (نص) حيث أوردها القاص بمعنى نصف ساعة في قوله :" خلصني ياعم صالح .. صار لي نص ساعة واقف " (١٨) .

والكلمة إذا كانت اختصارا لنصف ساعة فهي من العامية أما إذا كانت كاملة فالكلمة فصيحة لكنها استعملت في غير معناها الأصلي ، فالمعنى الفصيح هو صيغة الكلام الأصلية ، أو هو صوت الشواء .

ومن الأخطاء اللغوية الوهم بأن البنات غير الأولاد في النص التالي :

" أنجبت لي (دستة) من الأولاد والبنات "(١٩) فالاولاد يشمل البنين والبنات .

ومنها كلمة (تلاشي) " حاولت فتح جفني فلم أستطع ، ثقلت يداي على صدري بعد أن تلاشى تحتها وجيب قلبي " (٢٠) .

ومنها إستخدام كلمة (دب) بمعنى إرتطم في : " وتحاملت على نفسها وجلست فدبت مؤخرتها الثقيلة على أرض الغرفة "(٢١) فلم ترد في المعاجم (دب) بمعنى ارتطم ، وإنما بمعنى سار رويدا رويدا ، وقد وردت الجملة في عرض الحديث عن الأم ، وهذا التعبير عن الأم ليس من الذوق في شيء .

ومنها : " وشعرت بالجوع .. وأنا أتلفح بثوبي البالي لأسير وحيدة في الطريق " (٢٢) والصواب أتلفع أو التحف ، وقد وردت التلفع بمعنى التلفح وإن كانت تحتمل الأستعارة في نص عبدالكريم الخطيب يصف مسنا كبيرا فلسطينيا : " لقد لفعه التشريد الأول في مسقط رأسه يافا ، ولفعه التشريد الثاني إلى هذا المخيم " (٢٣) فأرى إن لفحه أولى من لفعه .

ومنها " تطالع قمم الجبال الشمة " (٢٤) والأصح شماء وشم .

وكتاب القصة يحرصون على الإلتزام بالمعيارية النحوية ، ومع ذلك تند بعض الأخطاء ومنها :

- " على الرغم من أنه ذا ثراء واسع ، وذا زوجات " (٢٥) فالصواب (ذو) لكونها خبر إن مرفوع بالواو .

- " أخذت الدهشة من زميلاه في العمل " (٢٦) الأصح من زميليه .

- " أفكار شتى رمت بقدماي " الأصح بقدمي .

- " رأت الأم عينا الطبيب " (٢٧) والصواب عيني الطبيب .

- " ومنها : " ويحرك أذناه " و " صفق أذناه " (٢٨).

- ومنها الأتيان بحرف الجر في مفعول الفعل المتعدي أو القول " يبلغ الحاكم بأن هناك إنسان " (٢٩) فقد أتى بالباء قبل (أن) مع أن الفعل يبلغ متعد ، وأيضا فإنه لم ينصب (إنسان) مع أنها اسم أن مؤخر .

وأدخل حرف الجر في مقول القول " قائلا لهم بأن الحاكم ليخطىء" (٣٠) .

والواقع أننا نعثر على أخطاء نحوية في المجموعات القصصية ، ويعود إلى عدم المراجعة ، وإلى كون أكثر المجموعات تمثل النتاج الأول لمرحلة الشباب فهم في بداية الطريق ، وكثير منهم لم يختص في اللغة وآدبها ، أو أنه انقطع عن الدراسة في مرحلة مبكرة ، وبعضهم كتب مجموعته قبل أن يصل المرحلة الجامعية .

ومن الاستخدام العامي الذي يأتي في نص مطول :

- " أين كنت يامريم ؟ ... سألت الأم .

في أمعريش ، يمه جالسه أطحن .

هل انتهيت ؟

إنني " أعتق " على فكرة " الشتاية " صغيرة .

لابأس .. سأسبقك إلى " أمزهب " للصرب ..

إذا انتهيت ضع " أمرهي " في " أم ركن " وعلقيه في " ربع أمعشة " حتى أعود لاتنسي تنظفي " أمهجان " (٣١) .

والقاص مدرك لانغلاق فهمها على معاصريه مما جعله يشرح الكلمات في مجموعته ، ومثل هذا الشرح يندر ، ولو أورد كل قاص لهجته في قصصه لمل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علوي الصافي القراءة ولكانت وقفا على الإقليم فحسب ، وفيها من أسباب الاختلاف ما فيها .

ولكن الأكثر من ذلك رواجا هو ما يوظف في جمل قليلة تصدر من رجل عامي يدير متجرا ، أو يتأذى بشقاوة أطفال الحي فيخاطبهم :

" كش .. طسوا .. الله يقطع عيون الشياطين " (٣٢) .

ومن الظواهر البارزة في المعجم اللفظي للقصة كثرة الدخيل نتيجة لما طرأ على حياتنا الفردية والاجتماعية من صناعات مختلفة تحمل مسميات غربية وشرقية ، ولم تستطع المجمعات اللغوية ، والمؤسسات الأكاديمية المعنية باللغة أن تواكب السرعة المتدفقة لغزو هذه المسميات مما جعلها تدرج على ألسنة العامة والخاصة ، ومنها : التليفزيون ، والتلفون ، والدينمو ، والبوتاجاز ، وبعضها عرب كالفستان ، والفنجان . (٣٣) .

بناء القصة :

الاستهلال :

المواجهة في القصة القصيرة يغلب عليها الشمولية لفكرة الحكاية ومسيرة الحدث، وتحديد الزمان والمكان ، وهي الإطلالة الأولى على القصة ، فينبغي أن تكون المواجهة جذابة أو قوية تماما كدهاليز القصور التي تعنى بالمناظر ، أو هي " تقوم بنفس العمل الذي تؤديه (كمرة) التلفاز عندما تعرض في البداية منظرا شاملا ثم تقترب مركزة على الموضوع المباشر "(٣٤) .

بل إن كاتب القصص يواجهنا بلوحة فنية يقرؤها لنا ، كقصة (المنحوسة) و(تذكرة سفر إلى القدس) فإن كاتبها محمد المنصور الشقحاء ينقل لنا معالم صوره فيقول :

" وتلفت حولي أبحث فيهم عن شيء غير الصورة التي شدت بصري من أول خطوة خطوتها داخل المعسكر ، وتناثرت أسئلتي على الأرصفة المغبرة تسأل عن حقيقة ما أشاهد ، كان يطل من عيون الجميع الجوع واللهفة والخشية ، ومسامير الترقب تملاء الأحداق دما " (٣٥) .

وتظهر تلك المقدمة دوافع تجربة القاص المتمثلة في واقع الشعب الفلسطيني المجاهد وتبرز لنا انفعال شخصية البطل في القصة ، ذلكم الشعب المجاهد في ذاته ، المشرد عن وطنه ، المطارد بالطائرات ، المحطمة حضارته وتارة أخرى يحدد الشقحاء الزمن والمكان ويرسم في مسرح حركي مشاهده كمقدمة لقصة (الأخوات الثلاث) فهذه مقدمة لقصة (ليل لنا وللمدينة نهار) فهي توحي بالانعزال داخل الحجرات المظلمة ، وتشير إلى تلوث الهواء داخلها وإلى حالة الكآبة التي أثقلت بعضا من الناس . فقد حدد المكان وألقى بأوصافه ومن ثم انطلق في قصته التي تفوح بغبار الحرب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمطلع على المجموعات القصصية للكتاب في بلادنا تتمثل له الخلاصة الاستهلالية التي تكون بمثابة المواجهة التي تجذب القارىء إلى مسرحها من بداية الرعيل الثاني ، كغالب حمزة ، والجفري ، وغيرهما غير أن هذه المقدمة تخفت عند الرعيل الأول من القصاص كأحمد السباعي في (خالتي كدرجان) و(البعث) لمحمد مفربي وغيرهما ، فهي أقرب إلى التقرير والتصريح ، ومن ذلك بعضا من مجموعات عبدالكريم الخطيب (شجرة الليمون) فإنه يباشر التركيب العضوي للقصة ويستهل بسرد الحدث ، كقصة (من الماضي البعيد):

" صاحت به أمه توقظه وهي تقول : قم ياراشد كفاك نوماً الفجر قد حان ، قم للصلاة وتوكل على الله إن موعد العمل قد أزف .." (٣٦) .

ونتيجة لمتابعة هذه الظاهرة في قصصنا فإن الأوائل لم يعنوا بها ، لأن تقنية القصة القصيرة لم تصل إليهم ولم تخضع للبحث والدرس في أزمانهم ولكن أخذت تنمو عند الجيل الثاني الذي تواصل مع بناء القصة ، والتزم بها الكتاب المتأخرون .

والقضية الاجتماعية هاجس للكتاب دائما ، فهذا عبدالكريم النملة يعالج ظلم الزوج لقرينة حياته ، فيبدأ قصته (ولادة موت) بمقدمة موحية :

" أخذت تخاطب طفلها وآلام الولادة لازالت عالقة بجسدها الناحل : لماذا أتيت إلى دنياي هذه ، هل جئت تشاركني آلامي التي لم تبرح نفسي يوما من الأيام ، أم جئت لتزيدها وتؤجج نارها وترسم أقدام الحزن في صدري" (٣٧) .

فهذه العبارة توحي بالمشكلة ، وتصور الجرح العميق للزوجة من تجاوز قرينها وتعدياته ، والجمل تحمل الزهد في الدنيا من جراء الذل ، والتعلق بها من أجل الولد ، فالأم تستشعر حياة اليتم لأطفالها .

ومن المجموعات القصصية النابتة في أزمة الخليج (إليك بعض أنحائي) لخالد اليوسف ، وفي هذه الحرب سيطر على الناس الخشية من الحرب

الجرثومية والذرية ، فاستعد الناس بتهيئة غرف لايدخلها الهواء ليلجأوا إليها وقت الشدائد :

" مازال القلق منغرسا فيك ، والسهر يرسم خطوطا في المآقي ، والصراع في عينيك مسكنه ، ألم تستطع ضبط أعصابك ؟ ألم تكن ليلتك عادية كالليالي المستمرة على المدينة ؟ لم وصلت إلى هذه الحالة ؟ ثقتك الساكنة اضطربت ، سوء أحوالك أفقدك البريق المشع ، إيمانك بكل القناعات صار مهزوزا ، أنت كبير العائلة وخوفك الواضح سيخيفهم ، قم من مكانك القاتم ، الرائحة النتنة مزعجة منذ أن أغلقت الشبابيك والأبواب " (٣٨) .

ومحمد الشقحاء يحدد المكان والزمان ويصور الشخصية في موقف حركي متأمل متفاعل :

" في عصر يوم من أيام الشتاء القارس ، وقفت فتاة صغيرة أمام واجهة المكتبة الصغيرة وراحت تتفحص بعينيها الكبيرتين تلك الدفاتر والمؤلفات باهتمام زائد كأنها تبحث عن شيء أو تفتش عن غرض ، وفجأة انتصبت بقامتها الصغيرة ، واعتدلت وقد ارتسمت على محياها أمارات الفرح والحبور . . . " (٣٩) .

فقد حدد الزمن وهو أيام الشتاء القارس ، الذي يوحي ليله بالطول والقلق والضجر فيدعو إلى البحث عن مخرج فإذا المكتبة المكان المناسب للانتزاع من ذلك ، وأخذت الفتاة قصة كي تخرج أختها الكبرى من ضجرها وعزلتها ، فالمقدمة لصيقة جدا بالحدث .

وأكثر ارتباطا بين المقدمة والمشكلة مقدمته لقصته (إنه ولد) التي تحكي تثاقل كثير من الآباء بالمولودات من البنات لاسيما إذا لم يرزقوا بذكور ، فقد استهلها بقوله :" أجل إنه ولد "(٤٠) . وقد درج الشقحاء على هذا المنهج في جل قصص مجموعته (البحث عن ابتسامة) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما مقدمة علوي الصافي فإنها توحي بالفكرة وتجسم المشكلة ، وتحدد الزمن بالحدث ، حدث الولادة ، والمكان يعرف حتما بالمستشفى بقرينة الممرضة في مستهل قصته (أولد أم بنت) فيقول :

" كانت في الداخل تتألم وهي تهذي .. وهو في الخارج صدره مصنع .. ورأسه يضج بكل هموم الدنيا .. يفتح الباب .. تخرج ممرضة يهرع إليها .. وجهه يرتجف عيناه زائغتان "(٤١) .

الحوار :

أحد عناصر بناء القصة القصيرة حيث ينقل من السير على مسرح الحدث إلى الوقفة والتأمل بين المتحاورين ومشاركة القارىء الذي يكون بمثابة المشاهد ويهدف إلى تطوير الشخصية الهامة في الحدث أو إحدى الشخصيات أو دفع الشخصية البطل للاندفاع أو محاولة كشف هذا الاندفاع فتتجلى صفة البطل المسيطرة التي تأبى الرجوع أو الاقتناع ، وهو وسيلة لإظهار المضمون بصورة غير مباشرة ، أو دلالات شعورية تصحب الحوار وتفهم منه ، أو كثافة المضمون الاجتماعي بواسطة هذا الحوار وإظهار الصراع بين الشرائح واختلاف التركيبة الذهنية كما يحدث غالبا بين متعلم وجاهل وبين مندفع ومتعقل بين مهاجر للمعرفة ومقيم ، بين ثائر تأثرا ومستفيد متأمل ويظهر ذلك كثيرا في قصص غالب حمزة أبو الفرج في معالجته لقضايا الابتعاث .

والحوار في القصص السعودي يكون بين شخصيتين أو بين الإنسان وذاته كما في قصص الجفري ، ورقية الشبيب ، وهو يكون متعارضا متقابلا كما في البعث لمحمد مغربي ، ويكون هامسا رومنسيا ، أو يكون متقاربا متكاملا في قصة (الأفعي التي تركت الألماسة) للدكتور عبدالله باقازي .

والحوار يلتهب بدلالات متفاوتة ، فنغمة الحوار لها مؤثراتها ، وتقسيمات الوجه تشير إلى علامات مميزة ، والإيماءات وحركة الجسم لها إشاراتها المتنوعة .

والحوار في القصص السعودي الأول يفقد وهجه ، ويقل تناثره في المجموعات القصصية الأولى لأنها تعمد إلى السرد والتقرير ، لكن لما استوت القصة على ساقها أخذوا في توظيف الحوار وإن تفاوتت قدراتهم في ذلك .

وأحيانا يكون الحوار بواسطة الرسائل والقاص يورد نص الرسالة أو يذكر فحواها كقصة (عندما تتراكم الأخطاء) فيقول كاتبها :

" وهو لاينسى آخر رسالة وصلته منها كانت الرسالة تحمل في طياتها كلمات كثيرة أشارت فيها إلى الأيام التي مضت ، وكيف كانت ... وكيف تعيش المرأة في مجتمع بينها وبين الناس سياج كبير .. جعلها تدرك صعوبة الحياة في ذلك المجتمع الذي تجهل عاداته وتقاليده وأساليبه " (٤٢) .

فالقصة تحكي مساوىء الزواج من الخارج والنص يوحي بضيق الفتيات المتحررات بتقاليد الوطن مما يحطم الحياة الزوجية .

ومن الأمور القريبة المتناول في الحوار ما تحدثه الأسئلة التي يطرحها القاص ليجيب عنها كما هو شأن القاص آنف الذكر في قصته(الغد الذي ترمق) التي تعالج الانحراف عن سنن الحياة الزوجية والتعرض للعنوسة ، أو يظن الأب أن المرأة مجرد سلعة ، يمكن لها أن تظل بين غرف القصر وردهاته بملابسها المزركشة وقد امتلأ صدرها ومعصمها بالعديد من الجواهر والحلي ، أم إنها إنسانة تبحث عن رفيق دربها الذي يستطيع أن يشيع الابتسامة على الوجوه الخجلى ، ويقول فيها " لماذا تظل الدنيا هكذا على هذا المنوال ؟ لا الفقير في راحة ذهنية ، ولا الغني كذلك ، ولكل واحد منهما همومه ومشاكله"(٤٣) وورد في قصصهم كثير من هذا اللون (٤٤) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن الكتاب من يعمد إلى إثراء قصصه بالحوار الذاتي ومن ذلك عبدالله باخشوين في مجموعته (الحفلة) فقد أكثر منه فيأتي به أحيانا في مستهلها كقصة(الأصدقاء) وتارة في وسطها وآخرها ، وهو يكرر الحوار في ثناياها ، ويغلب عليه الاتكاء إلى الأم (٤٥) فهو يوظف الحوار الوهمي في قصته (كل الخطى وئيدة .. كل الخطى مسرعة) :

(النقرات خفيفة على الباب .. أطوى الكتاب .. لا أحد ، النقرات متلاحقة...حفيف الثوب ووقع الخطا المسرعة ، يؤكد أن ... لا أحد ، الطرقات قوية على الباب ...اندفع مسرعا علني ألمح صاحبها ... أنادي ، اتلفت .. أصرخ قف .. لا احد ، أقرر أن أغلق الباب بالمزلاج ولا أفتحه لكائن من يكون حتى ولو أراد أن يحطم الباب ، فهذا الحوار مع الذات الخائفة المترقبة التي تبحث عن الهدوء والاستقرار ، فيعاودها الهاجس المرة تلو المرة الأخرى)(٤٦).

والحوار عند بعض الكتاب لم يكتمل بضوابطه القصصية وإنما تستشعر أنه اجترار للماضي وذكرياته ، فعبدالكريم الخطيب لما يخاطب سمرائه فالأحرى إنها إحدى قريباته في مدينة ينبع التي كانت تصحبه في طفولته :

" لازلت أذكرك ياسمرائى الصغيرة ..معذرة وألف معذرة لنا من الماضي مسراته ، ولنا من الحاضر أحزان الفراق ، أتذكري يوم نصبنا فخا وقعت فيه وزة أسيرة ، وجدنا في أرجلها ورقة صغيرة مغلقة بالشمع الأبيض ، كتب عليها صاحب الوزة " إنها وزة قادمة من العراق " دفعت بها المقادير إلينا...."(٤٧) فهو لم يكن حوارا عقليا ينمي فكرة ، أو يوحي بصورة إنما أشبه بالالتفات البلاغي .

ويجد القارىء لقصص غالب حمزة أبو الفرج أنه يوجه الحوار كي يثري الحكاية الذي جرى في كقصة (الصدى) التي تحكي آثار الحرب اللبنانية تقول

ريم :" سأكذب عليك إذا قلت بانني لم ألاق من المشاق ما ينوء به كاهل أي رجل فكيف الحال بي أنا الأنثى ؟٠٠

وكنت أرجو وأنا أعيش في غرفة رطبة في (بيدروم) إحدى العمارات في (كوينزواي) في لندن رفقة صديقة في عزلة تامة عن العالم أفكر فيم أصنع يومها وصممت ٠ فقال : ثم ماذا يا ريم ؟٠٠

وأجابت ، أو تدري أن اسمي تغير هو الآخر ، فأنا اليوم أدعى سمر ، ولهذا التغيير قصة طويلة أجد من المناسب أن انساها أيضا ، لأتعرف عليك ، فأنت لم تتحدث عن أي شيء عنك ، وتركتني أتحدث عن نفسي ٠

ويجيب في هدوء ، لاجديد أستطيع أن أعطيك إياه عن حياتي ، فلقد أمضيت كل تلك السنوات في هدوء بعيد عن موطني اتلمس طريق العلم في قوة من يؤمن أنه الطريق إلى ما أريد ٠٠٠

أو تعني إنك نلت شهادة الدكتوراه التي كنت تحلم بنيلها نعم ومعها شهادة أخرى بحسن سيرتي وسلوكي طوال مدة الدراسة في أمريكا "(٤٨) ٠

فهذا الحوار دلنا على إيحاءات كثيرة منها :

ـ آثار الحرب اللبنانية على الأسرة وتفككها وتفرقها في البلاد لاسيما تشريد النساء وغربتهن ٠

ـ ثم إيضاح مكان الهجرة في لندن ومكان المأوى في غرفة معتمة مظلمة عند امرأة غريبة منطوية ٠

ـ والحوار أوجب حكاية ذلك الشاب طالب العلم الجاد في حياته الذي نال الدكتوراه ، وليس هذا فحسب وإنما نال شهادة حسن سيرة وسلوك في خضم الحياة الماضية ، وقد عطفها على شهادة الدكتوراه بالواو ليساوي بينهما وحق له ذلك ٠

والحوار عند غالب أبو الفرج يعمد إلى الاسترسال والحديث الطويل ، والانطلاق فيه على شاكلة التحدث الطبيعي ، ولم يعمد إلى التصوير الدقيق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والإيجاز والكلام البليغ ، فربما احتل الحوار مساحة أكثر من نصف القصص ، وربما تحدث المحاور في أكثر من خمسة أسطر (٤٩) .

والجفري يطيل الهمسات في الحوار ، ويوظف التحليل نيابة عنه أحيانا كثيرة ، غير أنه إذا لجأ إليه يترك للمحاور النفس الطويل فيجعله يتحدث ، بل إنه يجعل الاثنين يتحدثان معا كما ورد في قصته (الغريب) :

" وأصغى إليهما بكل جوارحه ... وقالا له :

نحن الاثنان من ألمانيا ، وقد شهدت بلدنا كلها قصتنا ، ليس لأنها فريدة نادرة الحدوث كلا . فالحب موجود على الأرض منذ الخليقة ، بل لأننا نشعر فقط إن الناس لم يحبوا بالعنف الذي حببنا به ، هكذا تصورنا أحاسيسنا نحن الاثنان السعيدان بقلبينا ..

وواصل الرجل القصة قائلا :

كنت شابا أعمل في إحدى المصانع ، وأحمل نفسا طموحة تتوق دائما إلى النجاح الذكي الشريف .." (٥٠) ، واستطرد فيما يقارب الصفحة كاملة .

فهذا حوار مفتعل تظهر عليه الصنعة ، فاجتماعهما في قول واحد مستحيل وإن كان يوحي بتوحيد الطرفين في نظر القاص ، ثم فجاة ينفرد الرجل بالحديث بلا مبرر ولا خاصية .

والقاص علوي الصافي يوظف حديث النفس في الحوار توظيفا يخدم الفكرة من القصة التي تدور في معالجة التذمر من انجاب البنات بلا ذكور ، وتحس أن القاريء لا يتقمص الشخصية بل يستشعر إلحاح القاص على هدفه ، وربما تخالفني وتتفاعل مع الحوار الداخلي لرجل ينتظر ولادة امرأته بعد أن أنجبت له عددا من البنات امام غرفة الولادة وهي متعسرة ولايفكر إلا بنوع الولادة ، ويسأل الممرضة هل انجبت ولدا أم بنتا :

" هل هي خرساء ؟ لماذا تنظر إليّ هكذا ؟ سأل نفسه ، يقولون : إن الأصنج في راحة على وجهها قلق الكرة الأرضية .. ماذا لو اقتحمت الغرفة ..

سيطردني الطبيب أمام الممرضات .. مصيبة ، لو فعلها سأذبحه .. إهانة كبيرة ..

طالت عملية الولادة ، ولاشك إنه ولد .. ولادة الرجل صعبة ، ما أسهل ولادة البنات .. لكن ما أصعب تربيتهن ، إنهن تعب الحياة كلها .. ماذا لو كان المولود بنتا .. فضيحة اجتماعية لايقوى على مواجهتها ..

(أبو البنات) هذه وصمة متى اتخلص منها ؟ لو عملتها أحد أمرين : إما أن أرحل من هذه المدينة .. وإما .. أن .. أن أن أطلقها ..

لا لن أطلقها .. ساتركها لتربية البنات .. مجرد مربية وأتزوج غيرها ، فكرة رائعة .." (٥١) .

ثم ينتقل إلى حوار مباشر مع طبيب لا يجيب وهو يسأل أولد أم بنت وهي قد فارقت الحياة ، واستمر الحوار إلى آخر القصة .

إذا فتركيبة القصة من الحوار الذاتي ، والحوار لشخص إلتزم الصمت ، وكان القاص يهدف إلى أن يفيض صاحب التجربة بكل ما يعتلج في نفسه .

فظهرت قدرة الكاتب على إيضاح الحدث ، والمشكلة في ألم أوحياة الزوجة لكن البطل شغل ذهنه بمشكلته الخاصة وهى رغبته بابن يكون أخا لأخواته ، ولسان حال الممرضة يقول : من الواجب أن تسأل عن صحة الزوجة أولا .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حواشي الفصل الثاني

(١) محمد القسومي ، محمد بن علي السنوسي ، حياته وأدبه ٤٧ (مخطوطة) .

(٢) المرجع السابق ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ٤٩ .

(٤) المرجع السابق ٥٠ .

(٥) قماشة السيف ، محادثة برية شمال شرق الوطن ٦٥ ، ٦٦ .

(٦) المرجع السابق ٦٠ .

(٧) انظر د . محمد علي رزق خفاجي ، ظاهرة الابتذال في اللغة والنقد ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الدار الفنية ـ القاهرة .

(٨) إبراهيم الناصر ، أرض بلا مطر ٨ .

(٩) المرجع السابق ١٦ .

(١٠) الجبرتي ، حلم فوق الماء ٢٨ .

(١١) المرجع السابق .

(١٢) بهية بوسبيت ، وتشاء الأقدار ٨٨ .

(١٣) بهية بوسبيت ، وتشاء الأقدار ٨٨ .

(١٤) عبدالكريم النملة ، نزوة ٥٥ .

(١٥) عبدالعزيز مشري ، أسفار السروي ٧١ .

(١٦) محمد صادق دياب ، ساعة الحائط تدق مرتين ٥٣ .

(١٧) يوسف المحيميد ، ظهيرة لامشتاة لها ٢٨ .

(١٨) علوي الصافي ، مطلات على الداخل ٦١ .

(١٩) المرجع السابق ٢٤ .

(٢٠) عبدالله باخشوين ، الحلقة ٢٤ .

(٢١) المرجع السابق ٢٦ .

(٢٢) محمد الشقحاء ، البحث عن إبتسامة ٣٥ .

(٢٣) عبدالكريم الخطيب ، شجرة الليمون ٤٨ .

(٢٤) غالب حمزة أبو الفرج ، ذكريات لاتنسى ١٢ .

(٢٥) بهية بوسبيت ، وتشاء الأقدار ٤ .

(٢٦) عبدالكريم النملة ، نزوة ٥٧ .

(٢٧) المرجع السابق ٧٠ .

(٢٨) المرجع السابق ١٨ .

(٢٩) علي الجبرتي ، حلم فوق الماء ١٩ .

(٣٠) المرجع السابق ٢٢ .

(٣١) علوي الصافي ، مطلات على الداخل ٧٠ .

(٣٢) علي محمد الجبرتي ، حلم فوق الماء ٣٤ .

(٣٣) انظر ، باقازي ، الخوف والنهر ٦٠ ، والشقحاء ، البحث عن ابتسامة ٤٠ .

(٣٤) ولسن دورنلي ، كتابة القصة القصيرة ١٠٢ ، ترجمة د. مانع الجهني .

(٣٥) محمد منصور الشقحاء ، البحث عن ابتسامة ٥ .

(٣٦) عبدالكريم الخطيب ، شجرة الليمون ٣٩ .

(٣٧) عبدالكريم النملة ، نزوة ١٥ .

(٣٨) خالد محمد اليوسف ، إليك بعض أنحائي ١٩ .

(٣٩) الشقحاء ، البحث عن ابتسامه ٩ .

(٤٠) المرجع السابق ١٣ .

(٤١) علوي الصافي ، مطلات على الداخل ١٥ .

(٤٢) غالب حمزة أبو الفرج ، القاك غدا ١٩٨ .

(٤٣) المرجع السابق ٢١٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٤٤) عبدالله جفري ، الجدار الآخر ١٢ .

(٤٥) عبدالله باخشوين ، الحفلة ٥٢ .

(٤٦) المرجع السابق ٩٤ .

(٤٧) عبدالكريم الخطيب ، شجرة الليمون ١٠ .

(٤٨) غالب حمزة ابو الفرج ، ألقاك غدا ٢٩ .

(٤٩) انظر المرجع السابق ٢٨ .

(٥٠) عبدالله جفري ، الجدار الآخر ٩٦ .

(٥١) علوي طه الصافي ، مطلات على الداخل ١٥ .

الاتجاهات الفنية
للقصة القصيرة
في المملكة العربية السعودية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

الاتجاهات الفنية

١- السرد .

٢- التقريرية .

٣- التفتيت .

* المفارقة

* الإيحاء

٤- الرمزية .

١- السـرد:

هو أن تتوالى أحداث الحكاية ، ويتوالد بعضها عن بعضها وينتقل القاص من مجهول إلى مجهول وله القدرة على زراعة العقدة حتى يتلهف القاريء إلى الفهم أو حل العقدة أو معرفة النتيجة .

ويجب أن يفكر القاص في عوامل التشويق ومنها غرابة الفكر والحدث وجمال اللغة والأسلوب ، والحوار المثير ، والوصف الدقيق وسرد الحدث في غير ملل ولا إطناب ، وقدرة التصوير ، وتشابك الحوادث وتفاعل الشخصيات .

والسرد ينقطع بوضع أسئلة أو أقواس أو بالالتفات من ضمير المتكلم إلى الغائب ، ويقوم على تسلسل زمني لتبنى الأحداث بناء عضويا ، تدرك علاقتها واضحة وإن اختصر السارد من تفاصيل العضوية لكنه يتضح من التدرج ، أو تنامي الاتجاهات مثل الانحرافات وتتابع الأحداث .

وأكثر القصص في بلادنا يعتمد في بنائه على السرد بدءا بأحمد السباعي وأحمد عبدالغفور عطار ، ومحمد مغربي في (البعث) ، ويظهر عند الجيل الثاني تواصلهم مع الفن القصصي مثل غالب حمزة أبو الفرج في مجموعاته :(ليس الحب يكفي) و(ذكريات لاتنسى) و(ألقاك غدا) و(الضياع)، وعبدالله بوقس في مجموعته (خدعتني بحبها) ، ولقمان يونس في مجموعته(من مكة مع التحيات) ، وعبدالكريم الخطيب في مجموعته (شجرة الليمون) ، وإبراهيم الناصر في مجموعته(أرض بلامطر) .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد وظف أولئك القصاص السرد لطرح أفكارهم ومبادئهم ، والأخذ بتوجيه المجتمع إلى القيم الفاضلة ، وإلى الكشف عن الانحناءات والانحرافات التي تداهم الشرائح الاجتماعية ، فهو قصص واضح الهدف ، يتخذ من الصراحة سبيلا .

وأشهر مظاهر السردية يتجلى في توالي الأحداث كقصة (شجرة اللوز العتيقة) التي تحكي حياة القاص أو من يشابهه في أغلب الظن حيث تحدث عن رحلته العلمية في (كتاب السيد) ثم المدرسة السعودية تحضير البعثات ، وأطنب عن رحلة الشاب ثم سفره إلى مكة ، مشيرا إلى أساتذته ومجالسته لأدباء المملكة والشعراء الذين تعرف بهم ثم ذهابه إلى أوربا وأمريكا ورفضه للحياة الماجنة ، وزواجه (١) .

من هنا ندرك أن مفهوم القصة القصيرة عند الأوائل ينحصر في عدد الصفحات وإن طالت صفحاته في نظرنا اليوم ، فالقصة تحكي حياة كاملة ، أو غرام ، أو رحلة زواج فاشلة ، أو بعثة علمية ، وتكون من أحداث متوالية السرد .

فالقصة عند هؤلاء لاتمثل تجربة فردية محدودة الزمان والمكان في وقفة قصيرة وإنما تتحدث عن حكاية أطول كقضية عمالية أو تعليمية ، أو حكاية سياسية أو اجتماعية ، فالقصة في أغلب هذه المضمونات تتجاوز العشر صفحات ، وبعض منها يتجاوز الثلاثين صفحة .

ومن هذه المجموعات الطويلة (خالتي كدرجان) لأحمد السباعي ، و(البعث) ومجموعات غالب حمزة أبو الفرج (ألقاك غدا) و(الضياع) و(ليس الحب يكفي) .

فهذه المجموعات تحمل كل منها عنوانا لإحدى القصص داخل المجموعة ، وهم يطنبون كثيرا ، ويسهبون في تحليل الأحداث ، ويخطبون طويلا توجيها وتلقينا،

فمثلا (القاك غدا) استرسل صاحبها في مقدمتها لما يقارب من خمس صفحات ، منها قوله :ـ

" ألقاك غدا في دروب الحياة المهجورة ، نغما حائرا يبدو صداه بين أشواك الزمن وأقدام النخيل ولواذع النحل ، وزقزقة العصافير ..."(٢).

وقصة (الصدى) التي ضمنها الصفحات من ٢٥ حتى ٦٥ تدور حول مكانة المرأة وشقائها في الحياة الأوربية المعاصرة في مقاطع خطابية تقترب من الصفحتين ، ومنها :

" إن عمر الراقصة وعارضة الأزياء وممثلة السينما قصير جدا ولهذا فإن كل ما يقال عن الفن هو مجرد هراء ، فالرجل استطاع أن يغرس في نفس الأنثى حب الاستعراض .. عرف كيف يستخدم هذا الحب من أجله ... كم من الممثلات الشهيرات ألقين بأنفسهن من شاهق بعد أن فقدن ميزات الحسن ...وكم عارضة للأزياء ماتت جوعا وعريا ...إن هذا المجتمع الاوربي الذي نعايشه أهان المرأة ودهس كرامتها ..."(٣) .

وفي هذا النص أبان القاص عن روحه الإسلامية المنغرسة في نفسه عن طريق إجراء الحوار على لسان من خاضت عباب الحياة بحرية في أوربا كما يزعمون وأدركت هذا المصير الذي تحدثت عنه بخطابية وانفعال ، كما أوضح فلسفة الرجل وتوظيف المرأة لإشباع رغبته الغريزية والمادية معا ، ولم يبال بعاقبة أمرها .

وهم يحثون على الشرف والمروءة والجد في الشباب ، ويعرض ذلك عبدالله بوقس من خلال الحديث الذاتي لفتاة أعجبها فتى جاد في حياته حين لم تغره فتاة عابثة :

" إنني لن أنسى ذلك اليوم العاصف الذي لقنت فيه جارتك الحسناء (هيفاء) درسا قاسيا لن تناساه مدى الحياة ، حين حاولت بحركتها ودلالها العابث أن تثير اهتمامك ، وكان نصيبها نظرات ملؤها الجفاء جعلت المسكينة تتخبط في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مشيتها ، وتهرع منكمشة إلى سكنها ، وهي تحتقر نفسها ، تلعن الساعة التي قابلتك فيها .. أما أنا فكان يوما حبيبا بالرغم من قسوته وبشاعته وفظاعته .. لقد كان يوم ميلاد حبي الكبير لك : لقد اعجبني فيك ذلك الصمود أمام الإغراء والفتنة وهو مالم يتوفر في شباب اليوم .. إنني أحس بانجذاب نحوك لأنك على شاكلتي ، فما من شاب تعرض لي إلا ألقمته حجرا حتى بات الكل يخشاني ولايجرؤ على مخاطبتي "(٤) .

إذا فالقاص أظهر في هذا الموقف النزاهة ، والجد في الحياة ، وأبان عن حب المجتمع لها حتى من أولئك الشباب العابثين فإنهم يرغبون الارتباط بمثل هذه المحافظة ، وهن أيضا كذلك .

والقاص يعالج قضية إدعاء الرضاعة أو الوهم الزائف لها ، ولايقف الإنسان عند الصدمة الأولى بإعلان (أم الخير) للرضاعة بين فتى وفتاة عشق كل منهما الآخر .. فالقاص يدعو إلى الشك ليثبت اليقين ، وأم الخير تدعي العلامة المميزة تحت إلحاح سامي لها : " سامي : (في انفعال) أين هذه العلامة المميزة ياخالة ، لا أكاد أرى شيئا ؟

أم الخير : اخلع حذاءك الأيمن وجوربك وسترى كل شيء بنفسك .

سامي : لك ما شئت ياخالة ، ويخلع حذاءه وجواربه .. أين هي ؟

أم الخير : ياللعجب أين اختفى أصبعك السادس " (٥) .

وبعد حوار مطول يتضح أن صاحب العلامة الذي رضع مع الفتاة هو ابن عم سامي وليس ساميا وإنما وهمت أم الخير التي فرقت بينهما بعد إعلان الخطبة

وكتاب القصة القصيرة يثابرون لجلب الأشكال الفنية لتحقيق أهدافهم التي تدور حول معالجة القضايا الاجتماعية أو القضايا الإسلامية ، فكثير من الكتاب السعوديين يتفاعلون مع الأحداث الإسلامية كقضية فلسطين ، ومن هذه

القصص (عوى كلب ونهق حمار) التي وظف فيها الوصف والحوار للكشف عن معاناة هذا الشعب ، فهو قد أبان عن مأساة المخيمات في وصف للمكان :

" هبت عاصفة قوية ، وتساقطت الثلوج بغزارة على مخيم العروبة بالضفة الغربية بينما ظل الوادي غارقا في سكون ، وكانت أكثر الخيام المهترئة ، وبعض الأكواخ الخشبية المصفحة من التنك قد هوت على الأرض "(٦)

فمن خلال الوصف المجرد صور لوحة عن المخيمات تذهل لها أنفس المسلمين الذين يدركون رغد العيش في أرض فلسطين .

وفي سرده لحادث ولادة زوجة ربحي وإحضار طبيب حدث حوار يهدف إلى بلورة نفسية أصحاب المخيم من القلق واليأس اللذين يهيمنان على اللاجئين المشردين :

" وما عليك أن تدفع بنفسك إلى التهلك في مثل هذا الوقت ، وما علينا إلا أن نحضر إحدى عجائز المخيم ، فلتلد على يدها ، فيجيبه قائلا : أخشى أن تكون ضحية ، العجوز لاتدرك شيئا في أمر الولادة ، أستغفر الله العظيم ، بصق الوالد على الأرض وهو يقول وماعليك أن تكون ضحية ، ألسنا جميعا ضحايا للتعذيب والتشريد والموت ، وإن ذهبت ضحية ولم تلد فينقص اثنين من ملايين الأشقياء"(٧)

والحوار يظهر ثقافة الابن حول الطب الحديث والاهتمام به ، إضافة إلى النظرة السوداوية من الأب الذي يحاوره ويثنيه عن الذهاب ليلا لإحضار قابلة مختصة .

والوصف ينبيء عن قدرة الكاتب وعلمه الواسع وإحساسه بالمأساة ، وقبل ذلك وصف الخطيب لرجل مشرد يحمل توأمين :

" دفعت به الحياة إلى التشرد في منعطفات الطريق الشاق ، وهو مازال يذكر زوجته ، وكأنها اختفت في الأفق البعيد ، بل ما ضر الصهاينة لو أدركوا أقل واجبات الإنسانية في دنيا الحرب ، ولم يقذفوا المستشفى بقنابلهم لما خسروا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شيئا لبقيت لهذين التوامين ترعاهم ، إنها إنسانة ، وأي إنسانة مثلها في حياتها لو بقيت لبقيت السعادة لولديه المعذبين ، أين هي الآن ؟ "(٨) .

ففي هذا المقطع يبرز لنا فظاعة الحرب وقساوتها ، وفتكها بحياة الآمنين من الأطفال والنساء ومتقدمي السن .

ومن قراءتي لعدد من القصص السردي فإننا نجد السرد لايتواصل تواصلا مملا ، وإنما يتخلله وقفات تجذب القارىء وتبعث فيه النشاط ، وتدفع السأم عنه كالحوار ، والتأمل الذاتي والعقلي ، والوصف ، والأسئلة وأسلوب الالتفات ، والأقواس التي تضم أسماء أجنبية ، أو معنى غريبا ، أو مهنة أو مثلا شعبيا .

واعتمد أولئك على اللغة الفصحى ماعدا حكايات الحوار على لسان العامة، وهم وظفوا وهج الأسلوب ورشاقته وقوة عبارته وجزالته كيما يجذب القارىء، واعتمدوا على التصوير اللغوي ، والنبرة الخطابية والفكرة الوعظية .

وهم يميلون إلى القضايا العامة لا الفردية في طرح الموضوعات ولايعمدون إلى تخصيص الحدث والمكان والزمان بل تتوالد الأحداث أو تتوالى .

والسرد تمثل عن أولئك الكتاب الذين تصدروا للصحافة ، وهم يمثلون الشريحة الواعية للمجتمع ، فهم يحملون فكرا يبتغون طرحه ، مما جعل قصصهم يمتاز بطوله ، وهم اجتنبوا الابتذال في اللفظ والصورة ، وابتعدوا عن التصوير الجنسي المكشوف وأولئك لم يتابعوا تطور البناء القصصي ، وإنما أخذوا منه بأيسره ، والوقوف عند المقدمة جاء متأخرا عند الشريحة الثانية كأمثال غالب حمزة أبي الفرج ، وعبدالله بوقس وغيرهما :

وأشهر كتاب القصص السردي هم : أحمد السباعي ، وأحمد عبدالغفور العطار ، ومحمد مغربي ، وغالب حمزة أبو الفرج ، وعصام خوقير ، لكننا سنتحدث عمن لهم مجموعات تدل على تواصلهم القصصي ونكتفي للآخرين بما

عرضنا به داخل الدراسة ، ومنهم من درسنا مجموعاتهم ، وأشهرهم وأكثرهم نتاجا هم :

ـ غالب حمزة أبو الفرج : ولد في المدينة المنورة ١٣٤٩هـ ، وله نتاج كثير في القصص عامة والقصيرة خاصة ، ومن أشهر رواياته :

١ـ الشياطين الحمر .

٢ـ سنوات الضياع .

٣ـ غرباء بلا وطن .

٤ـ واحترقت بيروت .

ومجموعاته القصصية القصيرة هي :

١ـ من بلادي ، صدرت عام ١٩٦٣م .

٢ـ البيت الكبير ، عام ١٩٦٧م .

٣ـ ذكريات لاتنسى ، عام ١٩٧٨م ، في ٨٨ صفحة من القطع الصغير .

٤ـ ليس الحب يكفي ، ١٩٨٠م ، في ٣٢٤ صفحة من القطع المتوسط .

٥ـ ألقاك غدا ١٩٨٢م ، في ٢٧٨ صفحة من الحجم المتوسط .

٦ـ الضياع ، ١٩٨٦م ، في ٢٤٦ صفحة من القطع المتوسط .

والقاص غالب يمثل أغزر نتاجا في القصص القصير في المملكة العربية ومن المتفانين لهذا الفن ، ومجموعاته تقوم على تسلسل الحدث وسرديته ، ويستخدم الفصحى في أعماله القصصية حتى في الحوار ، ويعود ذلك إلى أن شخصيات قصصه من الطبقة المتعلمة .

والقصة القصيرة عنده تقوم على حياة طويلة أو قضية متكاملة ، مما جعلها تطول ، وهي قصص هادف ، فكثيرا ما يطرح التوجيه والوعظ وتبيان الانحراف في وضوح ودون مواربة وتبرز العقدة أحيانا ، ويحمل هاجس الأمة، وترحل في تموجات نفسيات المبتعثين وتفاعل مع ما هو خارج الحدود والقضايا العالمية ، وإرادة المعالجة فرضت عليه النفس الطويل ، ومجموعاته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تتقارب في ذلك ماعدا بعضا من قصصه المتأخر فإنها اخذت تميل إلى القصر ، فمثلا مجموعته (ذكريات لاتنسى) التي رأت النور عام ١٩٧٨م امتدت القصة على ١٨ صفحة تقريبا ، وأخذ نفسه يطول في مجموعته (ألقاك غدا) المنشورة عام ١٩٨٢م حتى بلغت ٤٢ صفحة كما في قصة (الصدى) ، وكثير من قصصه تجاوزت الثلاثين صفحة لكن مجموعته (الضياع) ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٦م أخذت تتناقص صفحاتها حتى بلغت ما بين عشر وخمس صفحات .

- إبراهيم الناصر الحميدان : ولد في الرياض ١٣٤٩هـ ، درس بمدينة الزبير وعمل في الوظائف الإدارية ، ينحصر نتاجه في فن القصص فمن رواياته :

١- ثقب في رداء الليل - رواية - ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

٢- سفينة الموت (الضياع) - رواية - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٣- عذراء المنفى - رواية -١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م .

٤- غيوم الخريف - رواية - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

وله مجموعات في القصص القصير هي :

١- أمهاتنا والنضال ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

٢- أرض بلا مطر ١٣٨٦هـ -١٩٦٧م .

٣- غدير البنات ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٤- عيون القطط ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

والقاص الناصر من أولئك الكتاب الذين ألحوا على القضايا الفردية والاجتماعية لاسيما في المنطقة الشرقية التي تكاثرت فيها العمالة السعودية في مستهل النهضة لإتاحة فرص العمل في شركة (أرامكو) ، غير أن القاص يتقارب مضمون عطائه فقد أصدر مجموعته الثانية (أرض بلا مطر) عام١٣٨٦هـ -١٩٦٧م فقصته الأولى في تلك المجموعة تدور حول العمالة وسكنهاومعاناتها في المنطقة الشرقية : " كانت الخيام المحاطة بالأسيجة

تدعى حي الشركة ، ولم تعد حيا مأهولا بالمعنى الحرفي إنما هي أقرب إلى المعسكر أقامته الشركة لسكن عمالها من العرب "(٩).

وهو في آخر مجموعته (عيون القطط) يتحدث أيضا عن العمالة لكنه يطروها من الخيام إلى الصناديق : " تراهم في الصباح الباكر يغادرون هذه الصناديق وقد حملوا على أكتافهم المعدات التي يستعملونها في عملهم الشاق ، إذ كانوا عمال بناء ، عمال نظافة ، سعاة أو متسكعين في الأسواق الشعبية " .

ونحن نسجل له هذا التطور من العمالة الوافدة على أرامكو إلى جانب تنامي العمالة في المدن التي أخذت مناشط الحياة تزدهر فيها ، لكن تأخر صدور المجموعة الأخيرة إلى هذا الزمن الذي تكاد تنقرض فيه الصناديق ، أو لنقل إن هناك من القضايا ما هو أولى وأحرى بالمعالجة .

ومجموعته (أرض بلا مطر) أكثر خطابية وتوجيها ، ويظهر فيها استدعاء الألفاظ الفصيحة غير المتداولة التي تتميز لك أثناء حديثه عن موضوع شعبي ، وقصصه أكثر طولا ، ويعمد إلى معالجة القضايا التي تمثل جزءا من حياة عامل ، أو قضية كالعمالة في المنطقة الشرقية حول أرامكو، أو حديثه عن حياة مكافح.

أما في مجموعته الأخيرة (عيون القطط) فإنك تستشعر تمكنه من فن القصص ، حيث الإلحاح على جزئية محددة الزمان والمكان في أغلب الأحيان ، فقصر قصته وأدخل عنصر الحوار فيها ، وانثالت له اللغة فتلاحمت الألفاظ ، واجتنب نبو الألفاظ .

وقصص إبراهيم الناصر ناتج من رحم الواقع الاجتماعي المعاصر ، فالواقعية في لغته وحدثه وخياله وتنامي فكره .

ـ والقاص عبدالكريم الخطيب : المولود في ينبع عام ١٣٥٢هـ ، كاتب قصة ومقالات وله مساهمات في الإذاعة ، وله عدد من الكتب التي تعنى بالحدث الرفيع الذي يمثل القمم من المثل العليا ، وله دراسات في تاريخ ينبع والقبائل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من حوله ، وله مجموعات قصصية هي: شجرة الليمون ، وقصص وصور ، وبهية بنت أوس .

والمتفرد في قصصه إيراد الأسماء العربية التي تمثل القيم الإنسانية والمروءة في قصص سردي لعلها تغرس قيما في الجيل القاريء ، وأيضا هو يتناول الحياة المعاصرة من البيئة القريبة للقاص من الحياة العربية لاسيما قضية فلسطين ، ومخيمات اللاجئين المشردين .

- نجوى خالد مؤمنة : تعمل معدة ومقدمة للبرامج الإذاعية ، وعضو في الجمعيات الخيرية النسائية ، ولها نشاطها الإعلامي المتواصل ، لها مجموعة قصصية هي(وأخيرا ضاعت مجاديفي) .

والكاتبة تنبعث كتابتها من غاية سامية لتبيان مشكلة زوجية أو اجتماعية ويغلب عليها أن تتخذ من المشاكل الأسرية موضوعا لها ، بل إن عنصر المرأة يطغى على تفكيرها ، وأكثر من ذلك تجعل المرأة مؤثرة وفاعلة وتغيب الرجل ، كقصة أم هشام التي أتت مع والده وهشام خاطبين ابنة عمه سوزان ، وإذا بالأم تتقدم وتباشر الطلب وتدير الحوار وزوجها أبو هشام ملتزم بالصمت ولها تأثيرها أيضا على حياة ولدها وزوجتيه(١٠) .

وبناء القصة يقوم على السردية التي تستهل المعالم الأولى للحدث ثم تتواصل معه في نموه ، والقصة القصيرة عندها لم تقتصر على تجربة مخصوصة في زمن مخصوص ومكان مخصوص وإنما جعلتها سيرة لحياة متكاملة ، فهي تسرد النشأة أو تشير إليها ، ثم تطنب في تكوين الحياة الزوجية وما يعترضها من مشاكل ، بل إنها تتابع المسيرة مع الزوجة الأولى والثانية والثالثة(١١) مما جعل قصصها يميل إلى الطول .

ولغة القصة فصيحة ذات ألفاظ مشرقة وتراكيب جزلة قوية ، وهي قريبة من منهج غالب حمزة أبو الفرج .

ومجموعتها (وأخيرا ضاعت مجاديفي) شرائح اجتماعية في عشر قصص سردتها في ٢٠٦ صفحة بمعدل كل قصة في عشرين صفحة أو اقل مما يشير إلى طولها الذي أسلفت ، لكنها في الواقع تمثل قضايا اجتماعية معاصرة من الطلاق وقضايا الهاتف وتأثيره ، وتلح على قضايا طبقة مترفة أكثر من إلحاحها على الطبقة الاجتماعية وتصورها في غاية الوضوح والصراحة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢- التقريـــريـــة:

أن يعمد القاص إلـي الجمل التقريرية ومباشرة الفكرة ، ويمتدُ محـور التساؤلات في حوار ذاتي يظلل سماء القصة في تراكيب تتسم بوضوح الرؤيا ، ويخرجها من إطار السرد أنها تجري مواكبة لحلم اليقظة الذي يدور في فلك الشخصية المحاورة للنفس البشرية المتحدثة بلسان سلوكياتها مـن القلـق والحيرة ، وهؤلاء تشرق عندهم التوترات النفسية في تراكيب قصيرة تتداعى محاكية لتداعي الخواطر فتكون اللغة ممزوجة بالشعور وتنبيء عن قدرة فنيه وهم يثبتون الحدث لكن فى غير تتابع وتسلسل عضوي منطقي ، ويظهر في قصص كثير من مرحلة ما بعد ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م .

وقد أخذ القاص السعودي ينبش عن العلاقات بين شخصية القصـة أو شخصياتها التي تربطها بالظواهر الاجتماعية ، وربما يرصد الثوابت الإنسانية التي تتحكم بمجري سيرة الفرد في قضية من القضايا التي تدور حولها القصة، أو في معالجة حادثه يجعلها مداراً لقصته ، ففي بداية هذه المرحلة يجعلون هدف القصة هدفاً اجتماعياً مما يحتم عليهم الطول في قصصهم ، كمثل المجموعات الأولى لعبد الله جفري ومنها (الجدار الآخر) وأيضا فإن عبد الله باخشوين يتحدث عن شخصية القصة في قصة (الحفلة) أكثر من أربع صفحات واصفاً سلوكياته وحيرته وانبهاره وفزعه من خلال استعداده للحفلة ، وحلاقته وتجهيز ملابسه ثم بحثه عن المكان ثم كيف دلف في سراديب الممرات المعتمة واثر ذلك في حالته النفسية ، وحركته وزوغان بصره(١٢)

وتارة يترك الشخصية تتحدث عن حالتها ، فهذا شاب تمرد على والديه ، وطاف حتى تعثرت حاله وأصيب بعاهة مستديمة ، وبعد عودته لأسرته واستقبالهم له وذهولهم لمأساته أخذ يحدث نفسه :

" حاولت أن أقول شيئاً لكني لم أستطع ، كنت خجلاً من نفسي حتي تمنيتُ لو أني لم أعد إليهم مطلقاً ، تمنيت لو مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ، ليت أمي لم تلدني ليت ليت ،شعرت في داخلي بفراغ رهيب لا مجال لمعرفة أبعاده ، للحظة بدا لي أن كل مايدورحولي مجرد حلم ، حلم غريب سيطر علي ثم أخذ يزول وتلاشي رويداً رويداً ٠

أخذت أحدق في وجوهم بدهشة واستغراب كأني أهم لأول مرة وكأن ما يحدث لا يخصني ولا علاقة لي به علي الإطلاق ، بدا لي كأني استيقظت لتوي فوجدت نفسي في مكان غريب ، حاولت أن أنهض من فراشي وأترك المكان وأمضي بعيداً ٠٠بعيداً ٠٠ كنت أريد الهرب من نفسي ومنهم ومن كل شيّ"(١٣)

إذاً فحديث النفس أحتل مساحة من القصة حيث أخفي السرد وستره ، فالقاص في قصته (موت أيوب) لم يسرد الحياة وأسباب الهروب وإنما عودته وتعامله مع زوجته وابنه اثناء مرضه المقعد، فلا قصة سردية ينبني بعضها علي بعض، فهو عرض قضية الإعاقة في خروج عن السرد المتواصل

وباخشوين مع محاولته التفلت من ربقة السرد غير أنه أطال في قصصه فالكثير منها لا يقل عن خمس عشرة صفحة ، ويعود هذا لأنه جعل موضوع القصة حدثاً متكاملاً أو قضية اجتماعية أو فردية مما حتم عليه أن يفيض في تحليلها ووصفها وحوارها وتحديد معالمها التي لا تخلو من معالم السرد ٠

واقترب من هذا النهج محمد قدس في مجموعته (النزوع إلي وطن قديم) وسعد الدوسري في (انطفاءات الولد العاصي) ، وخالد أحمد اليوسف في (إليك بعض أنحائي) ٠ وهؤلاء يلجؤن إلى الإبحار في مكونات الحدث ، ويتدرج القاص في عمق التجربه متفاعلاً مع المؤثرات الخارجية من حول الموضوع في لمحات إشارية في تأثر داخلي يحمل القاص هاجسه هادفاً إلى إبراز الانحناءات الاجتماعية ، فتحس التآلف الشعوري مع الشخصية في اجترار الأحلام أو التوهم أو القلق و الضجر ، لكن هذه المجموعات السالفة مالت إلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصر القصة وعدم الإسهاب لأنها جزأت القضايا وشطرتها ، ولأنها اكتفت باللمحة الإشارية للأوصاف المكانية أو النفسية .

يقول سعد الدوسري في قصته (الاختناق) :

" يتشقق الفجر فتصحو الطيور ، يفيق عبود .. ينتزعه أذان الحرم من هواجسه المبكرة ، ومن تدربه على لهجة أهل مكة .. يطوي فراشه .. يتوضأ .. يصلي بكل جوارحه وهو ابن الثالثة عشرة لايزال .. يفتح الباب الخشبي .. يطل في الشارع المبتديء في الصباح يبحث في نهايته عن ساقي الماء اليماني .. يسمع من بعيد أصوات السلاسل التي تربط براميل الماء بالعمود الخشبي الممتد فوق الكتفين (١٤) .

بهذا الايجاز أفصح لنا عن جوانب من بيئة مكة المكرمة والسلوك الفردي العصامي للأجيال السابقة ، والالتزام بمواعيد العبادات الإرادي من الأطفال .

والمرحلة هذه تصر على تسجيل نفسية الشخصية والأعمال التي تصدر عن الذات في سلسلة من أحلام اليقظة أو التفكير المتداعي أو عبثية الشعور أو توترها في تفاعل وتمازج بين الذات الفردية والمؤثرات التي تلفحها من الخارج :

" كلُ شيء.. تحول إلى لهب ودخان .. فجأة كأنه جحيم مستعر .. الوجوه بدت كأنها تنانين .. تنفث النار واللهب .. والأرض تميد .. السقف يهوي يتداعى .. الحيطان تتصدع .. النار تقوض الأركان ، تفلج القوائم بالشقوق .. صبغة الوهج تلون كل شيء .. الشرر يتساقط كأنه الشهب في أمسيات الصيف .. أحس بانعدام الوزن والجاذبية .. هوة سحيقة تبعده عن أرضه كأنه يرقد على قمة تنطخ بسنامها النار والدخان ، رؤيته للأشياء .. مغلفه بالغموض والتعتيم" (١٥) ، وأخذ يسترسل في أوصاف الرعب الذي يداهم من موجات الحمم المرعبة بأحلامها المفزعة .

ونلحظ أن الكاتب اكتفى بالنقطتين على امتداد السطر عن الروابط للجمل ، وأسلوبه فى جمل قصيرة وهي تشاكل الحالة النفسية للشخصية ، والقصة نأت

عن السرد واعتمدت على جمل التقرير .والأسلوب التقريري لم يتخلص من السرد لكنه أخذ يدخل إضاءات على الشكل الفني من ناحية تحديد موضوع القصة ، وزمانها ومكانها ولم تسترسل في سرد حياة مطولة او قضية تعليمية أو نسوية ، ومن هنا مالت إلى القصر ، وأخذت تتخلص من الأسلوب الخطابي والسرد الوعظي ، واستغنت عن ذلك بالتحليل النفسي :

" آه .. آه.. الصداع الصداع إن رأسي يكاد ينفجر .. شعرت بالدماء تتسرب عبر عروق جسدي المتخشب فوق جمجمتي ، أحسست بعروق رأسي تنفر ، والدم المتجمع فيها يضغط بشدة محاولاً إيجاد منفذا له " (١٦) .

ومن الذين اشتهروا بالتحليل النفسي ليكون متأطراً بأسلوب القصة عبد الله جفري ، فهو يلون الحالة النفسية في قصصه ويرسمها في لغة تنبض بالحياة :

" ما زالت نبرات صوته تحيا في ذاتي ، وفي مسامعي ، نبرات شحنت بطاقة هائلة من الألم والحسرة والتأوه الطويل ، وسحنة وجهه .. لم تفارق تصويري منذ ذلك اليوم الذي جاءني فيه" (١٧) ، فأبان عن حالة ذلك الرجل من خلال أوصافه التي تنبيء عن حالة نفسية متأثره .

ومن التقرير الاعتماد على الحوار حتي يغلب على المجموعة ومنها (مطلات على الداخل) التي لجأت لمباشرة الحدث بين شخوص القصة ، والحوار يكون في جمل قصيرة ، ووظف الحوار لحركية المشاهد فكأنك تراه يدب على خشبة المسرح وتتلاحق الشرائح الاجتماعيةُ تلك التي تُمثل الصور الكلية التي تبرز معالم عامة (١٨) .

والتقريرية صحبها قدرةعلى التشكيل الفني للقصة القصيرة ، فأخذت تلتقي مع سياقات القصة في البلاد العربية ، فتمازج بين التحليل النفسي أحياناً واللغة الشاعرة تارة أخرى والانسياب السياقي والتراكيب الهامسة التي تنداح في النص الأدبي الفصيح وإن كان فيه لون من عدم التواصل المضموني الظاهر أو الارتباط بالروابط النحوية فقد أخذ بعض الإعراض عنها ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واستعاض بالسياق أو علامات الترقيم ليشكل الموجات النفسية ، ومنهم محمد علوان في مجموعته (الخبز والصمت) فقد استعان بالجمل القصيرة والتقاطيع البارزة ، وحاول أن يستغني عن أدوات الربط كما سنوضحه في تحليل مجموعته إن شاء الله .

وأحياناً تختفي عوامل الربط ، وتختفي مباشرة التشبيه ومكونات الصور المعهوده لكنه يرسم لوحات تترك تعبيراً على المسرح في تواصل متتابع بلغة شعورية شاعرية : " ألف صورة وألف نداء .. ألف وهم وألف خيال .. وأنت ياحبي لا تأتين .. أغص بالأغاني .. أغص بالقصيدة ، أنتظر .. أنتظر .. انتظر .. أمتهن الشوق واللهفة والانتظار أفتش عنك في الشواطيء البعيدة .. في الجزر .. في مدن الجبال .. في المرافئ الصغيرة ، في الموانيء الكبيرة .. في المطارات في محطات القطارات .. على الشاشات .. على صفحات الجرائد والكتب .. في القصائد .. في الأغاني .. في أساطير الشعوب .. أتعب .. أتعب .. ثم إذ أظنني وجدتك .. أكتشف أنني أحلم .. أو أنك بعيدة .. أو أنه سراب "(١٩) .

ويظهر من هذه المجموعة أن القاص باطرفي ذو موهبة لغوية ، فله القدرة على صياغة التراكيب التي تتلون بلون التجربة ، ويزخر أسلوبه بالتصويرات التي تلامس المتلقي ، وهو يحافظ على سلامة اللغة وفصاحتها وقرب المأخذ ، وربما أن ممارسة باطرفي للكتابة الصحفية أسعفته كثيراً ليزرع التقارب بين المقالة والخاطرة الشعرية والقصة القصيرة .

وتواصلاً للتطور في الشكل فقد ظهرت ميزات فنية أدت إلى التقارب بين القصة القصيرة والخواطر النثرية الشاعرية التي تطرح فيما يشبه المقالة القصيرة جداً ويقترب كثيراً مع ما يسمي بالقصيدة النثرية .

ومكونات التقارب هي تكثيف الصور ، والتفاعل الشعوري وتمازجه في لغة النص الفني حتي غلبت عليه اللغة الشاعرة ذات الجرس الموسيقي ، وهي تكتب على شكل أسطر ، أو مقاطع قصيرة جداً ، وتظهر في قصص جفري

المتأخرة غير أنها تتضح أكثر في مجموعة خالد باطرفي (محاولة رقم ٢) فهذه المجموعة أشبه بالخواطر ، وتتسم بقصر القصة فتتكون من صفحة أو صفحتين أو ثلاث ، وتتداخل في مقاطع في أسطر معدودة ، وتختفي الروابط وأحيانا التراكيب كقوله في مقدمة قصته (أم أنني كنت أحلم) : " ضوضاء ، زغاريد ، تقترب .. خفق يهزني .. وصهيل يجتاح كل أنحائي .. ضوضاء، أصوات تقترب .. أنتقل من الذهول إلى التوتر والترقب .. أنهض من سريري .. لا أقوى على الوقوف .. يهزني خفقي .. فأنهار جالسة " (٢٠)

وقد تجاوز ذلك باطرفي حيث ضمن مجموعته بعض القصائد النثرية إمعانا في التقارب ، كقصيدة (رماد الوقت) ومنها :

" تمر الساعة والساعتان ، يجيء زمان ، ويغدو زمان ، والتفت حولي أجول بأنحاء كل مكان، أنقب ، أبحث ، أفتش عنك " .

وهو يأتي بفواصل من قصائدة النثرية بعد كل قصة لكنها في أسطر معدودة تتبع بصور تشكيلية لها دلالتها ، ومن هنا فإن المجموعة حاولت التأليف بين الفنون الفنية ، القصة ، الشعر ، والتشكيل الفني .

أما القاص حسن حجاب الحازمي فانه مازج بين التدفق الشعري والاسترسال القصصي في بناء القصة الواحدة كقصة (مقاطع من رحلة الضني) فيستهل بلوحة شعرية يقول فيها :

" المقطع الأول : أنـــــا

آه يازمن الصمت المندس بأعماقي ، ماذا تخفي ؟ قل ياحزني الباقي؟؟ أو ماحان فراقي ؟؟ آويتك شوقا أرهقني ، وحملتك شوكا في بدني ، وهاهي حبلى أوراقي، لكن من يقرأ أحداقي ؟ فأنا جرح لا يبدو ، ونزفي أغنية تشدو ، وفؤادي يعشق إرهاقي "

ثم يتبعها المقطع الثاني : بتدفق شعوري لا على شاكلة الشعر وإنما إيراد نفسي :

" المقطع الثاني : أنت وأنا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من زمن الحزن الممتد ما بين قلبي وبيني أسألك
لماذا أنطفأت قناديل الفرحة في صدري ، وهي لم تولد إلا بعد ظلام شام بقلبي منذ سنين ؟٠٠" (٢١)

ويعود إلى الشعر في القصة ذاتها مرة ثانية ؟(٢٢) فكأن لسان حاله أن يمازج بين الفنين معا أو يجعلهما يتقاربان بعملية تهجينية ٠

واستعرض في عجالة لمحة عن كتاب القص الذين مالوا إلى التقريرية ومنهم:-

عبد الله عبد الرحمن جفري ، المولود في مكة المكرمة ١٣٥٨هـ ، مارس الكتابة الصحفية وكتابة الرواية ، والقصص القصيره ، ومن نتاجه القصصي في الرواية :

١- جزء من حلم ، صدرت عام ١٤٠٤هـ ٠
٢- زمن يليق بنا ، صدرت عام ١٤١٠هـ ٠

ومن مجموعاته القصصية:-

١-حياة جائعة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م ٠
٢- الجدار الآخر ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
٣- الظمأ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ٠

خليل الفزيع ، ولد في الاحساء عام ١٣٦٠هـ - ١٩٤٠م عمل في مديرية التعليم بالدمام ، اشترك في الصحافة ، رأس تحرير صحيفة (اليوم) ، له مساهمات عديدة ، وله دراسات أدبية منها :

١- أحاديث في الادب - دراسات ١٣٨٥هـ ٠
٢- أفكار صحفية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ٠

وله المجموعات القصصية :-

١- الساعي والنخلة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ٠
٢- النساء والحب ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ٠
٣- سوق الخميس ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٤- بعض الظن ، مخطوطة (٢٣) .

يعتمد على الجملة التقريرية ، ويحدد الحدث بزمانه أو مكانه أو شخصيته من أوائل الذين مارسوا الضوابط الحديثه للقصة القصيرة ، التي تعمد إلى القصر ، مع التكثيف على إبراز الحدث ، وإلى الوضح في معالجة القضية الجماعية أو الفردية وهو ينأى عن العامية حتي في حواره مع أنه يمثل الحياة الواقعية في شرق البلاد ، وقدرته على بلورة أنماط الحياة في لغة فصيحة أثبت وأكثر انتشارا لكن قصصه يعالج قضية ولايقف عند تجربة نفسية محدودة

علوي طه الصافي : ولد في منطقة جازان عام ١٣٦٣هـ ، حصل على ليسانس الحقوق ، رأس تحرير مجلة الفيصل ، له أنشطة متعدده في الكتابة الصحفية والتأليف وكتابة القصة القصيرة والندوات والمحاضرات ، يعمل الآن نائب لرئيس تحرير صحيفة المدينة المنورة ، ومن تأليفه :

- السمكة والبحر .

ومن قصصه :

١- مطلات على الداخل ، صدرت عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٢- أرزاق يادنيا أرزاق ، صدرت عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٣- كنت في الطائرة المخطوفة .

وقصصة تمثل البيئة في منطقة جازان ، وتجاوزها إلى رصد اللهجة الجنوبية ، وهو قصص واقعي يجنح إلى القصر ومشبع بالحوار .

محمد منصور الشقحاء ، ولد في الرياض ١٣٦٦هـ ، درس بدار التوحيد ، شارك في تأسيس نادي الطائف الأدبي(٢٤) ، ومن أشهر كتاب القصة في بلادنا، ومن أولئك الذين أخلصوا لهذا الفن وواصل نتاجه فيها ، وهو أكثر من اطلعت على نتاجهم ، ومازال يثري المكتبة القصصية .

ومجموعاته القصيرة التي وقعت بين يدي هي :

١- البحث عن ابتسامة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٩م في ١١٢ صفحة من القطع المتوسط .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢- حكاية حب ساذجه ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م في ١٢٠ صفحة من الحجم المتوسط .

٣- مساء يوم آذار ١٤٠١هـ - ١٩٨١م في ١٢٧ صفحة من الحجم المتوسط .

٤- انتظار المرحلة الملغاة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م في ١٣٧ صفحة من الحجم المتوسط .

٥- الزهور الصفراء ١٤٠٤ - ١٩٨٤م . لم أعثر عليها .

٦- قالت إنها قادمة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م ، لم أعثر عليها .

٧- الغريب ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م في ٦٤ صفحة من القطع المتوسط .

٨- الانحدار ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م في ٧٣ صفحة من القطع المتوسط .

ونلاحظ تواصل عطائه وعدم انقطاعه ، ومثل هذا يثري الكاتب ويثري الفن القصصي ، ولعله يتاح لي الوقت لدراسة التطور القصصي عنده وعند غيره من الكتاب لكن النظرة العجلى تبين أن محمد الشقحاء احتل الصدارة بهذا العدد من المجموعات القصصية وهي متنوعة الموضوعات ، على أنه يسير على نهج واحد في قصصه حيث التركيز على الاستهلال ثم الحوار أو الوصف في لمحات دالة لا تغيب الحدث وإنما تبرزه وتدور في فلكه ، وهو يستقي أحداثه من منهل الوطن الاجتماعي الواقعي ويتفاعل مع أحداث العالم الأسلامي أو العربي لاسيما القضية الفلسطينية ، وهو يمتلك أسلوبا قديرا في تراكيبه وصياغته لكنني لم أجد تطورا بل إني أميل لمجموعته الأولى (البحث عن ابتسامه) أكثر من مجموعته الأخيرة (الانحدار) ولعلنا نرى له تأليفا جديدا

شريفة إبراهيم الشملان ، المولودة في الزبير عام ١٣٦٧هـ ، لها مجموعتان قصصيتان هما (منتهى الهدوء) عام ١٤١٠هـ و(مقاطع من الحياة) عام ١٤١٣هـ .

والقاصة شريفة الشملان تفتت الحدث في قصتها (أعين سبع) فلا رابط بين أحداثها إلا قراءتها بالعين والبصيرة معا فقد وزعت قصتها إلى مقاطع ، لكل

عين مقطع وبين أحداثها تباعد ، وأحداثها لا تتجمع في شخصية واحدة (٢٥) لكن يتبلور الحدث في كل مقطع ، بل تكاد تجزم أنه قصة قصيرة منفردة لها دلالاتها وإيحائها ، وأسلوبها تقريري في كل مقطع ٠

وهي ايضا توظف الرمز في قصتها (صحراء ودم) التي تحكي أن هاربا وهاربة التقيا فلما عجزت عن مواصلة المسيرة قتلها ، وهي تخاطب الشرطة التي تصفهم بأن " لكنتهم كلكنتي كأن لهم صورة من أبي وجدي ٠٠ أجدني أرد عليهم : لقد قتلني ٠٠ أنظروا دمي ، إنهم لا يسمعون ٠٠ " (٢٦)

وأحيانا تباشر الحدث كقصة (الخائن) التي ترسم فيها امرأة ترعي طفلها وأبوها في ميادين القتال ، ويرتاع عند عودته حينما يجد أن طفلته قد خدعت بتمثال تفاح متفجر : " صوت الانفجار هزه ٠٠ يرتجف قلبه ينسى مهمته في الشارع الأخير يجدها طفلة تكاد تموت نزفا ٠٠٠" (٢٧)

إذا فالقاصة تنوع في أسلوبها ، فهي تارة تميل إلى التقريرية ، وتارة تميل إلى الرمز وتارة إلى الممازجة بين التصريح والإيحاء ، كما يتضح من قصة (الخائن) السابقة أو الإشارات بعلامات الترقيم ، أو الإيحاء بالتراكيب ، ومن ذلك مخاطبة الرجل لأهل المستشفي بلغتهم ، مع أنه كان في الأصل يخفي حاله حتي كانت المفاجأة ، فقالوا عنه الخائن ٠

حسين علي حسين ، المولد في المدينة المنورة عام ١٣٦٩هـ وله مشاركات كتابية غزيرة وهو من أشهر الكتاب الذين تواصل عطاؤهم القصصي وله قدرة تصويرة للبيئة ويعمد إلى الوضوح ، ويهدف إلى معالجة القضايا ، وله :

١- الرحيل ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م٠

٢- ترنيمة الرجل المطارد ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ٠

٣- طابور المياه الحديدية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ٠

٤- كبير المقام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م(٢٨)٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* صالح عبد الله الأشقر ولد في حائل عام ١٣٧٠ هـ تخرج في كلية الآداب جامعة الملك سعود له نشاطه الصحفي وأشرف على عدد من الملاحق الثقافية، وله مجموعة (ضجيج الأبواب) ، وقصصه يعمد إلى التقريرية لكنه يوشيها بألوان رمزية إلى الواقع المعاصر ، وأحيانا يفصح مشيرا إلى وقائع محدودة ، ولغته متمكنه وتأخذك بجاذبية رغم ابتعادها عن السرد الحديثي وهو يعلل كثيرا من المواقف ويدخل فيها عنصر التداعي للخواطر التي تنثال عليه ، ويلاحظ وقوفه عند المطر كثيراً كقصة مسعود بن مسعود ، حديث المطر ، حالة بناء وصهيل .

خالد أحمد اليوسف المسعود ، المولود في مدينة الزلفي ١٣٧٨هـ ، يحمل ليسانس مكتبات عام ١٤٠٣هـ ، عمل محررا في مجلة (عالم الكتب) أشرف على صفحات الأدب والثقافة بجريدة (المسائية) ، وله مشاركات أدبية وكتابية متنوعة ، وله في القصة القصيرة :

١ـ مقاطع من حديث البنفسج ، صدرت عام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٢ـ أزمة الحلم الزجاجي ، صدرت عام ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٣ـ إليك بعض أنحائي ، صدرت عام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

وله بعض المؤلفات منها :

١ـ كشاف المجلة العربية ١٤٠٠هـ .

٢ـ الصحافة العربية تاريخها وتطورها ١٤٠٦هـ .

٣ـ الراصد ـ كشاف للقصة ١٤١٠هـ (٢٩).

والقاص اليوسف عمد إلى التداعيات في مستهل إبداعه القصصي المتمثل في مجموعته الأولى (مقاطع من حديث البنفسج) ، وهو يومىء إلى الحدث لكن يتدافع إلى التعبيرات الإيحائية التي تكشف الوصف وتشع بأنوار مضيئة بالحدث الجامع ويتداخلها حوار أحيانا قليلة لكنه أكثر التصاقا بالحدث والحوار في مجموعته الأخيرة (إليك بعض أنحائي) وربما أن الحدث ووضوحه في مجموعته الأخيرة فرض عليه التقارب فهي تحكي جانبا من حرب الخليج

الثانية (احتلال الكويت) ٠ ومجموعته الأولى أطول نفسا فعدد صفحات القصة ما بين ٨ إلى ٢٠ صفحة (٣٠)

أما مجموعته التي أصدرها أخيرا (إليك بعض أنحائي) فجل قصصها لايتجاوز ٦ صفحات ٠

وفي مجموعته الأولى يميل إلى تفتيت الحدث والتراكيب ، وتوظيف علامات الترقيم ولكنه في مجموعته الأخيرة يقترب من التقريرية ، وربما سرد بعض الأحداث ، وتناقصت علامات الترقيم كثيرا ٠

عبدالعزيز صالح مشري ، ولد في محفرة بالباحة عام ١٣٧٤هـ ، مارس الكتابة الصحفية والقصصية ، وقد أصدر المجموعات الآتية :

١ـ موت على الماء ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ٠

٢ـ أسفار السروي عام ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ٠

٣ـ بوح السنابل عام ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ٠

٤ـ الزهور تبحث عن آنية ٠

وله من الروايات :

١ـ الغيوم ومنابت الشجر ٠

٢ـ الوسمية ٠

والمشري يحمل هاجس (٣١) الجنوب لبلادنا ، ويعاني معاناته الفردية والاجتماعية ويحمل إصرارا على رسم لوحات استعراضية تقرأ فيها طرائق التفكير، وأشكالية الحياة ومعالم الألبسة ، وتسمع همسة اللهجة ، وربما صحب الفلاح في مزرعته ، وتنقل مع الجنوبي المهاجر للمدن في رحلاته ، وتجول مع غربته في مسارب المدن ودروبها ٠

وهو يجسم الحكايات لكنها تظل تخدم الغاية من تحجيم الواقع الاجتماعي ، ويوظف الرمز التراثي ويتفاعل مع الترسبات الشعبية ، ويستوحي أساليب متنوعة في قصصه ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبدالعزيز صالح الصقعبي ، ولد بالطائف عام ١٣٧٧هـ ، تخرج من كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، يكتب الرواية والمسرحية والقصة القصيرة ، ومن نتاجه :

١ـ صفعة في المرآة (مسرحية) ١٤٠٤هـ .

٢ـ رائحة الفحم (رواية) ١٤٠٨هـ .

ومجموعاته القصيرة هي :

١ـ لاليلك ليلي ولا أنت أنا ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٢ـ الحكواتي يفقد صوته ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .

٣ـ عندما يغني السامري ، تحت الطبع (٣٢).

ومجموعات الصقعبي تميل إلى إبراز الحدث أو الشخصية ، ويعمد إلى الوصف لكنه لايسترسل طويلا قصصه تمثل الحدث الجزئي أو القصة المحدودة الزمان والمكان وفي مجموعته الثانية يوظف الحوار كثيرا ، ويشطر بعض قصصه إلى أبعاد او أرقام ، ويفرغ فيها لفحات نفسية تتأطر داخل الحدث العام للقصة(٣٣) .

والقاص يلتزم الفصحى في قصصه ، وأسلوبه يتوشح بالشاعرية المتدفقة فمثلا يقول : " تولد طفلة بائسة صغيرة .. مسلوبة عبق الطفولة .. تحيا العبث تولد ماردا ، يقبع في جوف قمقم .. أبوها تحتضنه الأرض حبا .. كانت هي الطفلة التي أرادها الجميع ابنة لهم ." (٣٤)

وجلّ قصصه تنبت من واقع البيئة ، وترسمها في لوحات بما فيها من خدوش ولكمات فهو يعرض القضية ولايورد لها حلا وهذا ما سما إليه القصص المتأخر الذي ابتعد عن المباشرة والسرد الممل .

فوزية الجارالله ولدت في الرياض ، نالت درجة ليسانس في الحقوق عام ١٤٠٣هـ تعمل في وزارة الصحة ، كاتبة في المقالة والقصة(٣٥) ولها مجموعة قصصية (في البدء كان الرحيل) وأسلوبها يبنى على التقريرية ، والقصة عندها تقوم على تجربة شعورية محدودة واضحة المعالم ويغلب عليها

قضايا المرأة لاسيما تداعيات الفتيات ، وأحلام يقظتهن التي تجتاحهن عندما يطرق الباب من تعتقد أنه يطلب يدها بعد طول انتظار ، فقصتها (الصفقة الأولى)(٣٦) أو "هواجس من توقع المستقبل " وقصتها (الشاحنة) (٣٧) فقصصها وليدة اللحظة الزمنية المتأثرة باللفح الخارجي لكنها توظفها لتفصح عن قضية نسوية عميقة وجملتها تقوم على التقرير ولا سردية فيها وإنما تداعيات شعورية نفسية .

وهي كغيرها من القاصات تخص بنات جنسها بفيض من شعورها وعطائها وتخص بالذات العوانس وقضاياهن ، وقصصها يشرق بالبيان ويلتزمة في لفظة وتراكيبة وحوارة ، لأن قضيتها قضية تلامس الطبقة المثقفة من المجتمع .

أميمة عبدالله بن خميس ولدت في الرياض عام١٣٨٤هـ تخرجت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود قسم اللغة العربية ، تعمل في التدريس ، لها كثير من المقالات ، لها مجموعة قصصية(والضلع حين استوى)(٣٨) .

وقصصها يوظف المرأة شخصية لها ، وهي تستمد من البيئة النجدية كثيرا من ألوان البيئة المنزلية ، ولكنها تتواصل مع البيئات العالمية فهي مرة في اريتيريا ، ومرة مع اللاجئين في السودان ، وتارة أخرى في بلادنا وأحيانا تنتقل إلى شرق آسيا ، وتارة تعود بك إلى عمان ، وأخرى تعيش مع الفلسطينين وأسلوبها يتعاور السردية والتقريرية معا ، وهي واضحة العبارة ، وجملتها تتسم بالوصفية والتقريرية ، ولغتها فصيحة ذات تراكيب قوية ، وقصصها متوسط الطول ، ومجموعتها تضم ست عشرة قصة .

ومن القاصات قماشة عبدالرحمن العليان ، صدرت مجموعتها الأولى بعنوان (خطأ في حياتي) وقد صدرت مجموعتها القصصية الثانية بعنوان (الزوجة العذراء) عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنهم زهرة سعد المعني لها مجموعة (التجديف في عيون حالمه) وقصصها تجنح للقصر والتقريرية وتعرض لوحات متتابعة ، وتهتم بالمقدمة وتحاول أن تلفعها بالتصوير الجيد .

٣- التفتيت:

والتفتيت ظاهرة قصصية تناثرت في الصحف وملاحقها ، كملحق الخميس لصحيفة الرياض ، وملحق الأربعاء لصحيفة المدينة المنورة ، بعد عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م لكنها تألقت بعد عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

والتفتيت الذي طرأ لم يكن ملغيا لمكونات القصة القصيرة الأولى ، بل أخذ يمتد في إطارها ويتخذ في أطرافها بعض التجذرات المحدثة ، فمثلا بدأ بعلامات الترقيم وتوظيفها لحصر المضامين ، أو لتجزئة المقاطع في الشكل ، أو للتعويض عن أدوات الربط أو لزرع مساحات فضائية يترك القاص للقارىء فيها التأمل وإكمالها كما يرى ، وهي أشبه بالوقفات النفسية الداخلية أو تقلباتها ، وقد ظهرت في الاسترسال النفسي الذي طرأ عند عبدالله جفري في عدد من مجموعاته ، ومحمد علوان ، ولطيفة السالم في مجموعتها (الزحف الأبيض) ، وخيرية السقاف في (أن تبحر نحو الأبعاد) ، وخالد اليوسف (مقاطع من حديث البنفسج) الذي أكثر من وضع ثلاث نقاط (٣٩) ، ليوحي بالفضاءات التي تتخلل الحديث ، وهؤلاء وغيرهم تتفاوت دلالات الترقيم عندهم وربما وقف بعضهم في منحاهم الشكلي الفني داخل إطار التفتيت فحسب .

والاكثر شيوعا استخدام النقطتين على امتداد السطر، وبعضهم لجأ الى ملء السطر بنقط ، كخالد اليوسف في (إليك بعض أنحائي) ، والقاص عبدالعزيز المشري لم يكتف بسطر واحد وإنما ترك أربعة أسطر فراغا ، وتجاوز ذلك إلى ما يقارب الصفحة (٤٠) والحازمي يضع علامات النص ويكتفي بالنقط ، أو يضع واو العطف ويتبعها بثلاث نقاط (٤١)ثم تطور الأمر إلى أكثر دلالة وإيحاء، وأكثر تعقيدا ، كأن توضع النقط وتتلوها علامات استفهام ثم تتلوها نقط أخرى، كما هو عند جارالله الحميد ؟ والعتيق في مجموعته(أكذوبة الصمت والدمار) (٤٢)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتفتيت عند الأوائل منهم لم يتجاوز هذه العلاقة ، وظلت الوحدة القصصية ولم تختف الأحداث ولكنها أخذت في التحول إلى التفكيك وتناثرت في التأوهات النفسية ، أو التصوير النفسي ، حتى تجسد فيما بعد التفتيت عند الحميد والعتيق ، ورقية الشبيب في (الحلم) فمثلا تقرأ مطلع قصة (اليمامة وغدر الزمان والمكان) من مجموعة الحلم لرقية الشبيب فإنك تستشف الحدث من بعد نتيجة للتفتيت :

" كولوج الخيط الأبيض بالخيط الأسود ، .. قان .. كدم شهيد الشفق .. زرقاء كالسماء ..لم يقل لها عاشق وامق ياطلعة الصباح .. لم تسربل بمشيق الثياب .. لم تمش تيها نجدية كانت حتى النخاع تحدق تقرب ما كان بعيدا ، هل للرؤية ضباب يحجبها أم تراه غبار ..؟ قالت النخل يسير .. قهقة ذو بطنة مستقل " (٤٣)

والنص الذي أمامي يمثل قصصها الذي لايحسم الحدث ويناى عن السرد ، ويفتت الحكاية وهي لاتعوض السرد بالتقرير أو التدفق الشعوري النفسي ، وإنما قصصها ينسرب من الوعي العقلي موظفة النبضات الرمزية كثيرا ، والإيحاء العقلي الذي يستوقف المتأمل أكثر من الجذب العاطفي ، فقصصها تداعيات عقلية غير أنها تضيء بالشعور عندما تكون الشخصية امرأة ، ولايفوتني هنا أن أنبه إلى الخطأ النحوي في (قهقهة ذو بطنة) فالأصح ذي بطنة .

ليس معنى تفتيت اللغة هنا أنه أخذ يحطم بنية الكلمة اللغوية ، بل إن معياريتها الصرفية لم يمس في أغلب الأحيان أو لم يكن هذا هدفا ، وإن وجد فهو من عدم الإلمام في تصريف اللفظ .

ولم يلجأ كتاب هذا اللون إلى تحطيم العبارة والتراكيب تحطيما يهدف إلى دمار اللغة ، وإنما يعطون الجملة حقها من ناحية الصياغة ، غير أنهم سلبوها المضمون المباشر ، ليفعموها بمضامين أخرى تتأرجح عند القراء ، أو تختلف عندهم في كل قراءة ، يقول جارالله :

" ياالله .. لقد كانت المدينة مليئة بنساء صغيرات ..، ولكن خشنات .. ويستعملن أظفارهن في الكلام " .

فهل يريد أن مدينته لا معالم للنظافة فيها ، وأنها مأوى للقطط والكلاب ، فأفرغ كلمت النساء من مدلولها ، ومنحه لإناث القطط بقرينة توظيف الأظافر في الدلالة بدل الصوت أم يريد وصف النساء في تلك المدينة بهذه المظاهر ، لاجزم في ذلك إنما هي القراءات ، وربما زادت عن هذين التأويلين .

لكن القصاص هؤلاء لهم غاية في مصدر الكتابة الأولى ، أما المتلقي فله مطابقتهم أو مخالفتهم .

ومن التفريغ في العبارات قوله في القصة ذاتها :

" من كان يتصور حدوث ذلك .. تنقض الأحرف الجائعة كصقور قذرة .. وتأكل خبز القلب ؟ وقال قائل : أنا ، ثم قيل له : من أنت ، فبدأ يروي قصته مع التماسيح والأعشاب والشوك .. وقال قوله هذا ثم استعاذ بالله !! فما كان من صاحب الفندق إلا أن طلب منه الهوية للمرة الثالثة " (٤٤).

فهذا النص يحوي ألفاظا وجملا مفرغة من معناها المعجمي ومن هذه العبارات والألفاظ : التماسيح والأعشاب والشوك .. والقاص كشف النقاب عن هذا التفريغ بشك صاحب النزل في صحته العقلية ، حيث طلب منه الإثبات المرة تلو الأخرى ، وهو بهذا التفريغ يصدم المتلقي بشحنات من التداعيات التي توقظ على ما يشبه الأحلام المزعجة وكفى .

وقصص جارالله من أوائل القصص التي وقعت بين يدي تنهج نهج التفتيت في القصة ، لأن منطلقه هذا في التفريغ أدى إلى فلسفة تحطيم الحدث وتركيبه ومن ثم إلى الابتعاد عن السردية ، ولجأ إلى العبارات الشعورية ، وإن لم يصغها صياغة شاعرية ، مما يباعد بينها وبين الشعر .

لكن محور البنية للقصة عند الحميد يندرج من البطل الذي يحمل هاجسا له علاقة ضبابية به كعلاقة العشبة البرية ببطل قصتها التي يزعم أنها حلم ألم به ويسأل من يعترضه عن هذا الحلم ، وتنداح هذه العشبة في وسط أوهامه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كالحجر في الماء ، لتغطي الوجه بدوائر بفعل هذه العشبة ثم تنحسر تارة أخرى ، وهو كذلك في تلك العشبة ، فيظهره على الحدث ثم تختفي تحليلاته ، ويظهر ذلك أكثر في قصته الثانية (معاناة مطر عبدالرحمن ومباهجه) فعبدالرحمن هو المتحكم بالحجر يلقيه في الماء ليضع الدوائر ، لكن ماهية عبدالرحمن هنا في سراب دائم لم تكشف عنه الستائر ، فيظهر تارة في السراب لكن الظامىء إلى حقيقته لايجده :

" وقف مطر عبدالرحمن وحيدا في الشارع ينتظر شيئا .. أي شيء !! ولكن عدل عن ذلك واختار أن يمشي..يالها من مدينة غريبة.. تعاني شعورا بالعزلة..قال المدينة صفراء كذلك وجهي!! وكان يبحث عن قمر وحيد شاحب لكنه كان مغرما بتقلبات الصحارى"(٤٥) .

غير أن مجموعة مقاطع القصة تشير إلى التيه ، وتصحر الحياة أمام الشباب الذي له روابط وثيقة بوطنه ومجتمعه ، فيحدث صراع مع التيارات الحياتية التي تنداح في داخله ، وربما أن هذه التداعيات تهيمن على الشباب ، وتقذف به في بحر التردد والحيرة ، ومن ثم تثنيه عن مواصلة العطاء ، وأصحاب هذا اللون ربما تناسوا عقبات الحياة ومصداتها ، وأرادوا بقصصهم أن يبنوا عذرا لتهاون الشباب وفقدان الجدية ، وكأنهم يلزمون المجتمع بتلافي هذه العقبات ، والواقع أن تخطيها يكون من الشباب أنفسهم الذين يقدمون بثبات إيماني ، ومنهج عقلي ، وتصميم داخلي .

وهدفية القاص وغايته أمر واقع ، لكن حقيقته هي الضبابية ، وهل الضبابية ناتجة هنا من حيرته في معرفة الطريق ، أم أنه يداجي خشية المجتمع أو غيره ، وليس أدل على ذلك من قصة الحميد الثالثة (حديث خاص جدا معك) التي اتخذت السؤال مدخلا ونهاية ورابطا متواصلا في القصة ، ولم تبحث عن الإجابة وإنما هي الإثارة ، وكأنها حديث في حوار ليفتح الطريق أمام المتلقي للكشف عن هذه المحاور بعد حين ليستهلها بقوله :

" أنك رغما عنك تتكون من عدة أشياء ..اسمك الرباعي..لون ثيابك..حافظة نقودك..المدن التي سافرت إليها ..الجريدة التي تقرأها باستمرار هل تحب البحر أو تكره البحر..(المطلوب جواب جاد..) هل تنسى باستمرار؟ هل أنت مصاب بالعمى الليلي ؟ هل تستعمل زيت كبد الحوت؟.."(٤٦) وتستمر القصة في طرح هذه الأسئلة في مقاطع خمس .

ومجموعة (حلم) للقاصة رقية الشبيب تتخذ الإثارة منهاجا لها ، فهي توظف الأسماء التاريخية التراثية ، والحكايات السالفة ، والشخصية يندفع في تموجات تتمحور داخلها أحيانا :

" ينبجس رحم آماله عن لاشيء ، عملية تسطح لانفعالات داخلية ، أهدابه أوتار تعزف عليها ، ذبابة بخطوات وئيدة وشيقة ...مشروخة الآمال ، رمادية الرؤيا ، مسلوقة الأوهام نفسه ..." (٤٧) وأحيانا تنسى الشخصية :

" آه .. أغرنا على قطيع .. وقسم الذئاب الغنيمة ..البطولات لازالت بكرا.. لم يضاجعها سوى خيالات عاجز مثلي ، كيف نجني من الشوك العنب .. الثعلب وحده عرف اللغز وانتصر ، الوخز يدمي ، نمارس عجزنا المغني ، وآمالنا أضعف " (٤٨) .

وقصتها مبعثرة الحكاية ، لاتجزم بجمع شتاتها ، فالحدث يلمح في ضبابية معتمة ، والتفتيت اقتنص تركيب القصة وشتت حدثها ، وعلى القاريء البحث عن جزئياته في موجات من اللغة الشفافة الموحية التي تعبر على مكونات التجربة في سرعة أشبه بمن يجري الكاسيت ليصل إلى لقطة مخصوصة ، وهو في أثناء ذلك يرى مظاهر مضطربة ، صورة واضحة وصورة معتمة ، كلمات مختلطة الأصوات ، كلمة واضحة مؤثرة ، فعليه أن يدرك مكونات الشريط مع تلك العتمات والظلمات ، فانظر إلى قصة (عودة الأشياء الحزينة) فالقصة تكونت من بناء انفعالي متتابع اللوحات ، توحي بكثافة الحزن ومكوناته :

١ ــ فمنظر الخراب " وراء الخراب ..بين بقايا الجدران المتهدمة المنتصبة.."

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ ـ النخلة الميتة بقطع رأسها " جذع نخلة ينطح السحاب ٠٠مقطوع الرأس والأذرع ٠٠" ٠

٣ ـ في الأفق غبار ودخان يتصاعدان ٠

٤ ـ رجل يتسلق النخلة فيتفاجأ بموتها " تدلى رأسه في انكسار واهن "٠

ثم هو يستجير بربه في دعاء عبر عنه بقوله " يمد يده اليمنى إلى الأفق منفرجا الأصابع " ٠

٥ ـ غياب الشمس وطلوعها ٠

٦ ـ منظر الرجل قامع الأطفال ٠

٧ ـ عزف الربابة الحزين ، غضبة الجمال ، ثغاء الأغنام ٠

٨ ـ النداء للوديان (لاتنضبي) ، الريح اللافحة ٠

٩ ـ الجماجم تغني ، رجل أحمر يفلق رأسا برأس ، كأس نخب الانتصار دم أحمر " (٤٩) ٠

فهذه تكثيف لصور توحيَ بدمار ربما يقرأ ويؤول لواقع العالم الإسلامي وربما يقرأ لمستقبله الفردي ، لكننا لانرى حدثا متجسما امامنا نقرؤه بصراحة، وإنما مجموعة هذه المكونات تزرع تأملا يختلف من قاريء إلى آخر ، وهذا لايؤدي إلى عدمية التأثير من القصة بل يزيد حيرة الفرد في هذه الحياة ، فهل زيادة الحيرة وموكب العتمة والظلمات أحق أن يتبع أم أن المواجهة واختطاف القلب في صراحة ووضوح أجدي وأنفع ؟! ٠

وإن كنت أعتقد أن الوضوح والإقدام والصراحة أفضل لعالمنا العربي الإسلامي ، لكننا لانستطيع أن نلغي دوامة الفكر للشباب لما يلفح الأمة ويلفعها من وهج الأحداث ٠

والتيارات المنحرفة ، والأعاصير الهوجاء المرتفعة في دوامة الصحراء التي تلف شباب أمتنا في معمعتها فأدت إلى الحيرة والتشرد الجمعي والشعوري والفكري ، مما يجعل الشخصية عند العتيق تتساءل : " فمن أكون ؟٠٠ سقوط٠٠موت٠٠ عبث في بنية العالم ليتخلخل أو ينهار ، أهذا هو الوجود ؟

.. أصم أذني عن كل شيء .. لأنني لا أفقه أي شيء .. هذه ياسادة.. قصتي مع الليل . كل لحظة أشعر برغبة إلى النحيب .. لكن هياجي الصامت تأجج عندما قلبت الطاولة " (٥٠) .

فهو يحكي الحيرة التي تجتاح بعض شباب اليوم ثم تتجسم بالتمرد على الواقع نتيجة لعدم الثقة فيه ، بل تارة ينهار لما يدرك الواقع ويعيش مستقبله المدلهم أو المتوقع بالويل والثبور :

" شعر برغبة إلى الانزلاق فى النحيب . دفق رأسه بين راحتيه . زوجته تتأمل جسمه يهتز فيهتز كيانها .. ماذا تريدين ؟!

جسدي يترهل .. وبدني في انهيار

من أنا ..؟ .. من يقدر على إيقاف الزمن .. تأمليني جيدا.. لم أعد كما كنت .. والشبح .. لازال يزحف ويقترب منا .. ونحن لانحرك ساكنا .. شيء رهيب ..فإنني أشعر بالتمزق .. كلما داهمني الشعور بالخسران .."(٥١)

وهكذا تكون قصص العتيق تمثل واقع قليل من الشباب الذين يعيشون في ضبابية من واقع الحياة ، أولئك الذين لم يرتكزوا على محور ثابت يتلبس حياتهم ليقيهم لفحات الهواجس والأوهام ، إننا في حاجة إلى شباب يدرك تلك المخاطر التي أدركها القاص وشخصياته ، غير أننا نقف في مواجهتها قبولا للمحق منها ، وصدا للباطل ، وعملا مخلصا دؤوبا لمواجهة عقباتها .

ومن هنا ندرك أن التفتيت الداخلي الشعوري المنبعث من التفكك الخارجي هو الذي انكفأ على التفتيت لحدث القصة فجعلها موجات تتلاحم في التكوين العام. وربما تتلاحم لتكوين ماهية الفكر الذي يؤطر المجموعة كاملة . كما هو فكر الحيرة والاضطراب ، وتيارات الضياع ، ومسارب التيه التي تحتضن شباب الأمة إن القاص يجسمها لنا لعلها تساهم في الحذر والحيطة والمعالجة ، أو ليقول لمفكري الأمة ها نحن الشباب بكل واقعية ، فماذا ترون ؟!

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المفارقة :

هي أن يجمع الكاتب في ألفاظه وتعبيراته ودلالته المتناقضات أو المتعارضات ، فيحمل المعنى ونقيضه لتمثل تموجات مشاعر الشخصية ، وقد أخذت تنسرب في نتاج البلاد القصصي ، فكانت البداية في ملامح الصور التي تحكي الفرد ووعيه بذاته ، فتارة يتلفع بالهدوء والمسرة ، وتارة تكسوه سحابة من الوجيب والاهتزاز ، وهذا يدخل ضمن التداعي الذاتي حتى بلغ الأمر أن يحاكي الأسلوب الذبذبات الشعورية التي تضطرم في داخل الفرد الحائر المهموم الذي لم يهتد إلى طريق نير .

فالعتيق يصف شابا غير مستقر على حاله إنما يتداعى شعوره ليجمع بين السرور والشرور ، الأمل والعتمة له :

" أن أقتل ..ان أحرق ..أن أصخب ..

وبعد ؟..

أن أبكي..أن أضحك..وأعبث وأنطلق..

...؟!..

أعمل وأغني..وأموت واحترق.."(٥٢).

وتتجلى المفارقة في قصته القصيرة جدا (التجلي في بحيرة الأحزان) :

" لكنهم رأوها تبكي وتصرخ :

- لاأريد أن أموت ..

- فطق العلك في فم تلك المرأة .. وضحكت قائلة لها :

- أنا امرأة

واحتار الرجال كيف ماتت تلك المرأة .. لم يذرفوا دمعة واحدة .. بل رأوه يمسك بشعرها .. فيجرها ليدفنها بصمت .. وقبل أن يواري جسدها التراب..ابتسمت في وجهه ابتسامة رهيفة .. وعيناها في جحوظ عنيد..وشفتاها الصغراوان ترتعشان :

ـ أنا إنسانة

ـ ضحك ٠٠ وهو يواري التراب عليها :

ـ أعرف أعرف

بيد أن تلك المرأة ٠٠ لازالت تطوف أنحاء الأسواق والشوارع ٠٠ والطرقات المظلمة ٠٠ وهي تنشج :

ـ أنا امرأة " (٥٣)٠

ولا أرى تفسيرا لهذا أبلغ من صراحة الشاعر العربي :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

والقاص ناصر العديلي يستهل مجموعته (الزمن والشمس اللذيذة) بقصته (هذيان قبل الرحيل) وهي تحكي هذيان الحيران الذي يمزج الماضي بالحاضر بالمستقبل ، فتهاوى في أحاسيس الشخصية في لحظة واحدة فتموج كالمرجل : " ما أكثر المثيرات التي تحيط بنا ، القلق ٠٠الحب٠٠الدموع ، السير وراء الجنائز في الحقل سنابل ٠٠يدان ٠٠وذرات تراب تلك الأضواء المبعثرة في الشارع لم تدر بخيوط الشمس " ٠

وهم يجمعون الأشياء ذات الأهمية الاجتماعية ، وربما ما يوحي بالتدمير والهلاك ، وربما يرمز بالعقارب إلى الوخز الداخلي النابع من الموروث :

" أيتها العقارب العائدة من أعماق الماضي ، هل توقظين تلك الأضواء الغافية ، أتوق إليك أيتها العيون في زمن الانتظار المشروخ زمن الفانتوم الهاوية من الأجواء كالذباب ٠٠زمن القلق المفترس كل العيون إلا إياك٠٠ لم يعد الدقيق مصيدة للفئران يموت اليهود كالجيف في الربيع ٠٠لبيك ياأبوعيون وساع"(٥٤)

فهذه الأشياء المتباعدة تمور في لحظة واحدة داخل الكيان البشري المعاصر ٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإيحاء :

هو أن يلمح الحدث من وراء كثافة الضبابية والغموض ــ عن طريق العلامات والإيحاء والإيضاءات الدلالية المشتقة .

هو مرحلة تجمع بين التفتيت والرمز ، والقاص السعودي جنح حينا إلى الإيحاء اللفظي ، وإيحاء التراكيب والصور ، والإيحاء يمنح الشعور المتسامي ومخاطبة الأحاسيس التي تقدحها الدلالات وتثير كوامنها ، ثم يؤول إلى المتعة، والوسيلة إلى ذلك الكلمة المشعة بتعدد الإيحاءات أو السياقات المملوءة بالدلالات ، أو عرض الصورة الماضية والحاضرة ، أو الخيالية في شكل توهج واتقاد لا في سرد وتقرير وتوصيف ، ليمثل النبضات الشعورية المضطربة التي لا تستقر على حال .

وهذه ربما تولدت من الاتجاه المعاصر والتأثر بالآداب الأوربية ما بعد الحداثة وما بعد النص ، فانتهجوا هذا المنهج الفني ، وبعضهم من توافقت دواخله الشعورية ومكوناته الفكرية مع هذه الذبذبات الشعورية فكانت تلك الأساليب فيضا من حالة عدم الاستقرار النفسي والعقلي للفرد في عصر تتدافعه التيارات ولم يقتنع على أي المسارات يسير .

والمجموعات القصصية التي نهجت هذا المنهج لم تعمد إلى السرد أو التقرير أو متابعة الأحداث ، وإنما تتلون القصة في تشكيلات نفسية توحي بها صور متعددة يطرحها القاص في نصه ، فمثلا قصة (الطوفان) لجارالله الحميد يصدرها بمقدمة قصيرة :

" حين أفقت من الحلم ربما أنني كنت سعيدا .. فقد قررت عدم النزول إلى الشارع .. وقمت لأنام ثانية" ، ولكنه في المقطع الثاني يقول :

" توقفت عند بائع الصحف ، هل هذه الجريدة جديدة ، نظر إلى بقسوة مما اضطرني لشراء الجريدة " والمقطعان يوحيان بالاضطراب والتمزق ، فالسعادة لم تأت إلا في الحلم ، وهو لم يكن راضيا عن الصحافة ، وتشابه الإخراج

والمضامين وهو يضع بعد كل مقطع نقطتين كثيرا ليفصلها عن المقطع التالي لها ، ويستهل المقطع الذي يليه من بداية السطر .

وينتقل بنا في المقطع الثالث إلى لوحة جديدة لاتكاد ترى تقاربا مع المقطعين السابقين حيث يصف مساحة برية (الشعيب) لكنها ترى المدينة ويمكث فيها لحظة من لحظات الموجات الشعورية ، وراحة النفس فيها كزبد البحر فلايريح النفس كثيرا .

ثم يعيش بنا في حوار مادي في مقطع قصير :

" قالت لي سلمى :

- هل معك ثمن ثوب جديد للعيد

- فضحك مدعيا الكبرياء " (٥٥) .

فالفقراء هم الذين يتطلعون للثياب الجديدة ، وهو لايجيب في صراحة وإنما يضحك ضحكة مريرة ، غير أنه يلوي إلى الكبرياء التي توحي بالمقدرة الزائفة، فاستعاض بهذا التصوير للفقراء كيما لا يفيض في الأوصاف والأنات والآهات .

ثم يرسم له لوحة أخرى للبلدة :

" اتصل أهالي البلدة مرارا بالشرطة .. وأثناء ذلك كانت أبواب المدارس مغلقة .. ومستشفى البلدة والدوائر الآخرى .. كانت مغلقة .. والمطر كان يهطل .. ويقسو .. واتصل أهالي البلدة مرارا بالشرطة .. وأثناء ذلك تكونت مستنقعات كبيرة ضخمة ، مليئة بالأحذية وجثث الفيران ، وعندما أدخل المطبخ أشم رائحة الطبخ بطريقة غير معتادة إذ أن المطر كان يهطل في رأسي "(٥٦).

فهذا المقطع يوحي باضطرابات السير ، وعدم تنظيم الطرقات ، والتهاون في العمل في المدن الصغيرة .

والقاص هنا يعمد إلى تركيب الجمل تركيبا معياريا صحيحا ، غير أنه يعمد إلى توظيف الصور أكثر من الاتكاء على اللفظ والتراكيب ، وهو كغيره ينظر بمنظار أسود ويشم روائح كريهة ، وهذه الحواس يعمد إليها كيما توحي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بدلالات كثيرة ، ويختم مقطعه " وهو أن المطر كان يهطل في رأسه " ، وهذا يرمز إلى ثقل الهموم التي ينوء بعبئها بطل القصة ، والمقطع كله يميل إلى الرمز .

ومجموعة الحميد (أحزان عشبة برية) تنهج هذا النهج الذي لاغبار على شكله الفني ، وتوحي للقاريء بفيض من الأفكار حول الحياة ، وتعرض أمامه مسرحا من الأحداث والحياة الواقعية ، غير أنه يلفعها بضبابية من الحزن كما لفع العشبة البرية ، وربما يرمز ذلك إلى حياة المجتمع في العالم الثالث الذي تلفحه العاديات من كل صوب فلا سبيل إلى السعادة .

والوضوح يظهر في كل لوحة وإن لم يحل هذا الوضوح حاجزا دون الرمز الكلي ، فالتراكيب متكاملة تحمل دلالة ظاهرية وتوحي بصور ، ويلاحظ أن النقطتين داخل النص لم تغن عن أدوات الوصل فيعقبها بالفاء أو الواو .

وقريبا من منهج الحميد منهج مجموعة (أكذوبة الصمت) لعبدالله عبدالرحمن العتيق وإن صور لنا الأحداث من خلال السلوكيات النفسية ، فكأنك تعايش اضطراب النفس الحائرة بين المغريات والعفاف ، الولوغ في الملاهي ومستنقعات الرذيلة ، والولوج إلى شاطيء النزاهة والطهارة كما تصورها قصة (هل ضاعت)(٥٧) ، و(الغرباء) (٥٨).

وتجد ان المجموعة تنشطر إلى شطرين فأحدهما يتواصل مع الاسترسال الشعوري الذي يدور في فلك واحد ويمثل تجربة فردية محدودة تتدفق فيضا من توارد الخواطر الذي تتعاون لبلورة التجربة أو لنقل غاية التجربة ، وشطرها الآخر يقوم على المقاطع الموسومة بالارقام ، كقصة (ماجرى بعد تشردها في الداخل) (٥٩) وزعها إلى أربعة عشر مقطعا تمثل الموجات النفسية التي ترتعش لها فتاة اليوم بين ما يثير التلفاز وبين المعوقات امام الحياة السعيدة ، وبين الإغراءات والوعود الكاذبة ، ومن هذه المقاطع :

" أخشى أن أرى اليوم الذي يسقط فيه صفاؤنا في عكر الأشياء الجديدة ".

" سأتجاهل ذكر ما أحضرته في المدرسة زميلتي اليوم عند عودتهم من الخارج فأثار اندهاش الطالبات وهلعهن " ففيه إيحاء عميق ، وبعد أن تبوح برفض والدها لفارس حياتها :

" أثناء الدرس تجولت في مدينة كلها خراب .. طرقاتها الخيالية محفرة ووعرة .. وأزهارها وخضرتها محترقة .. (٦٠).

والعتيق تسود قصصه النظرة التأملية والحوار الداخلي غير انه يعود فيجنح إلى النهاية الصالحة في بعض قصصه ، او التي تعود بالعظة والعبرة .

وهذه الشريحة تحاول أن تفيض بالإشارة والإيحاء والرمز أحيانا لكنك لاتعدم المباشرة أو الروابط الوثيقة بين الهدف والصور والتراكيب أيضا ، ومن كتابها :

جار الله يوسف الحميد ، ولد في حائل ١٣٧٤هـ يعمل مديرا للعلاقات العامة بإمارة حائل ، وله مجموعتان قصصيتان هما :

١ـ أحزان عشبة برية ، نشرت عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٢ـ وجوه كثيرة أولها مريم ، صدرت عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

وقصصه أشبه ما تكون بالسيرة الذاتية ، وتكاد تختفي بذرة الحدث ، فكأنه يرمز لسيرته وعلاقته في الحادثة المخصوصة التي يهدف إليها ، وهو يستخدم الفصحى وتراكيبة واضحة ، وقصصه قصيرة جدا ، وربما يوزعها إلى مشاهد استعراضية .

رقية حمود الشبيب ، المولودة في حائل ١٣٧٦هـ حصلت على مؤهل ليسانس علوم اجتماعية ١٤٠٠هـ ، عملت في التعليم مديرة للثانوية الثالثة بالرياض ثم موجهة ثم مسؤولة عن محو الأمية في شرق الرياض ، ولها مساهماتها المميزة في الصحافة الأدبية والاجتماعية وكتابة القصة ، ومن أعمالها القصصية القصيرة :

١ـ حلم ، صدرت عام ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٢ـ الحزن الرمادي ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهي تجاوزت التقريرية وجنحت إلى النص المفتوح الذي تختلف قراءاته ، ويمتاز عملها بالوعي العقلي ، وتحشد له جمعا من الإيحاءات والدلالات عن طريق استخدام الموروث ، والإثارة النفسية أحيانا ، والتأمل العقلي كثيرا .

ومن الكتاب الذين آثروا التفتيت فهد عبدالرحمن العتيق المولود عام١٣٧٩هـ بالرياض في مجموعته الأولى (مسافات للمطر الآتي٠٠٠) ، ومعالم قصصه تدور في فلك التفتيت ، بداية من الحدث الذي يختفي وراء ضبابية من سياجات النفس الغامضة ، فلاترى إلا إضاءة باهتة وراء حجب السحب الكثيفة ، وهو يعمد إلى الجمل القصيرة ليوظفها بجمل تعقبها وتتلوها تكاد تسربل الأولى بظلامها ، أو أنه يسرد جملا وصفية لكنه ينسفها بمضمون السياق الآتي ، وهو يجمع المتناقضات أو ما يسمى المفارقة في قصصه التي تقوم على المتضادات أو المتعارضات أو المتباريات ، يقول في قصته (مواسم الليل٠٠والحصار) فهو يجمع بين الموت والحياة ، وبين الجفاف والبذر :

" عقب الليل سيجيئون ٠٠ رغم موتهم سيولدون من جديد٠٠سيأتون قبل لحظات الجفاف ويقولون ٠٠ ينبتون بذورا من باطن الأرض ٠٠٠ يركضون شعلا أو يهطلون مطرا " (٦١)٠

فهو إلى جانب ذلك يترك فضاءات بوضع النقطتين على امتداد السطر ، وهو يترك مقول القول أحيانا ، وهذا اللون من التعبير يندرج أيضا في الرمز الشعوري الذي يوحي بما يعتلج بالذات الشخصية من تداعيات الحيرة والاضطراب نتيجة إلى فقدان الشاطيء المريح الذي يرسو إليه ، ويتمثل هذا في قاعدة فكرية أو إيمانية تنصهر فيها الأعاصير العاتية .

وتسير مجموعته (عرض موجز لمقتل مغني الرصيف) على نهجه السالف الذي يجعل من النص ضبابية توحي وتستشرف منها إضاءات تثير لكن لاتنير

والقاص عبدالحفيظ الجازع الشمري ، المولود في قرية النيصية عام ١٣٨٠هـ له مجموعته (رحيل الكادحين) وهو يحاول أن يخفي حدثه في ضبابية السيرة التي يصفها وصفا خارجيا ، أو ينطلق بصوتها .

٤- الرمزيــة:

الرمزية ظهرت في الأدب الغربي نتيجة للغليان الداخلي والتمرد على الواقع المعاش ، فهي ترمز إلى ذاتية الفرد وما يعتلج في صدره من ثورة واضطراب ثم بعد التفكك الأسري والعطش الروحي والتهالك التقني استشعر الفرد الأوربي الانفصام ، وأضحى الفرد في عجلة من أمره عن تغذية الروح بالآداب الدينية ومعالجة النفس ، ففكر الأدباء بأيسر السبل لكي يتم التواصل والتشويق إلى الفنون الأدبية فاهتدوا إلى الرمز التراثي والأسطوري وانسرب هذا في أدبهم الذي تواصل مع أدبنا العربي ، وقد وجد هوى في نفوس بعض من أدباء العرب لاضطرابهم النفسي وحيرتهم ، ولوجود أساطير وأمجاد تدعو إلى ذلك ، ولأنه قد وفد علينا باسم التجديد ، وأما الخاصية في البلاد العربية والإسلامية فهي الكبت وعدم حرية الأديب فيما يقول فامتطى الرمز وسيلة ليفصح عما يعتلج في ذاته وقد ظهر ذلك في القصص المصري وكثيرا من الشعر العراقي

أما الرمز في أدبنا فهو حديث العهد لعدم وجود الموروثات الأسطورية ولعدم القناعة بها . ولقلة المعاناة المكبوتة عند الأدباء السعوديين ، ولأنهم انشغلوا بقضايا اجتماعيةتستدعى المعالجة او تسجيلها كظاهرة حتى كان التمازج الكثيف الفكري والجمعي ، ثم تبرمت الأمة من الاحتلال الإسرائيلي وتكالبت الأمم معهم ، فالعالم الثالث من قمته إلى قاعدته يستشعر عدم الاستقرار ، وهبوب العواصف الهوجاء وطفح الكيل في دول الخليج بعد معاناة الحروب الخليجية ، ومن هنا فإن الرمز أمسى وسيلة فنية لها رواجها في الشعر والقصص ، ونتيجة لعدم إيمان الأدباء بالأساطير الإغريقية والفرعونية والخرافات القديمة فإن الرمز الأسطوري ندر وجوده في القصص ، لكن تكاثر الرمز التراثي الذي وظف شخصيات إسلامية ، أو استوحى نصوصا تراثية فضلا عن النص القرآني والحديث الشريف فهو ورد في قلة احتراما وتقديسا لها حيث إن إدخاله في تصورات شعبية ربما يوجد حرجا .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن الرمز الموظف في القصص الرمز الكلي ، وأقصد به أن القصة بحدثها وشخصياتها ترمز إلى حدث مماثل كما برز في قصص الدكتور عبدالله باقازي (كالزمردة الخضراء) ، ومنه أيضا الرمز الانفرادي الذي يتحدث عن النخلة والقمر والأشياء الفردية لكنها ترمز بصورتها الكلية إلى المرأة أو المجتمع أو حادثة يستطاع قراءاتها من التأمل كما يبرز في مجموعة (حادي بادي) لتركي السديري ٠

والرمز الإيحائي الداخلي ظهر متأخرا في الأدب السعودي لاسيما القصة منه ويدخل في إطاره التدفق الشعوري النفسي الذي يرمز إلى شخصيات لا استقرار لها ولا ثبات وإنما الحيرة شأنها والتموج واقعها ، ويتبلور ذلك في بعض قصص عبدالله جفري ، ومجموعات عبدالله العتيق ، وتركي السديري ، ورقية الشبيب ، فهو مصاحب للتفتيت الذي ينبيء عن تفتيت داخلي متسرب في العمق الفردي ، وربما يتلاحم مع العمق الاجتماعي ٠

والقاص يستعين بالنص القرآني ، والأيات الموحية لبلورة الحياة القديمة التي تقوم على التآزر والتفاني والعمل الدؤوب الجمعي من أفراد الأسرة وكل يدرك مهمته ، نستوحي ذلك من تداعي قصة النمل ، فالقاص يحكي على لسان امرأة متقدمة في السن :

" كنا صغارا ٠٠ صرنا كبارا " عاد بنظراته ومشاعره إلى الأرض جذبته النملة التي عادت ومعها نملة أخرى ٠٠ضحك استعاد قصة النبي سليمان مع النمل (حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة ياأيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون ، فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه) (٦٢) ٠

تقابلت النملتان على الريشة حاولتا حملها ٠٠لم ينجحا ٠٠ اقتربت إحداهما إلى الأخرى حاولتا من جديد سحب الريشة ٠٠ تحركت الريشة غير أنها تشبثت في التراب ٠٠(وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)(٦٣) دارت

النملتان على الريشه .. غادرتا المكان دون جدوى (ولله في خلقه شؤون)[٦٤].

والقاص ناصر العديلي يوظف الأسماء المشهورة ليرمز بها إلى التفوق والقدرة العقلية كيما ينجو من عقدة قصر القامة وأنها لم تكن حاجزاً دون التألق كما حدث لنابليون القائد الفرنسي ، وللأديب العربي المصري الساخر المازني :

(أيتها العصافير أنا شاب خجول .. أسمر قصير القامة فشلت في الالتحاق بالكلية مصاب بعقدة - كما يرى بعض زملائي - لأني قصير هاه .. كل الناس قصار حتي نابليون .. والمازني ، أخاف شيئا اسمه المستقبل أقلق أعيش في صورة مغلقه أتوجس الخوف من كل شيء حولي .. أراه طليقا هائما يتأهب لأن يلقي نفسه علي)[٦٥].

ويستوحي القاصون كثيرا اسماء الأدباء مثل محمد الشيخ الذى استوحي التأمل عند أديسون ، وطاغور " [٦٦]

والقاصة رقية الشبيب توظف العبارات مثل (أياخلي الفؤاد) وتشير إلى آية من القرآن بقولها (كأسفار حمار) وتذكر الأسماء لترمز لمدلول واسع ككسرىوسراقه : [تقرأ في أسفار التاريخ .. ترحل معها .. تذكر نفسها.. يقرصها برد الجفاف القلب (أياخلى الفؤاد) أتحلم بها هى ...لكن أين منها زمن بعيد.. لم تحلم بسواري كسري، أين زمن كسرى ؟ وأين منها زمن سراقة ... الأماني كانت ثقل وأنين (كأسفار حمار) .. قاتل أمس لايعود][٦٧] .

ومن أشهر الكتاب الذين يوظفون التراث التاريخي ، والتراث المحلي القاص عبد العزيز مشري ، فهو يحكي قصته على شاكلة القصص الشعبي القديم الذي يحكي عن المهلهل ، وعنترة ، وسيف بن ذي يزن ، وألف ليلة وليلة ، فيجعل عنوان قصته (عنتره بن رداد) فيجمع بين اسمين تراثيين أحدهما قديم وهو عنترة والآخر محلي وهو رداد ، واستهل قصته بقال الراوي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومازج في قصصه بين المضمون القديم والمضمون الحديث :-" كان عنترة يغني ٠٠ يرفع عقيرته ٠٠ فتلعلع في المباني التي ارتفعت من اليمين ومن الشمال ، تصطدم القوافي مثل لمعان البرق ، بوجهات الزجاج ، وتسقط كما العصافير فوق الأسفلت ، وتحت قواعد العمارات الشامخة يحمحم ويرفع عقيرته :-

فإذا ظلمت فإن ظلمي باســـل مر مذاقته كطعم العلقم (٦٨)

والقاص تركي ناصر السديري ، يستوحي سيرة الفلاسفة ومنهم أبو العلاء المعري الذي أعرض عن الزواج ، وأعلن ذلك في صراحة وإصرار معللا ذلك بمعاناه الإنسان ومكابدته ومشقة الحياة ولأنه يؤول للموت يقول : (هذا جناه أبي عليَ وما جنيت علىأحد) ٠

فهو يضع أبا العلاء عنوانا لقصته التي توحي ألفاظها وأحداثها بالرعب والفناء كمثل (تسلخ ، ومشوها ، ودوامة والرعب ، والتبختر) وبعض الأفراد يضل كما ضل أبو العلاء في فلسفته وحرمانه ، وربما أن القاص سجل ذلك نتيجة لما أمطره الحادث المروري الذى سحق الطفل فكأن التجربة استحضرت هذه الفلسفة :

" يتكرر عليه السؤال ٠٠ متي تنجب أطفالا ؟ ٠٠ يحيله لأبي العلاء ٠٠ يقول له ٠٠ ألا تجيبهم ؟ ٠٠ يأكل المعري قطعة خبز وخس ، فيما هو ينظر إلى القدر ٠٠ يندلق على الطفل ٠٠ تزلغ جلده ٠٠ أصبح مشوها، يزداد خياله تسلخا ، يدخل في دوامة رعب يرتجف ، يتلقفه المعري من الأرض قبل أن يتبخر ، يتأكد أن القدر على الموقد ، يخرج من المطبخ ، يغلق بابه بكل تأكد وحرص ، يقول لمن يسأله : لا أرغب ٠٠٠ ينظر إلى التلفزيون ، يجد فيه مدير المرور يحذر من حوادث السيارات ارتطم رأس الصغير بصدام السيارة قبل أن يتناثر رأسه في خياله ، يقول له المعري : لا تجن عليهم ٠٠٠ ترتفع معنوياته ، يزداد إصراراً على فلسفته وخوفه ورحمته ، يقسم لصاحبه : إن الذين ينجبون أطفالا ، رجال شجعان ٠٠ ضحك هو وصاحبه والطبيب ٠٠

حينما خرج من العيادة النفسية ، أصبحا ثلاثة .. هو وصاحبه وأبو العلاء ..." (٦٩)

وفي هذا تعطيل للحياة وانقطاع ، وفيه تعطيل للعقل ، إلى جانب معارضة السنين الكونية والغرائز الإنسانية .

والسديري يستحضر الأحداث التراثية في العهد الجاهلي مثل وأد البنات الذى ورد في القرآن الكريم (وإذا الموءودة سُئلت بأيّ ذنب قُتلت)(٧٠) لكنه يرمز لمعالجة قضية شائعة ذائعة هي الزواج من أجل المال ، لاسيما والفتاة مكرهة على ذلك القرين الثري فرمز اليها بالموءودة فكأنها لا وجود لها في قصة بعنوان(الموءودة) ، حدثتني التي شاهدتها :

" كانت فرحةً ، تحولت لزهرة بيضاء ، ملتمعة ، نبت لها خدان من الألماس ، تثير لمعانها حين تبتسم .. وما أكثر ما ابتسمت " سرحت في رسم زهرة الألماس .. فاستحضرتها ضاحكة ، مغموسة في الابتسام ، أشد لمعاناً .

واصلت المتحدثه ، تحذرني من السرحان :

(استغربت لابتسامتها ، كيف يكون ذلك - فعلا - وكما كنت أؤكد باستمرار: (انها طفل في جسد امرأة ..) لا أدري بدت منتشية بالفرح (٧١) ومثلها قصة (مي زيادة) فهي رمز لحب من جانب واحد (٧٢) .

ورقية الشبيب تنقل لنا صورة رمزية متكاملة لأمرأة العزيز : " في أسفار التاريخ لا تزال تقرأ ، كانت أمرأة تمردت أحبت ثم تابت .. تهامس الناس وطالت ألسنة النساء ... أعلنت الحقيقة فغرت الأفواه ، وقطعن أيديهن وتبلورت الرغبة في عيونهن .. أمرأة العزيز الأنثى اسقطت كل شيء لحظة عرفت أنه الحب .. امرأة العزيز تسقط وتسقط ، لكن يوسف يعف ، وتتمرد الأنثى في داخلها كالطوفان .. تقتله بالكذب .. تغلبه .. لكنه انتصر ..(٧٣)

ويكثر عندها توظيف التراث ، وهي وإن ذكرت أسماء لكنها تضعها في تراكيب توحي بصورة كلية تراثية (٧٤) كقصة عنترة وعبلة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أشهر المجموعات التي انبثقت عن تفاعل الشعور الداخلي للشخصية والتي تندرج ضمن الرمز الشعوري ، مجموعة (أكذوبة الصمت والدمار) للعتيق فالقاص يجوس خلال النفوس ، وينسرب في مدارج أحلام اليقظة ، ويهتز بفعل اللفح الخارجي مما يرمز إلى التكوين النفسي والتشرد الداخلي فرسم لوحات للخواطر المتتابعة التي تمور كأمواج البحر ، وقصته (ما جري بعد تشردها في الداخل) هو سرد لأحلام اليقظة أو رسم لها ليرمز لذاتية الفتاة المنتظرة وغير المستقرة ، وتارة يرمز صراحة لحالة متابعة الفتاة من المشاغبين ويرمز لهم بالكلاب :

" تسمرت الفتاة بذعر عندما تحلق حولها الكلاب ، وأخذت عيناها تبحث عن مخرج من هذا المأزق حدقت بها القطة بتشف .. لكن الكلاب انطلقت نحو القطة لتمزقها بضراوة ..ثم مشت الفتاه بوهن لتبلغ نهاية الحارة ثم اختفت .. والعيون لا زالت تبحث عن مخرج .. ولما حدقت في الحائط .. كان عليه آثار إنسان ملصق به فارتعشت .. لكنها استعاذت ونامت .. "

تلك تسلم الفتاة إلى الهواجس نتيجة للإغراء المتتابع فتتمني النجاة ببطل الأحلام ، وتتدفق إليها الإوهام : " فلاحظت .. عندما تخط على اللوحات بلون باهت سرعان ما يجري به اللون الأسود النقي .. فأخذت تدون على بقايا كراسة قديمة بلا تاريخ :

- في الليلة السابعة من هذا الشهر ..رسمت الحطام المكتوم في الداخل .. بلون باهت ومتوهج .. بطفولة بدائية .. ولما عدت من تناول الشاي وجدته قد أنطفأ .. وبقي في ظلام .. فأخذت أبكي.. وأنا أحدق في الخيول البيض المجنحة .. والنوق والخيام .. والمراعي والصحراء .. واللون الترابي والبرتقالي .. والسماء الأرجوانية .. ولما تلاشي نشيجي لم أستطع تدارك ومضات هذه الأشياء .." (٧٥)

فالقاص وظف التدفق الشعوري للرمز ، ورمز للأحداث من الفتيان بمتابعة الكلاب ، والرمز بلفظة الكلب الذي يندفع نحو فريسته لكنه ينبح ولا يفعل ،

وأيضا رمز بالخيول البيض المجنحة للأوهام السارة ، ويرمز للسكن والمال بالنوق والخيام والقصة مكونه من مقاطع وكلها تفيض من تداعيات داخلية . فهي بوح بما يعتلج في النفس .

وبطلة القصة تقف موقف جدتها الأولى في مراقبة الله فلما تحين علامة الحدث يتجلي الوازع الديني ، وتنبرىء المروءة ، ويمور العفاف لتقف هذه حاجزاً في وجه التمرد، فهذه المرأة تعلن الحيرة والتردد في الهاتف الذي تخشى ما وراءه : (وأنا خائفة ، وأنت لا ترحم ، وأقف أمام الهاتف مترددة بين الإقدام والإحجام ، بين أن أرد أو لا أرد ، وألف ألف حيرة داخلي .. ردي فلعله زوجك يريد أن يطمئن عليك ، ولا تردي فلن يكون إلا واحدا من خفافيش الليل ، ردي فربما حدث لزوجك شيء وهذا أحد رفاقه أحب إخبارك ، ردي فزوجك وحيد ليس له غيرك ، ردي فلعل الأمر كذلك ، ردي .. ردي.. لا تردي فلعله أحد الغرباء أراد أن يتأكد من وحدتك ، ويزداد وجيب صدري وأركض إلى الباب لأتأكد أنه موصد ، وأعود لأقف مكاني إلى جوار الهاتف مرعبة وخائفة ، مترددة مترددة ، ردي ..لا ..لا .. ردي .. ردي .. لا تردي ..ردي .

وألف وألف حيرة داخلي تمزقني ، وأنت تقف خلف سماعتك بلا رحمة وهاتفي وداخلي يدقان ، وأنتزع السماعة بكل رعشة الخوف ، ترتعش هي بيدي وشفتاي ترتعشان ولا تنبس بكلمة ، ولا تقوي ، وأتوقع في كل لحظة أن يجيئني نبأ زوجي" (٧٦)

فقد ذكرتنا بقول المرأة التي غاب زوجها وسمعها عمر بن الخطاب تنشد :

تطاول هذا الليل تسري كواكبه ... وأرقني ألا ضجيع ألاعبه

يُسر به من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشا لا تجتويه أقاربه

فوالله لولا الله لا شيء غيره ... لزحزح من هذا السرير جوانبه

ولكنني أخشي رقيبا موكلا ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه(٧٧)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهذا اللون من النفث الداخلي يرمز للتفاعل الشعوري الداخلي الذي ظهر بظهور مدرسة الرمز الفرنسية (فرامبو) يقذف بحممه الداخلية في إبداعه ، فكان رمزا للاضطراب الداخلي (٧٨) .

ونحن إذا عدنا إلى تكوين الرمز المعاصر وجدناه ينبع من التلوين الشعوري الداخلي أو من هيجانه وفورانه ، وحيرته ، وأزيزه ، كما هو عند الشاعر رامبو الشاعر الفرنسي وقد غزا هذا اللون القصص القصير لاسيما في مراحله المتأخرة ، وهؤلاء القصاص في بلادنا ينهلون من النبع الشعوري الداخلي ، فالقاص الحازمي يجعل من شخصية القصة أمرأة حائرة تنفث ما يعتلج في صدرها من حيرة ، حيرة الوحدة ، وجياش الغريزة ، والتمرد على الواقع والأطر :

" الليل والقمر وقسوة الشتاء ، وأنا لست أنا واقفة أنا في النافذة ، واقفة في وجه الريح أتحدي رياح الشتاء ، وقسوة الخوف ، وليل الغربة ، وغرباء العاصمة متمردة أنا ولا شيء يخيفني ، أدخلي أيتها الريح القاسية ، فلن اقفل في وجهك نافذتي ، أدخلي وانهشي من صدري ما تشائين فأنا الليلة لا أبالي ..

وأنتم ياغرباء العاصمة ، ما عدت أخشاكم ، ها أنا ذي واقفة فاقتربوا ، اقتربوا فلن أخفي قامتي خلف الستائر وأقف مرتعشة ، ها أنا ذي واقفة أتحداكم بقسوة ، أقرأ في عيونكم حقداً مصدره ذلي ، وأنا الليلة متمردة عليكم وعلى ذلي لأذلكم ونفسي وزوجي"(٧٩).

فالحرارة الداخلية تقف قوية ومتحدية لبرودة رياح الشتاء ، التمرد الداخلي يتغلب على هواجس الخوف ، وتنسى العواقب .

وقد تنساب القصة في تداعيات ترمز إلى داخل متأجج يفور بواقع من الحيرة أو ترقب لمستقبل مجهول ، والقاصة (قماشة السيف) تسير قصتها على شكل الرمز الشعوري المتدفق الذي يصور واقعا من الهيجان الداخلي المضطرب ، وربما يشترك في هذا الرمز حالة المكان وعدم انتظامه ليرمز إلى

تدافع التيار الفكري الذي يتوافد نتيجة للتأثير الخارجي كقول القاصة في قصتها المسماة (سيل التداعيات) :

" يـاللدوي فـي رأسـها .. الـذي تحسـه خطوطـا متعرجـة .. تبـدو الغرفة .. الكتاب الذي وضعته جانبا .. كوب الشاي أمامها .. كالحلم .. هذا الانهمار لايكون إلا في شرايينها .. قد تغوص في جداوله .. وقد يتسرب من الأنامل .. ولكنه عالم ضيق .. إن اتسع لا يتجاوز (ورقة وقلما) أين يكون بعدئذ ؟ ورق في وجه الريح؟ تدرك جيدا محدودية الأبعاد حولها .. وإن الخطو لإبعاد - مهما كانت - لايكون إلا من محور .. تتحامل على نفسها .. لتستكين .. فتكون الاستكانة بها كالمسكنة .. ؟ غبار أرضها يتكوم .. في الحلق .. " كيف يتكوم في حلقك تراب أرض تحبها "؟ .

أفكار كأمطار الصيف .. متدفقة .. مفاجأة .. متداخلة منتشرة .. أفكارها" كيف يمكن أن تكون شيئا يشارك في صناعة عالم أفضل .. بل (كيف) تصنع عالمها بنفسها "(٨٠) .

والقاص الصقعبي يزدوج في رمزيته الكلية ، فهو يتحدث عن شمس تتطلع إلى من تهواه ، بل منحها في صراحة شخصية فتاة جميلة ، والقاريء في حيرة من أمره تلقاء تخصيص المضمون وتجديده ، فهل يريد الحرية التي كانت الكتابة عنها دارجة في مراحل سابقة في العالم العربي ، لكن تضعف هذه القراءة بهروبها عن الإنسان الأحمر ، لأن الحرية المعاصرة في جوانب من الحياة مقترنة به ، مع انها تهرب عنه وتريد الأسمر ، فهو كناية عن العالم الإسلامي أو الشرق . أم أنه يبتغي هيمنة العالم الإسلامي لصحة المعتقد والقيم الإنسانية ، كل ذلك في بطن القاص ، وأودع منه شيئا قليلا في هذا النص الرمزي لعنوان (الشمس طفلة) فهو رمز للحرية أو قوة العالم الإسلامي وانتشاره ، بالشمس :

" في يوم (ما) كان للشمس عينان : شعرتا بالتعب بسبب تطلعهما الدائم للناس فأصابهما الرمد .. "

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليس للشمس نظارة فانصهرت بفعل الحرارة فتحولت العينان إلى وهج حار يعمي

من يتطلع إليهما ...

أرادت الشمس أن تلعب مع الصبية ذات مرة لكن أصابتهم ضرباتها فمات البعض بسبب ضربة الشمس وعاش البعض كارها لها ..

أحبت الشمس مرة رجلا أسمر كان يعمل في الحقل بجد ونشاط .. كست جسده بلون قرمزي يتمناه دوما الحمر أبناء الجليد ولم يستطيعوا أن يحصلوا عليه...

أحد الحمر أراد أن يقلد ذلك الرجل الأسمر فلطخ جسده بزيت منوع وجلس على كرسي مصنوع من القماش جلسة خمول وارتخاء .. نفرت الشمس من ذلك الجسد الأحمر فتوارت خلف سحابة ، علمت الشمس بأن الرجل الأسمر أحب فتاة من بني جنسه ولم يعرها أي اهتمام ، لذا فقد بكت بكاء حارا وذرفت عيناها دموعا حارة تحولت إلى بخار أصبح سحابا وأروى حقل ذلك الرجل الأسمر بمطر غزير .. شعرت الشمس بالوحدة ، تطلعت حولها في السماء لم تجد أحدا غيرها.. بحثت عن صديق ، تطلعت إلى الناس وقالت لهم (هل من صديق؟؟)(٨١) .

والصقعبي يرمز عن ليالي الإباحية وعن نسائها بجبال الليل الأسود ، فضياء الشمس ربما يلمح في قوله :

" تاركة بقاياها خلف تلك الجبال عند المغيب "

وعن معالم الزينة بقوله :

" أوحت به إليهم حقول خضراء على سفوح تلك الجبال "

وعن الأنس الشاحب والشهوة العارمة :

" فالتقت في تلك اللحظة مجموعة من النسمات الباردة جعلت الجبال تصطك وتتجمد فانحدرت من بعض المآقي دموع حزينة لعبت بها أيدي الضياع ".

ولعل للقاريء قراءة أخرى يستنبطها من هذا المقطع من قصة(حلم الأمس):

" لياليك عبر المسافات البعيدة حلم واهٍ لايتحقق ٠٠٠كذا اللحظات تذوب متحدية أفق الزمن ، والشوق صرخات جفلى٠٠ تستفيق البسمة عابرة جبال الليل الأسود ٠٠ وتلوك معها اتراح الزمان الغابرة ٠٠ تبكي معها الشمس تاركة بقاياها خلف تلك الجبال عند المغيب٠٠ ويبحث الجميع عن صمت أوحت به إليهم حقول خضراء على سفح تلك الجبال ٠٠٠سؤال ضج في أعماق النسيان ٠٠لماذا كان الحب أشبه بالكابوس المرير حتى يجعل البعض لايستطيع النوم بسببه ؟؟٠٠التقت في تلك اللحظة مجموعة من النسمات الباردة جعلت الجبال تصطك وتتجمد وانحدرت من بعض المآقي دموع حزينة لعبت بها أيدي الضياع٠

أصبحت ليلة الأمس مجرد حلم غابر ٠٠ شاحب وحزين ٠٠ ليهنأ لك العيش في هذا الصمت الحزين ولتبق حزينا مدى الدهر ولتمت متأثرا بجراحك شأنك شأن الأبطال الأشاوس تلحفت الجبال بقطع من الغيوم الداكنة لكي تتقي من البرد لكن البرد نفذ إلى أعماقها "(٨٢)٠

ووسيلة الرمز هنا تظهر في اللمحات التي تحصد من التراكيب الموحية ، كالتي حددتها في السابق ، ثم ترمز إلى كلية الليالي الزائفة وتتجاوزه إلى تعذيب النفس ومرضها ومعاناتها من الجريمة ٠

والقاص العديلي ينهل من معين الرمز ليرسم لوحات إيحائية تنبض بالحركة غير الواعية في المنتديات المنحرفة ، فهو يمازج بين التصريح فيما لاوحشة من ألفاظه كوصف (الأضواء المتدفقة في سماء المكان) لكنه يرمز لتلون المكان وتلون الروح وتلون الصوت بقوله :

" تفجرت في أعماقي أصداء ، انعكاسات ، انكسارات ، غامت سحب ، جلجلت رعود ، هطلت أمطار ، وثلوج تساقطت ، رياح هبت ٠٠تحركت الأشجار سقطت ، طربت الحجارة٠٠٠" وهكذا تجد تدفقا من الرموز ليعرض تلك الليلة٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

" الأضواء المتدفقة بسخاء ، الأصوات الصاخبة والعابثة ، الأجساد المتراصة ، الدخان المنبعث في سماء المكان .. تفجرت في أعماقي أصداء .. انعكاسات، انكسارات .. غامت سحب جلجلت رعود .. هطلت أمطار ، وثلوج تساقطت .. رياح هبت .. عزف (آرفيوس) بقيثاراته العجيبة ، تحركت الأشجار .. اجتثت من مكانها سقطت .. طربت الحجارة ، استمتعت الطيور بتلك المعزوفة ، انفتحت الأبواب المغلقة لم تعودي (يوريدس) من رحلتك . ألقى قوس قزح بحزمه الملونة . شارك في المهرجان .. اختفي بحياء .. صمت (آرفيوس) عن ألحانه ، برز في الأفق(سيزيف) يحمل صخرته العتيدة ، دحرجها أصعدها ، تثاءبت الأرض بمنظرها القبيح كعجوز نخرتها تجاعيد السنين ،امتصني قلق ذاب مع انسياب الموسيقا (حركت الراقصة جسدها حركات لولبية كأفعى) " (٨٣) .

ونحن نجد أن القاص استعان برمز الألفاظ ، الامطار الأشجار، الأحجار، وبرمز الأساطير مثل (أرفيوس) و(يوريدس) وأخيرا برمز الحيوان الفاتك (الأفعي) .

ثم استعان بالتراكيب كالتي اخترتها سابقا ، ثم الرمز الكلي لتلك الحالة ، فكأنه يعرض الحدث في نفوسنا نتيجة لحصيلة تلك الرموز .

والقاص السعودي نبت بجوار النخلة فهي عمته ، وهي صاحبته ،وهي قرينته في الصحراء ، بل هي قدوته في الصبر والبلاء ، فنظر للنخل نظرة أسطورية شأنها شأن الأساطير عند اليونان ، والفراعنة في مصر فهي رمز للمرأة الصالحة ، ورمز للقوة ، ورمز للعناد ، وهي رمز للبقاء والثبات ، وترمز للحياة الفكرية ، وللصراحة والتجرد ، والقاص السديري وظفها توظيفا رمزيا ، لنا حق في تأويلنا لكن لانجزم بمطابقته لما يهدف إليه ، فربما رمز إلى التغيرات التي تطرأ وما يثبت منها يرمز له بثبات النخلة ، وهذه التغيرات في السلوكيات ، والفكر والحياة الاجتماعية :

" سألت فسيلة ، أمها النخلة : " أهي نفسها رائحة التراب الملون بقصصك؟ "

لم تجب النخلة ، أكثرت من تجاهل السؤال وأكثرت من شم تراب يحوي جذرها وآخر يفوح في الذاكرة لما بكت الفسيلة على سؤالها المهمل حكت النخلة الجواب حتى جفت أطراف عسبانها ..

في الصباح ، اكتشف المزارع أن مخلوقات الصحراء من فسائل النخل قد فعلت (انتحارا جماعيا)..

لم تذكر جرائد المساء ذلك حتى المزارع لم يخبر الآخرين ، لكن الجميع يعلم عن وصول الباخرة التي تحمل شحنة من فسائل نخيل ما وراء البحار...

الرياح لاتزال تهز جذع النخلة العجوز .. تغافلها حين ترغب النعاس ، تدفن سكونها في هجود الصحراء كلما جاء ليل تحدث الريح فعلها فلا يحدث السكون..إنما يزداد الإنهاك في نخر صبر مخلوق الصحراء.

في يوم لم تأت فيه الريح ، حلمت النخلة في الذي سيحدث في القادم ، استيقظت مفزوعة تبحث عن الريح ، وقد رطب دمع مسكوب ، جذعها المعاند، المصمم على البقاء " (٨٤).

وظاهرة التبلد وعدم اليقظة تفشت في العالم الإسلامي ، وأصبحت عدم المبالات تتغلغل في النفوس ، ولم يستشعر الكثير من الناس المسؤولية الفردية التي يجب أن يعملها للمجتمع كيما يؤدي واجبه نحو أمته ، بمبادرة العمل أولا، وبالنصح والعظة ثانيا انسرب ذلك في الأمور الصغرى والكبرى ولطالما مرت الأمة الإسلامية بمثل هذه الحوادث المدلهمة والعلماء والمفكرون يقرعون طبول التنبه واليقظة ولا من مجيب ، فهؤلاء الصليبيون في عام ٤٩٠هـ يتقدمون إلى البلاد الإسلامية وإلى بيت المقدس فلا استعداد ولا تآزر ولاتعاون، حتى إذا ما وصلوا إلى بيت المقدس يسلم لهم ويقتلون سبعين ألفا ، أين الحيطة والحذر لهؤلاء ، ومثله المغول يمكثون أربعين سنة أي من عام ٥١٦هـ حتى ٦٥٦هـ وهم متجهون إلى بغداد ، والعلماء يحذرون والشعراء ينثرون أشعارهم والنتيجة أن الجيش يسرح لما أشرف المغول على أبواب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بغداد ، والذي أريد أن أقوله أن الحيطة والحذر والعمل المتشعب شأن المسلمين وهو ما نفقده بعد الفتوحات الإسلامية الأولى .

وما يعتمل في نفسي جعلني أرجح رمزية قصة (اللهب والنار) للدكتور باقازي إلى رؤيتنا لبعض المنزلقات المؤثرة كالتهاون الإداري في بعض المؤسسات أو شيوع البطالة المقنعة أو مثل هذه الجنوحات الاجتماعية ، فالقاص يرمز لبلادنا بمنزل وحديقة عبدالسلام الجميلة :

" رأى منزله الجميل تحتضنه الحديقة الجميلة .. الأشجار مساحة ضياء خضراء متوزعة في الحديقة..." (٨٥).

ويخشى عليه من الطفل المعتوه الذي أحرقها فيهرع إلى الإطفاء والكلاب السود تلاحقه والإطفاء يصم أذنيه عن الاستجابة ويمكث في عبثه ، ثم هو يرمز للناكثين للغزل من بعد قوة ، أولئك الذين لايعملون بل يدمرون يرمز لهؤلاء (بالطفل المعتوه) الذي يحمل ثقابا ويعبث بها فيخشى عبدالسلام على حديقته ومنزله من المعتوه الطائش .

والقاص يرمزلنا بالقوة بين عبدالسلام المتقدم في السن المترهل اللحم ، والطفل الذي يفيض حيوية فينطلق كالسهم ويحمل نارا أكثر اشتعالا ، ويرمز للتهاون مع أولئك الأشرار وجعل الحبل على الغارب باطلاق صراح ذلك المعتوه من مصحته مما جعله يحرق منزل عبدالسلام وحديقته فيجب اخذ الحيطة قبل وقوع المشكلة .

ويرمز لعدم مبالاة المؤسسات المسؤولة بمركز الإطفاء وعبثية منسوبي ذلك المركز وعدم مبالاتهم بقرع جرس الإنذار وصراخ عبدالسلام ، ويرمز لبعد اللهب بما يجب أن نفعله عند مداهمة الخطر .

أما الكلاب السود فربما رمز بهم لمثبطي العزائم لقائل الحق وللمستقبل معا، وربما للدخلاء الذين يريدون شرا بالوطن فتكاد تقتله الكلاب السود قبل أن يوصل الحقيقة :

" يصرخ عبدالسلام ، ويقرع الباب بشدة أكثر : أنقذوني ٠٠منزلي احترق ٠٠ اللهب الأسود يوشك أن يقتلع قدمي ٠٠والكلاب السود توشك ان تقضي علي ٠٠

يعلو صوت النباح والصليل ، يضع عبدالسلام عينه على ثقب الباب ثانية كان مسؤول الإطفاء لايزال يقهقه ويضرب ركبة صديقه مداعبا " (٨٦) ٠

فالقاص وظف الرمز الجزئي كالمنزل والحديقة للبلاد ، وعبدالسلام للمواطن الغيور، والمعتوه للعابثين ، والإطفاء للمؤسسات المتهاونة لتكتمل صورة الرمز الكلي الذي يجعلنا نحذر على وطننا وأمتنا ودينا من اللهب الذي يحدق بالعالم العربي والإسلامي ونبني المعاهد الاستقرائية الاستبيانية التي تمدنا بالتحذير الواقعي كفانا الله شرهم ٠

ويرمز بقصته (الخوف والنهر) إلى أن التهاون وعدم اليقظة في المؤسسة يؤدي إلى الخطر عليها وأن أول ضحية هو مدير المؤسسة ، فرمز إلى العاملين بالأولاد وإلى المدير بالأب وهو الذي التهمه التمساح لانه قابله بسلاح لا رصاص فيه (٨٧) ٠

وجل مجموعته (الخوف والنهر) تدور في فلك الرمز ، ومجموعة الدكتور عبدالله باقازي (الزمردة الخضراء) مكونة من عشر مجموعات بين لنا زمن كتابتها في الفترة بين ١٤١١/٥/٢هـ ـ ١٤١١/٨/٣هـ ، وهذا الوقت هو قمة الحرب ونهايتها في الخليج ، والقصص كله يدور حول الغزو لكنه بالإيحاء الرمزي ، فهو يرمز لمدير الغزو بالضبع والثعبان ، والعابث باللوحة ، واللص الغبي ، وتارة يرمز رمزا كليا قطيع العجول ، سرب الجراد ، الكابوس الأسود، ويرمز للكويت بالحقل الهادىء والطيور الوديعة ، والروضة المعشبة في قصة(الضبع) والجوهرة الثمينة في قصة (الثعبان) ، واللوحة المضيئة في قصة(العابث باللوحة) (٨٨) ٠

وهذه المجموعة تدور في فلك واحد باوجه متعددة بخلاف مجموعته الأولى (الخوف والنهر) التي ترمز إلى توجهات مختلفة تعنى بالحياة عامة ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وباقازي في مجموعاته احتل الصدارة في الرمز القصصي ببلادنا لاسيما الرمز التشبيهي الذي يجعل من المسمى المستحدث رمزا للمسمى المخفي والأحداث أيضا ، فهو رمز تشبيهي تصويري متكون من الجزئيات حتى يتلاحم مع الكليات ، وهو قريب المأخذ يصل المتأمل إليه وإن اختلفت القراءات في مجموعة(الخوف والنهر) ، أما في مجموعة (الزمردة الخضراء) فلا احتمال إلا لتفسير واحد .

ويتضح لنا أن الرمز القصصي عند كتاب القصة في بلادنا واكب النهج القصصي في البلاد العربية فهو يرمز للذات ويوظف الآيات القرآنية والأحاديث والنصوص التراثية والأساطير غير أن الموروث الديني أكثر شيوعا في الجزيرة لأن الإسلام هيمن على الترسبات الاجتماعية وانغرس في ذاكرة أهل الجزيرة ويحمل أمجادهم التي لايرغبون بدلا بها ، أما الأساطير الأخرى الإغريقية والفرعونية فإنها نادرة وإن وجدت فإنها وافدة في سراديب الثقافة نتيجة لتمازجها في العالم العربي .

وهم وظفوا الرمز الإيحائي الذي نشأ عليه الرمز الحديث الذي يصور تموجات الذات الداخلية ، وأخذ بهذا الاسلوب جفري والعتيق وغيرهما الكثير وإن تفاوتوا في انغلاق النص ، واستخدموا الرمز التشبيهي وأشهرهم في ذلك الدكتور عبدالله باقازي .

ومن أشهر كتاب الرمزية :

الدكتور عبدالله أحمد باقازي ، تخرج من جامعة أم القرى ١٣٩٢هـ وله عدد من المؤلفات الأدبية منها :

١- الاتجاهات النثرية في القرنين الثاني والثالث للهجرة .

٢- القصة في أدب الجاحظ.

٣- رثاء النفس في الشعر العربي .

٤- مظاهر في شعر طاهر زمخشري.

٥- شعراء من العصر العباسي الثاني .

وله من المجموعات القصصية :

١ـ الموت والابتسامة ١٤٠٤هـ

٢ـ القمر والتشريح ١٤٠٦هـ.

٣ـ الخوف والنهر ١٤٠٩هـ.

٤ـ الزمردة الخضراء١٤١٣هـ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حواشي الفصل الثالث

(١) غالب حمزة أبو الفرج ، ليس الحب يكفي من ١٥٥ حتى ١٧٢ .

(٢) غالب حمزة أبو الفرج ، ألقاك غدا ٧ .

(٣) المرجع السابق ٤٢ حتى ٤٤ .

(٤) عبدالله بوقس ، خدعتني بحبها ١٥، ١٦ .

(٥) المرجع السابق ٧١ .

(٦) عبدالكريم الخطيب ، شجرة الليمون ٤٥ .

(٧) المرجع السابق ٤٨ .

(٨) عبدالكريم الخطيب ، شجرة الليمون ٦٤ .

(٩) إبراهيم الناصر ، أرض بلا مطر ٥ .

(١٠) نجوى مؤمنة ، وأخيرا ضاعت مجاديفي ، انظر القصة ١٤٠ .

(١١) المرجع السابق ، أشواك بلا ورد ١٤٠ .

(١٢) عبدالله باخشوين ، الحفلة ٧٠ حتى ٧٥ .

(١٣) عبدالله باخشوين ، الحفلة ٣٢ ، ٣٣ .

(١٤) سعد الدوسري ، انطفاءات الولد العاصي ٣٣ .

(١٥) محمد قدس ، النزوع إلى وطن قديم ٩ ، ١٠ .

(١٦) عبدالله باخشوين ، الحفلة ٤٦ .

(١٧) عبدالله جفري ، الجدار الآخر ٧٩ .

(١٨) انظر علوي طه الصافي ، مطلات على الداخل .

(١٩) خالد باطرفي ، محاولة ٢ ، ١٢٩ .

(٢٠) خالد باطرفي ، محاولة رقم ٢ ، ٣١ .

(٢١) حسن حجاب الحازمي ، ذاكرة الدقائق الأخيرة ٤٥ .

(٢٢) المرجع السابق ٥٢ .

(٢٣) انظر معجم الأدباء والكتاب ٢٧٤ ، ملحق الأربعاء في ١٤١٤/٥/٥هـ ص٦

(٢٤) معجم الادباء والكتاب ١٨٢ .

(٢٥) شريفة الشملان ، مقاطع من حياة ٥ .

(٢٦) المرجع السابق ١٦ .

(٢٧) المرجع السابق ٢٢ .

(٢٨) معجم الأدباء السعوديين ، حرف السين .

(٢٩) معجم الأدباء السعوديين ، حرف الخاء .

(٣٠) خالد اليوسف ، مقاطع من حديث البنفسج ٨٣ .

(٣١) معجم الأدباء السعوديين ، حرف العين .

(٣٢) معجم الأدباء السعوديين ، حرف العين .

(٣٣) عبدالعزيز الصقعبي ، الحكواتي يفقد صوته أنظر /٢٩ ، ١٠٩ .

(٣٤) المرجع السابق ٦٥ .

(٣٥) معجم الأدباء السعوديين ، حرف الفاء .

(٣٦) فوزية الجارالله ، في البدء كان الرحيل ٩ ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م نادي القصة السعودية بالرياض .

(٣٧) المرجع السابق ١٥ .

(٣٨) معجم الأدباء السعوديين ، حرف الألف .

(٣٩) عبدالعزيز مشري ، الزهور تبحث عن آنية ١٤،١٣،٧ .

(٤٠) عبدالعزيز مشري ، الزهور تبحث عن آنية ١٤،١٣،٧ .

(٤١) حسن الحازمي ، ذاكرة الدقائق الأخيرة ، انظر ٢٧ .

(٤٢) العتيق ، انظر ٢٥،٢٢،١٧،١٦ .

(٤٣) رقية الشبيب ، حلم ٧٧، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ مطابع الفرزدق ـ الرياض .

(٤٤) جارالله الحميد ، احزان عشبة برية ٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٤٥) الحميد ، المرجع السابق ٢٢ .

(٤٦) الحميد ، المرجع السابق ٢٩ .

(٤٧) رقية الشبيب ، الحلم ٢١ .

(٤٨) المرجع السابق ٢٤ .

(٤٩) عبدالله العتيق ، أكذوبة الصمت والدمار ٩ .

(٥٠) المرجع السابق ٥٩ .

(٥١) المرجع السابق ٧٨ .

(٥٢) العتيق ، أكذوبة الصمت ١٦ .

(٥٣) المرجع السابق ١١١ .

(٥٤) ناصر العديلي ، الزمن والشمس اللذيذة ١٣ .

(٥٥) جارالله الحميد أحزان عشبة برية٤٥ .

(٥٦) المرجع السابق ٤٦ .

(٥٧) عبدالرحمن العتيق ، اكذوبة الصمت والدمار ٣٥ .

(٥٨) المرجع السابق ٤٣ .

(٥٩) المرجع السابق ٦٩ .

(٦٠) المرجع السابق ٧٤ ، ٧٥ .

(٦١) فهد العتيق ، مسافات للمطر الآتي ٨٥ ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م نادي القصة السعودي .

(٦٢) سورة النمل آية ١٨ .

(٦٣) سورة النمل آية ١٩ .

(٦٤) ناصر العديلي ، الزمن والشمس اللذيذة ١١٤ .

(٦٥) المرجع السابق ١٢ .

(٦٦) محمد الشيخ العقل لايكفي ٨٠ .

(٦٧) رقية الشبيب ، حلم ١٠ ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤ هـ .

(٦٨) عبدالعزيز المشري ، أسفار السروي ١٣ .

(٦٩) تركي ناصر السديري ، حادي بادي ١٣ .

(٧٠) سورة التـكوير آية ٨ ،٩ .

(٧١) تركي ناصر السديري ، حادي بادي ٣٣ .

(٧٢) المرجع السابق ٣٤ .

(٧٣) رقية الشبيب ، حلم ١٣ .

(٧٤) المرجع السابق ٦٣ .

(٧٥) العتيق ، أكذوبة الصمت والدمار ٦٩ .

(٧٦) الحازمي ، ذاكرة الدقائق الأخيرة ١٢ .

(٧٧) عبدالله الحامد ، شعر الدعوة ٥١٢ .

(٧٨) أنظر، النحاس ، رامبو .

(٧٩) الحازمي ذاكرة الدقائق الأخيرة ٩ .

(٨٠) قماشة السيف ، محادثة برية شمال شرق الوطن ٤٠ .

(٨١) عبدالعزيز الصقعبي ، لاليك ليلي ولا أنت أنا ٣٠ .

(٨٢) عبدالعزيز الصقعبي ، لاليك ليلي ولا أنت أنا ٣٧ .

(٨٣) ناصر العديلي ، الزمن والشمس اللذيذة ١٦٨ .

(٨٤) تركي ناصر السديري ، حادي وبادي ١٥ .

(٨٥) د.عبدالله باقازي ، الخوف والنهر ٧ ، الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م دار الصافي، الرياض.

(٨٦) المرجع السابق ١٠ .

(٨٧) المرجع السابق ، انظر ١١ .

(٨٨) د.عبدالله باقازي ، الزمردة الخضراء ، انظر المجموعة كاملة ، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ دار الصفا - مكة المكرمة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع

دراسة فنية لبعض المجموعات القصصية

- خالتي كردجان
- البعث
- ذكريات لا تنسى
- الظمأ
- مكعبات الرطوبة
- ترنيمة الرجل المطارد
- ساعة الحائط تدق مرتين
- أسفار السروي
- أحبك ولكن
- جحا يستقبل نفسه
- من مكة مع التحيات
- خدعتني بحبها
- الخبز والصمت
- الزحف الأبيض
- أن تبحر نحو الأبعاد
- انطفاءات لبولد العاصي
- وتشاء الأقدار

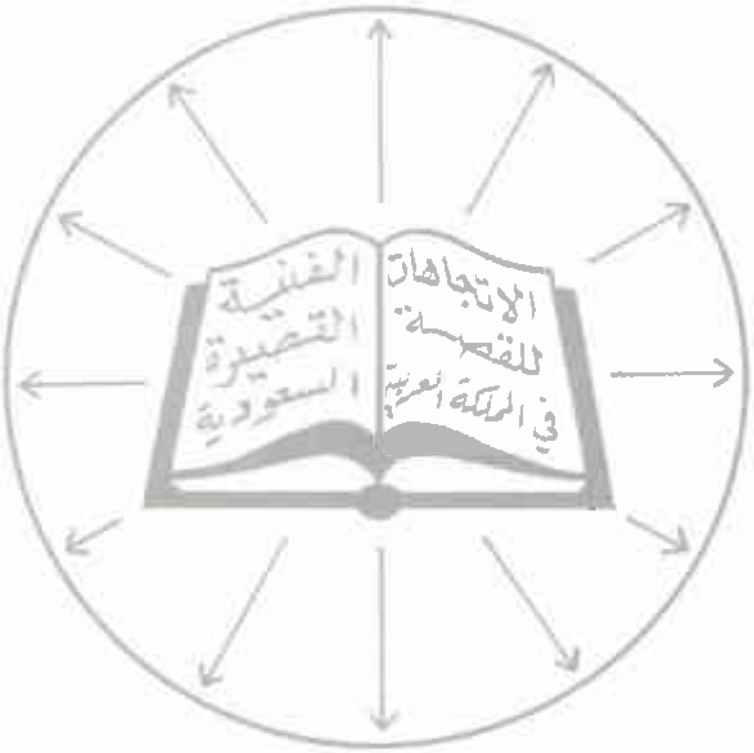
الفنية
القصيرة
السعودية
الاتجاهات
للقصة
في المملكة العربية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خالتي كدرجـــــان (١)

أحمد السباعي من الرعيل الأول من الأدباء في هذه البلاد المباركة الذين أقبلوا على العلم بنهم وشوق واندفاع ذاتي منقطع النظير وكان لحرية التعلم والحوار والمناظرات والحلقات التعليمية والمنتديات الإخوانية أثر واضح في حرية التفكير والتكوين العقلي وعدم وجود المنهجية الملزمة أفسحت له الالتقاء بالواقع الاجتماعي وأراد أن تكون ميدانا لفلسفته الفكرية ، وتجاربه الشعورية وهادفاً إلى النهوض والتطور لشتي مسارب الحياة الناهضة .

ولذا بادر إلى تأليف قصته الأولى (فكرة) الفتاة التي عاشت لآرائها الحرة في الحياة وأن لم تكن البطلة (فكرة) إلا سبيلا إلىطرح أفكار الكاتب وأتجاهاته وآماله لهذا المجتمع ، فهي رمز لفكر الكاتب ومبدئه .

وقصته (أبو زامل) التي تلتقي مع (خالتي كدرجان) في تصويرها للواقع الماضي المتزامن مع نشأة السباعي الذي كان له تأثيره الظاهر في تكوين وتلوين العقلية الاجتماعية والفكرية المعاصره للقاص

البعد الاجتماعي :

وأحمد السباعي يميل إلى الفلسفة التطبيقيه التي تأخذ إلى الأصلح والأفضل فهو دائم الحوار مع شرائح المجتمع وعناصره كما يتبلور في كتـــــــاب (فلسفة الجن) وله (يوميات مجنون) كتاب نشر في حلقات في الصحف السعودية يميل إلى فلسفة الحياة اليومية وقد أقتفي في منهجه بعض الكتاب في الاتحاد السوفيتي وأوربا ، ويندرج في ذلك عرضه للجريمة في كتـــــاب (صحيفة السوابق) ويكشف من خلاله مسؤولية الجمهور عن جنوح الأفراد ، وله في ميدان الحياة والعمل آراء وتنظيرات طرحها في كتابه

(دعونا نمشي) وكتابه(قال وقلت) والكتاب الذي نعنى به وسنعيش بعض الوقت مع أحداث قصصه (خالتي كدرجان) ويتكون من خمس قصص قصيرة هي : (صبي السلتاني) ذات العمق الاجتماعي والسياسي وقصة (اليتيم المعذب) وهي أطول القصص وأكثر إلماما بشؤون المجتمع وأسبر غورا لنفسية البطل .

و(أخطأ العفريت ولم أخطيء)وتحكي بعض المعتقدات السائدة التي تميل إلى الشعوذة . أما قصة (أبو ريحان السقا) فإنها تحكي الواقع المضني الذي تعيشه مكة المكرمة قبل أمتداد الانابيب التي يتدفق عبرها الماء الزلال ، ويعرض الحب العذري في مجتمع مكة في (اليوم طاب السفرجل).

والقصص هذه تمثل عددا من شرائح المجتمع في مكة المكرمة في مرحلة زمنية محدودة وليس أدل على ذلك من أن المؤلف يربط أغلب الحكايات بطفولته وصباه ، ويتحدث فيها عن النظم في العهد العثماني ويشير إلى ذلك في صراحة تامة ، وشخصية المؤلف تتميز في جلاء ووضوح ولا يعمل على إخفائها بزعم القصة أو الخيال بل يعمد إلى إظهارها فيذكر أنه شهد الواقعة شخصيا وأن الواقعة حدثت في صباه ، أو علاقة المؤلف مع أبطال قصصه مثل (خالتي كدرجان) ، (وأبو ريحان السقا) .

وهنا ندرك أن المولف ينحصر في وصف الحياة الاجتماعية ومعالجة الانحرافات ، ولم يبال بالشروط الصارمة لنجاح القصة في عهده فهو يقول : " أردتها أقاصيص من صميم الحياة .. أردتها لتكون مرآة يصافحنا فيها واقعنا من غير رتوش !! وأنا أؤمل أن نعالج بأمثالها بدواتنا الخاطئة " . (٢)

والعنوسة ظاهرة تخالف التعاليم الشرعية وتتعارض مع السنن الكونية ، وهي ظاهرة جديرة بالمعالجة الواقعية المتأنية وأستبيان أسبابها ودوافعها ، ومنها التطلع إلى ذى الجاه أو المال أو خشية على الأموال التي جمعها الأب ، واتجاه المرحلة القريبة العهد سرى عن طريق الرائي أو المذياع والقصص المذاع التي تحكي على مسرحها تأخير الزواج من أجل الدراسة الجامعية ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وربما انحسار التوجيه من الأباء والأمهات عامل مهم في تاخير الزواج حيث تتطلع الفتاة إلى آمال ليست بالواقعية وقبل ذلك وبعده عدم الأخذ بالتوجيه الرباني المتمثل في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إن لاتفعلوه تكن فتنة)(١) وأراد القاص السباعي أن يعالج هذه المشكلةالاجتماعية في قصته (خالتي كدرجان) تلك الفتاةالتي نشأت في رفاهية من العيش نعمت بالدلال والحنان ، ولكن سرعان ما أنقلب الحال إلى حال آخر بعد وفاة والدتها وامتنع والدها عن زواجها تعللا بتقدمه في السن وإخفاء لما يخشاه على ماله ، ويتقدم ابن عمها الوصي عليها بعد وفاة والدها وتمتنع مقابل ذلك عن الزواج منه ويمتنع مقابل ذلك عن زواجها لكل من طلب يدها .

ورغم علم القاص وإدراكه للتنظير القصصي في تلك الفترة المتأخرة من حياته ، إلا إنه لم يلتزم التزاما ثابتا بتنظير القصة القصيرة ، فمازج بين الحكاية والمقالة وبين السرد والتوجيه ، واعتمد على رسم صورة ثابتة للفتاة العانس وظلت ثابتة فهي لاتتطور ولا تتغير أما خضوعا لواقع المجتمع أو عجزا ، ولما أرادت البطلة الانفجار والتمرد حيل بينها وبين تلك الرغبة واستمرت بها الحال حتى توفيت ولم تتزوج .

وقد أعتمد على عنصر التشويق ، فبادر إلى الجوانب الغامضة حتى يدعو القارئ لمتابعة القصة ثم يبدأ في الخاتمة عن كشف الغوامض والقصة تغوص في أعماق المجتمع المكي في أوائل القرن الرابع الهجري ، حيث يكثر المجاورون وهؤلاء يطيب لهم المقام في رحاب الحرم المكي الشريف وغالبا ما تهيمن الوحدة الاجتماعية على الأسرة فالفتاة أندونسية ، مما يجعلها تفتقر للعصبة التي تعرفها وتتقدم إليها أو تحميها من جور ابن العم الحاقد .

وقصة (صبي السلتاني) تحكي واقع جاسوس عثماني يمد السلطة العثمانية بالمعلومات ، وادعى الغباء والبلاهة وأخذ يخدم في حانوت الشواء السلتاني بما يقيم أودة ويتندر أهل الحي منه ومن تصرفاته البلهاء المضحكة التي مثلها

تمثيلاً دقيقا ، لكن امره يتجلي وينكشف بعد وفاته التى دفن فيها حياً ، حيث علم الجانب المضاد فوضع عليه مخدراً وغاب أمره عن الطبيب المعاين وسجي ودفن ولم يعلم بأمر المخدر إلا بعدأيام غير قليلة .

وتأتي ثاني قصصه (اليتم المعذب) ذات البعد الاجتماعي فتحكي سلسلة حياة البطل من طفولته ، وتنقله بين الخير والشر فالبطل فقد والديه من طفولته ، وأحتضنه رجل صالح غير أن زوجته منزوعة الشفقة والرحمة ، التي تقوم علي أمر الطفل بعد وفاة زوجها ، فيحرم الطفل من الحنان ، ومن الثقة ومن التربية الصالحة ؛ فيضطر إلىأختلاس بعض الدراهم المعدودات ، ويلجاء إلى الهرب من جحيم الدار وهكذا تتراكم الأخطاء طبقاً على طبق لتؤدي به إلى السجن ، وهنا تتنامى عناصر الإجرام لديه ، عن طريق المدرسة السجنية التي تلقاها مشافهة من عباقرة الإجرام داخل السجن ، ولم يلبث أن يعود المرة تلو الأخرى؛ فيلتقي بشيخ يزرع الخير في نفسه غير أن المجتمع بعد صلاحه وتكوين ثروته مازال يذكره بأيامه السالفة بل وجه إليه التهم التي جعلته يعود إلى سيرته الأولى:

وقصة (اليتيم المعذب) تتجسد في محورين أساسيين أحدهما بطل القصة ومعاناته وتكاثف دواعي الشر التي انغرست في تكوينه الذاتي إلىجانب نسمات روحانية تهب عليه أحيانا فتأخذ بيده وربما استحوذت عليه ، وكادت تأخذبه إلى شاطيء الأمان غير أن الشر يغلب عليه بسبب انعدام المسؤولية الاجتماعية كما يراها الكاتب .

وثانيهما : شخصية المؤلف التي لم تنحصر عند أحداث القصة بل تجاوزت ذلك وأراد المعالجة بنظرة شمولية تسبر أغوار النفس حيث حلل تنامي الشر ونضجه في نفسية الطفل اليتيم نتيجة للعنف وأنتزاع الرحمة والشفقة من المربية التي قامت على تربيته ، وأشار في لمحات خاطفة في أوضاع السجن في ذلك الزمن البعيد ومن خلال سرده وتقريريته ووصفه لداخل السجن فإننا نستبين أن وظيفة السجن في ذلك الزمن تقف عند الجزاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فحسب ، الأمر الذي أدى إلى بقاء المجرمين على وضعهم ،بل يزيدالحقد والشر في نفوسهم ، ويتيح لهم التأثير على الوارد إلى هذا الوكر ، وانظر إلى السباعي كيف يصور واقع المدرسة السجنية وتأثيرها على بطل القصة :

" وزاد اختلاطه بهم بمرور الأيام فكان يتسمع إلى قصصهم ، وينصت في عناية إلى رواية البطولة في أحاديثهم هذا فذ في سطوه ، وذاك الحكيم في نشله وأولئك من المعدودين في فن العبث ، واستمع (علوة) إلى عشرات القصص وعشراتها من هذا النوع فتأثرت نفسيته الضعيفة بروعة ما فيها من البطولة الزائفة وتعشق أمجادها الكاذبة ، وتمني لو أتاحت له الأيام أن يقفز إلى صفوف المعدودين في طلائع الإجرام " .

وليس ذلك فحسب بل التقى بكبير المجرمين وأشد العتاة وأخطرهم وصاحب السوابق " أمين جاوي وكانوا يكبرون فيه سطوته ويتحدثون عن نوادره في الجرأة والبسالة فأعجبوا بميزاته كما تحدثوا عنها " .

وبدا لأمين أن الفتي (علوة) أحد المعجبين به فحن عليه حنو الكبار وكان يربت على كتفه مشجعا ... وتوثقت الصلة بين فتانا وأستاذه وكان الأستاذ نابغة في فنون النشل فلم يبخل على تلميذه بدروس طويلة ..." (٤) والواقع الذي شخصه عن السجن وتكثيفه للانحراف وتخريجه للمجرمين يمثل مرحلة زمنية في مدن صغيرة فكيف مع تنامي المدن الحديثة وكثرة المراهقين ، فلا تزال السجون تدور حول وظيفة الجزاء لا الإصلاح ولا سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه الحوادث ، وأسباب الضياع لدى المراهقين ، فالناظر المتدبر الذي يستقريء الواقع الذي يتفاعل معه الشباب ويؤدي بهم إلى الانحراف مما يزج بهم إلى السجن وربماكان السبب ليس بذات الأهمية فإذا ما استقر في السجن فإنه يتنامى عنده الإجرام والسطو لوجود الأكاديمية التي يلتقى فيها علومه وتنظيراته على أيدي كبار المجرمين ، فيجتمع المراهق مع أصحاب السوابق ، ولديهم الفراغ الكامل فيسمعون أحاديث البطولة الإجرامية ، أو يحللون السلوكيات ، ويرسمون الخطط التي تهيمن على تفكيرهم ، وتجرى

مجرى الدم في أجسادهم وتغلب على عواطفهم ، وتحجب رياح الخير ويتصورن أن الدنيا هكذا فحسب وقد هيأ السجن لهم السبل فجمع الأحداث في مكان واحد ، وعمل على راحتهم ، وكان الفراغ الطويل ، وغاب التوجيه المكثف ، فدب الفراغ النفسي ، مما يجعلهم يتسامرون في ذكريات واقعهم ، ويتكون بناء الشخصية من هذه الشرور المتراكمة ، وقد كثر عدد هؤلاء وخصوصا بعد الطفرة التي مرت بها البلاد ، وقد انخرط بعضهم في ثللية ، فتتكررزيارتهم للسجون ، ويخرجون وقد تزودوا بالمعرفة فلا يلبثون حتي يعودوا مرة أخرى .

ومن الخير للقائمين على السجن أن يأخذوا بمبدأ التهذيب والإصلاح إلى جانب العقاب والجزاء ، وخاصة لمن لم يتجاوز الخامسة والثلاثين وذلك بتهيئة المكان المناسب حيث تكون له حجرة خاصة وإن صغرت وتزود بأجهزة سمعية تبث برامج موجهة تماماً كما يوجد فى الفنادق وإن اختلف المحتوى ، ويعمل له برنامج يومي عن طريق التدريب على الحرف والرياضة المثمرة ، والتدريب العسكري والدراسة المنظمة ، وسماع المحاضرات الإلزامية ، وإعداد رواد السجن الإعداد المتكامل للوظائف وحينما يخرج يندرج في هذه الوظائف ، لأن البرنامج اليومي المتكامل وتكثيف التوجيه المتنوع يؤدي إلى غسل المخ ، ويخرجه عن الفكر الخبيث ، ويصقله للعمل المشار إليه ، واندراجه ضمن المجتمع يضمن رعاية المجتمع له وينأى به عن استدراج العابثين والمستهترين ، ولماذا لا تتطور مدارس الملاحظة وتكون المدرسة للمنطقة كاملة أو أكثر ، ويقتبس لها نظاما وبرنامج شبيهاً بالمعاهد الأكاديمية ولمدد طويلة تضمن غربة المراهق عن مواقع السوء ؟!

وقصته (أبو ريحان السقا) تحكي الواقع المعاش للعمالة في مكة المكرمة في الزمن الذى حدده القاص لمجموعته وهو إعلان الثورة العربية الكبري ، والعمالة تتعدد ، فهناك المطوفون والتجار وهم على طبقات ، والحطابون ، والفحامون والسقاءون والكلابيون ، وغيرها من المهن ، وهم يندرجون في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جماعات لها أنظمة خاصة ولكل مهنة شيخ يتولى القضاء بينهم ويتداول الأمر معهم ، وكل فئة تحتكر العمل المخصص لها ، ولا يقترب منه أحد إلا بإرادتها والشيخ مسؤول عن مهنته أمام السلطة ، والقصة تصف شريحة واحدة وهي قصة الماء ومعاناة حمله إلى القصور والدور وأعالي الجبال ، وتبين أدواته التي تنحصر في (الزفة) و (القربة) وبطل القصة (أبو ريحان السقا) الذى تقدم به العمر واشتهر بالبخل والطيبة والمعاناة من حمل الأثقال ، وتعرضه للجزاء ، فشخصه تشخيصا مسرحيا تراه فتحس به .

أما القصة (أخطأ العفريت ولم أخطيء) فقد جنحت إلى العامية مشاكلة من القاص لمضمون الحدث وبطلة القصة ، فالمضمون شعبي حيث يحكي لونا من المعتقدات الباطلة ، والبطلة والدة القاص فهي تتحدث باللهجة المحلية لمكة المكرمة ، والقصة تدور حول السقوط على حجر أثناء لعب كرة القدم ، والأم لا تعترف بهذا ، وترى أنها مس من الجن ، واسترسل فيها المؤلف ليكشف مدي الانطباع السائد والإعراض عن الحقيقة الواقعية الثابته والمشاهدة واللجوء إلى الاعتقاد المتخيل .

والكاتب الأديب أحمد السباعى عشق البيئة المكية وقام برحلة عقلية وعاطفية فى مساربها الاجتماعية الشعبية منها والخاصة وغاص فى تكوينها وتركيبها في علاقات الطبقات ، وفي تمازجها ، الأمر الذي جعلها مصدر إلهامة وتجاربه ، فكان كل حدث منها يخفق له قلبه ، والنواة التي تتفاعل لإثارة التجربة الشعورية التي صاغها فى قالبها الفني وكان الحب للوطن جذوره تمازج الفكر مع الحدث مع الشعور ، فعبر عن غفلة العامة كاشفا بواطن الأشياء وأسرارها ، وأثاره ظهرت فى ترديد أقوال أبي طافش خادم السليتي الجاسوس العثماني وألوان البلاهة والغباوة التي يدعيها ، ولم يفكر واحد منهم

من أين أتي هذا الصبي ؟ وكيف استطاع أن يصل إلي هذه الديار ، وكيف أتقن الأعمال التي تضمن بقاءه ؟ تلك التصرفات التي أدركها من يعنيه الأمر مما جعله يفتك بالجاسوس الخطير عميل الأتراك ، بل يقتله شر قتله حيث عاين الطبيب موته ودفن تحت تأثير المخدر .

لغته :

أسلوب السباعي في قصته يعتمد على الفصحي والإشارة المعبرة ، والتقريرية الكاشفة ، ورسم اللوحات الاجتماعية غير أنه يقتبس من العامية بمواطن لا مجال لاستخدام الفصحي فيها ، كأن يحكي قول أمرأة من العامة ، أو شيخ عجوز ، أو حكاية شعبية .

وهو في قصته (اليتيم المعذب) يتحدث بالفصحي حين يحكي فلسفة الرجل المفكر المدبر ، يقول : " كان يرى أن بعض الأشرار والعصاة الآثمين ، وكذلك اصحاب النوايا السيئة في الحياة من الجبابرة إلى الطغاة إلى السفاكين قد يستحقون العطف على ما امتحنوا به بملابسات خاصة أكثر مما يستحقون اللوم ، كان يرى أن بيئة الشخص وعادات محيطة مسؤولة في المقام الأول عن جميع تصرفاته في الحياة " (٥).

وحينما يطرح القضية من جانب امرأة عادية فإنه يفسح لها لكي تتحدث بلهجتها العامية : " أنت بالله ياراجل .. هادا طولك .. وهادا عرضك يضحكون عليك .. ما كفاني أبويه .. راح ابويه جاب أبوه " (٦).

وتظهر شخصية المؤلف حين يصف مشاهداته ، فيصف وضع الزوج وآثار الفلسفة عليه ، ويتبين ذلك حينما يعلل غلظة الزوجة وعنفها : " فهل نستغرب بعد هذا ونحن نراه يصمت أمام زوجه العتية وهي تغلظ له في القول "

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويبسط القول في سماحة الرجل وفلسفته ، وكأنه يدعو المجتمع من خلال تفكير هذا الرجل إلى التعمق ومعرفة الأجواء التي تنتج الصالحين في المجتمع والأخطاء التي تؤدي إلى الانحراف : " تري ماهي أنواع الرواسب التي تركت أثرها في تكون هذا الضعيف ، وكم عدد العقد النفسية التي لوت استعداده نحو هذا الطريق " (٧).

ونستبين من هذه المجموعة القصصية اهتمام السباعي بالكشف عن العمق الاجتماعي الذي صحبه منذ صغره وأمده بالتجارب في كهولته الفكرية ، وقصصه تمثل الاتجاه الواقعي للحياة المعاصرة ، وقد عني بالمعني التسجيلي لبيئته المنصهرة في فؤادة والتي يقرأ صفحاتها كل يوم بل كل ساعة .

وقصص السباعي تجمع بين هيكل القصص وبين رؤية المقالة ، لأن السباعي كاتب مقالة أكثر منه كاتب قصة ، ولأن كتاباته تخضع للنشر في الصحف ، ولأنه يميل إلى التوجيه العام ، ويحمل فكراً يرغب في تحقيقه ، لذا فهو لا يبالي بالوسيلة ، وانما ينتهج الأسلوب الذي يصل إلى وعي القاريء .

ومجموعته القصصية هذه لا تظل في محور فكري واحد بحيث يوجه ما فيها من فلسفة لمعالجة القضية المحورية ، لذا فإنه اتجه إلي معالجة كل قضية بتوجه خاص ، وربما تعددت هذه القضايا في القصة الواحدة ومن ثم يتعدد التوجيه .

ومجموعته القصصية اندرجت تحت لواء فني واحد حيث الصياغة والمعالجة الشكلية وبناء القصة وعناصر التشويق التي تعود إلى غرابة القصة واختيار مضمونها ، ومواجهة القاريء بأن هناك اسراراً ليتابع الحكاية من أجلها ثم يطرحها بأسلوب ساخر أحياناً وفكاهي تارة أخري ، واستطاع الكاتب أن يفرض وجوده ويثبت شخصيته ، ومع هذا الظهور فان الأمر يؤدي إلى الملل والضجر أو الشعور بالتطفل من الكاتب مع أنك تدرك من ورائه قيمة الفكر الذي يحمله الكاتب .

والشخصية في قصص السباعي تختلف من قصة إلى أخري ، فهناك الشخصية الثابته المسطحة على لغة المنظرين – التي يشخصها القاص وتظل على هيكلها ، كما في قصة (أبو ريحان السقا) ، وكثيراً ما تتطور الشخصية عند السباعي وتتنامى معرفتها وفلسفتها وتفكيرها في الحياة ، كما يتجلي الأمر في قصة (اليتيم المعذب) الذى تتبع المؤلف تكوين شخصيته من الطفوله ماراً بالمراهقه إلى استلهام البطولة في السجن ثم الرجوع إلى الحق والصفاء والنقاء حينما تتلمذ على الشيخ الذي زج به في السجن .

وكذلك بطل قصة (اليوم طاب السفرجل) حيث تطورت شخصية (سعدية) التي أخلصت الحب (لحسان) ، أما الصبي السلتاني) فليس هناك من تطور وإن تغير التصور تغيراً تاماً لشخصية البطل في نهاية القصة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جحا يستقبل نفسه (٨)

في مقدمة هذه المجموعة القصصية يسطر أحمد عبد الغفور العطار جانبا من تاريخ القصة في المملكة، ويسجل للأديب عبد القدوس الأنصاري أوليته في هذا الميدان حيث ألف (التوأمان)عام ١٣٥٠هـ ، ويروي سيرته مع القصة بأنه كتب أول مسرحياته (الهجرة) وكذلك أول قصصه في عام ١٣٥٢هـ ، وقد تواصل مع القصص في مجلة خطيةاسمها (الشباب الناهض) فصدرها بقصصه عام ١٣٥٤هـ ، ولاريب في أنها محاولات لم يقتنع بها الكاتب ذاته فصارت إلى الضياع ولكن النتيجة التي نرصدها من ذلك وجوداتجاه كبير من الأدباء والمدرسين والطلاب للقصة وإدراكهم لأهميتها ، ويروي سيرته مع القصة المطبوعة فيقول :

" وطبعت أول مجموعة قصصيّة وكانت بعنوان (أريدأن أرى الله) طبعت في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م ، وأعيدطبعها ببيروت عام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، وصدرمجموعته بترجمة (أريد أن أرى الله) لطاغور ، و (لمن الفوز) لتولستوي .

وأحمد عبد الغفور عطار من الرعيل الأول من ادباء المملكة العربية السعودية ، فقد تواصل عطاؤه لما يقترب من نصف قرن ، فكتب في الصحف ، وأسس صحيفة عكاظ ، وقام بتأليف عددمن الكتب التاريخية والإسلامية والأدبية واللغوية ،والتربوية ، ونال جائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٤٠٤هـ .

والمجموعة الثانية من نتاج العطار القصصي هي (جحا يستقبل نفسه) وقد قام بتأليف أربع قصص منها هي (الكرم الأصيل في غير بني الإنسان) و(الصديق) و(حمار الحاكم) و(جحا يستقبل نفسه) وألف مسرحيتين هما (الهجرة) وهي التي أشار اليها بأنها باكورة إنتاجه القصصي عام ١٣٥٢هـ و (الملحمة)، وتضمن الكتاب عدداً آخر من المسرحيات والقصص المترجمة .

والقارىء لقصص العطار يتبادر إلى ذهنه ذلك الاتباع الـذي يتوكـأ علـى دعـائم قصصية سالفة ، فهواطلع علـى القصـص المصـري ، وقـرأ كثيراً مـن الـتراجم الأمرالذي أبعـده عن الاستمداد من الواقع الحجازي ، وتطالعنا قصته الأولـــى (الكرم الأصيل في غير بني الإنسان) (٩) ، فلو كان مرتبطا بالبيئة في الجزيرة العربية فلن نجده يطالعنا بقصته هذه لأن الكرم أمرثابت في نفسية المجتمع ، وكذلك منـاصرة الفقير والعاجز ، بل هو توجيه ربـاني منغرس فـي ضمـير المسلم، كل ذلك يدفعني للقول بأن هذا القصص الذي يُحكى علـى لسان الشـجر والطير لمناصرة ذلك العاجز الذي لم يجد مأوى ولانصير أقول : إن مثل هذه القصة تكون الغاية منها البناء الفنـي لا المضمـون ، وكـان الجدير بالعطار أن يعالج القضايا التي يرزح تحتها المجتمع في ذلك الزمن ومـا أكثرهـا ! رغم أن ذلك القصص المترجم يوحي باستيعاب الكاتب للعالم من حولـه ، ولأنـه يعاني معاناة الكتاب العالميين من آثار الحرب الكونية التي خلفت ظلالها على الكثير من بقاع المعمورة .

" كل الخلق كرماء إلابني الإنسان إنهم لؤماء ،يقتل بعضهم بعضـا يتحـاربون يأكل القوي منهم الضعيف وغنيهم يموت من التخمة وشيخ عجوز مثلي لا يجد منه فتاتا " (١٠) .

وقصصه تتميز بالخيال والإغراب فيه ، فهو يخاطب الشجر كما أسلفنا ، وفي قصتـه (الصديق يدعي المثالية التي تندر في البشر ، فالثري حسن يتقبل الهدايا من الصديق الفقير ولا يبادر الإحسان بالإحسان ومع هذا يخلص له الفقير ويستمر التواصل بين الاثنين حتى يموت حسن ويكتب المصنع لصديقه الفلاح الفقير فتنازل عن النوازع الذاتية من المدح والإطراء وآثرها بعد وفاته

وهذه قصة ليست من الواقع الاجتماعي ، فإهداء الزهور يوميا ليس من تقاليد المجتمع وكذلك مصنع الأشربة ، لم يعرف ولم تجربـه العـادة فـي المجتمع الحجازي والجزيرة وأنما تقليد أوربي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويعلن أن قصة (حمار الحاكم) مستمدة من قصص الشعب التركي ، وهي التي تحس فيها بالذاتية للقاص حيث تحدث فيها بضمير المتكلم ، وإن استمد التعبير من الواقع بالتعامل مع القطط والفئران التي توحي بالفقر في البيت ذاته، وعند الجيران أيضا ، ومعالجته للعمل الوظيفي ليست بذات عقلانية ، ولا عاطفية مؤثرة .

ويبدو الأسلوب البلاغي العربي بقوته وجزالته ، والفصحى لغة النص التي لم يحد عنها ولم يتجاوزها لغيرها .

حجم قصصه أقل بكثير من حجم جاراتها المسرحية .

اهتم بالتصوير العام ونقطة النهاية ولم يحلل الشخصيات تحليلاً نفسيا ، ولذا فقد القصص التأثير النفسي على القاريء .

ويتضح بجلاء التأثر بالقصص الغربي المترجم ويظهر فيها تكلف الأحداث ولم يكن هناك من مغز تنتظم حكاية القصص ليبلور الهدف الشامل للكاتب الأمر الذي يجعلنا نقول : إن اتجاهه أدبي فني فحسب .

البعث (١٠)

مجموعة قصصية صدرت لمحمد مغربي عام ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م وتحتوي علي فئتين من القصص : الأولى قصيرة ، وواحدة طويلة ، وتتكون المجموعة الأولى من أربع قصص هي [الكنز] و [الرجل النكد] و[بقرة الشريف عون] و[مقامة العروسين] .

أما الثانية فهي قصته [البعث] التي سمى المجموعة باسمها ، وتحكي واقعاً ألم به المؤلف ذاته وسرده على شاكلة القصة(وقد رأي في البلاد التي هاجر إليها أشياء كثيرة اضطره معها أن يقارن ما رأي في الهند بما يعرف من أحوال بلاده ، فهو يتحدث كثيراً عن ما رأى وما يعهد ، ثم عاد إلى بلاده فتدفعه الحوادث التي تعترض طريقه إلى محاولة العمل الجاد المثمر ، فيقوم بأدخال صناعة جديدة إلى البلاد) (١٢) ولست أدري ماهي الصناعة التي يريد فرد إدخالها إلى البلاد ، وإنما أخشي أن التعبير انحرف بالفكرة أو أن عرضها نجم عنه غموض في التعبير .

وقد أهدي المجموعة (إلى كل شاب يريد أن يشق لنفسه طريق المجد، ولأمته طريق الحياة) (١٣).

والكاتب محمد علي مغربي من الجيل الثاني للكتاب في المملكة العربية السعودية وله مشاركات في الصحافة السعودية ، وهو من الشعراء الذين يخضعون للتجربة الذاتية وأخذ يكتب رباعيات فياضة في الصحف ، وهو من الأدباء الذين أسهموا بأقلامهم في إظهار التطور الفكري لبلادنا في مراحل النهضة الأولى ، وتفاعل فكريا مع القضايا الفكرية والاجتماعية ، فأدلى بدلوه في معالجتها في كثير من الجرأة والإقدام وكان من أولئك الذين صحبوا التطور بفكرهم وعمرهم الزمني ، فقد عاش مراحل تلاحق النهضة في جميع مساراتها التعليمية والعمرانية والزراعية والفكرية .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد رصد الأعمال الجليلة لأولئك الرجال الذين لهم دور بارز في الحياة التي تولدت عنها الاتجاهات المعاصرة والرجال الذين بذلوا جهدا وفكرا وقيادة بناءه لتأسيس النهضة المعاصرة على أسس راسخة وذلك في كتابه (أعلام الحجاز) فسطر ببراعة كثيرا من القصص التي تنتمي إلى الخير في ثنايا هذه السير .

والكاتب يعني بالحياة الاجتماعية في الحجاز ويحاول رصد مساراتها وشرائحها وتدوين عاداتها في كتابه (ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز) والبحث عن سير أولئك كفيل بربطه بالمجتمع بوشائج متينة ومن ثم تأطر بأطر المجتمع الحجازي الذى نشأ في ربوعه وتوثقت به علاقته في صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته وأن يمدنا بالرؤية السليمة التي يتطلع إليها المجتمع فكان ما توقعناه وقد ركز على الآمال التي لا تكون إلا بالنهضة الصناعية والعلمية وبناء الصرح الاقتصادي . وإصلاح المجتمع وبناء شبابه على أسس من القيم والمثل العليا الراسخة .

وقد استهل مجموعته القصصية بقصة (الكنز) والعنوان وتفسيره يجعلنا نرتبط ارتباطا خرافيا في كثير من الأحيان ، وواقعيا في بعضها ، فقضية الكنوز الأرضية وما يدور حولها من خرافات وأساطير مسألة شعبية اجتماعية في كل عصر ومصر ، الأمر الذى دعا الإخوة وخليل التاجر منهم بصفة خاصة إلى البحث عن الكنز على الطريقة الشعبية القديمة ثم الاستعانه بالمشعوذين لولا أن تداركه ربه .

واختار الإخوة الذين في وصية والدهم ألا يبيعوا الأرض الزراعية لوجود كنز فيها وهنا هب الإخوة للتفسير ، وانغمس خليل يحرث في كل بقعة وتحت ظل كل شجرة ، وأخيرا استعان بالمشعوذ الذي طلب ألف ريال وإحضار ثور شديد سواد الشعر لا وجود فيه للبياض ، غير أن خليلا شك في الأمر واستعان بالله ، وأخلص في الدعاء ، وحلم حلما جنبه هذا الطريق ، ثم صدقت الرؤيا حيث بيعت الأرض بملايين الريالات ، واحتفظوا بجزء كبير منها .

البعد الزماني والمكاني :

وهذه القصة من أوائل القصص القصيرة في البلاد السعودية ، وقد حدد مكانها بمساحة محدودة من الأمتار ، وزمانها بوفاة الوالد قبل النهضة والتطور العمراني الذي جعل الناس يتهافتون على الأرض ، وترتفع أثمانها مما جعلها تكون كنزاً .

والقصة إلى جانب بروز الموروث الشعبي فيها كالنظرة إلى الكنز والواقع المعاصر لكون الأرض ذاتها هي الكنز ، حيث تدر بالثراء والثروة فإننا نرى الانطباع الإسلامي يتجسد في القصة ، فالأمانة عند خليل رغم اندفاعه نحو الكنز ، فإنه لما توقع العثور عليه استدعي الشركاء الذين هم إخوته وتبرز العاطفة الدينية في تردده حين تعامل مع المشعوذ وأطال التفكير في ذبح الثور الأسود لغير الله .

ثم اتبعها بقصة (الرجل النكد الطبع) وهي تصور كيف تحول الغلظة والشدة دون التفاهم وتشعل التناحر بين الأسرة الواحدة ، بل تؤدي إلى إرتكاب الأخطاء في سبيل إخفاء أخطاء أقل ضرراً .

أما ثالث قصصه فهي مستمدة من واقع العصر الماضي وتحت عنوان (بقرة الشريف عون) التي ظلت تفتك بالحبوب في الطرقات وعلى أبواب الحوانيت ولا من رادع ولا زاجر وما ذاك إلا لأنها بقرة السلطان والسلطان لا علم له بها .

أما قصته (مقامة العرروسين) فهي أقرب للمقامة والمناظرة منها للقصة فالحديث المضحك والمبالغة في أوصافه للزوجة وأسرتها المرغوب فيهم كقوله:

" قال : أن يكون أهلها على كثير من الذوق والحساسية ، فلا يباكرونا صباحاً ومساء بل تكون زوراتهم كبيضة الديك مرة في العام " وبالمقابل فإن أب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفتاة يريد من زوج ابنته " أبر لـه من الولد سنداً لـه أي سند ، يبذل المال والجاه ويدفع عنه بالسيف والقناة ، يحب والدة ابنته ويكرمها ويرعى شؤونها ويحترمها ويؤثر الكبير والصغير من أخوة ابنته وأخوتها من أبناء عمومتها وعماتها وأخوالها وخالتها " (١٣).

ولذا فالقصة بعيدة كل البعد عن منطق القصة القصيرة وإن جاز أن نطلق عليها مناظرة أو مقامة .

وهذه القصص القصيرة وضعت في صدر الكتاب لتتلوها القصة الطويلة (البعث) التي سمى الكتاب باسمها والتي تعتبر من القصص الطويلة التي نؤجل الحديث عنها إلى حين القصة إن شاء الله .

وقد حكى المغربي قصصه القصيرة بالفصحي لا يحيد عنها ، فلم يتعرض للعامة وألفاظها حتى الحوار مع المشعوذ والعمال لم يبرح الفصحى فيه .

وقد نهج في قصته الأولى الكنز نهج القصة القصيرة ودارت في مسارها أما قصصه الأخرى فهي حكايات سارية في الحياة اليومية تخلو من مقومات القصص المؤثرة .

وهذه المجموعة القليلة لا يمكن أن تكون مثالا للقصة في المملكة العربية السعودية من حيث مضمونها فالقصة القصيرة حكاية لزمن قصير ومكان محدود ولتغيرات نفسية خاضعه لعوامل متتابعة ، لذا لا نتوقع من هذا العدد القليل أن يمدنا بتصوير متكامل عن شرائح المجتمع ، وتكمن أهمية هذه المجموعة في اندارجها ضمن النبت الأول للقصة القصيرة في البلاد ، والذي أخذ مكانه عن طريق النشر في كتب خاصة حيث جاءت بعد قصص أحمد عبد الغفور عطار (أريد أن أرى الله) التي طبعت طبعتها الأولى في ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م(١٥)

وقد طبعت مجموعة البعث للمغربي عام ١٣٦٧م - ١٣٤٨هـ كما يتضح في مقدمة المجموعة الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

البعد الاجتماعي :

الميادين الاجتماعية التي نبتت فيها قصص الأديب الشاعر محمد علي المغربي ، يزخر كثيرا بقضايا تمثل الاهتزاز الاجتماعي لمرحلة تأسيس كيان حضاري ، وقد نهض الكتاب المعاصرون له بعبء الحوار حولها وتنظيرها والدعوة إلى مناهج متشعبة ، الأمر الذى كنا نتوقع من القصص أن تموج في معابر لاحبة منه ، وينبيء عن كنه الواقع الاجتماعي ، غير أننا لا نروي ظمأ نفوسنا من معينه وليس معناه انفصامه عن المجتمع فقد يتناول قضايا توحي بالبعد الاجتماعي الذي نسير في تطوره ، ولا ينظر تنظيراً مباشراً ، مثل قصة (الكنز) التي درجت على ألسنة الناس المغرمين بالحكايات ولا سيما مع تنامي المدن والقرى ، وبناء الجديد منها ، وقد أدرك المتقدمون في السن أثر ذلك على قيمة الأرض ومن هنا أغرى الشيخ أيوب أولاده وكتب وصيته بعدم بيع الأرض لأنها تحوي كنزاً وحفر الأبناء الأرض ، واستدعوا الكهنة ، ولكن دون جدوى ، حتى ارتفع سعر الأرض فأصبحت أغلى من الكنز ونحن نلتمس منها الافصاح أكثر عن قيام النهضة وتلاحقها المتسارع في زمن قصير شهد الأبناء هذا التطور في سنين معدودة .

وقصة (الرجل النكد) الذى يتسلح بالعنف ويتسلط على أهله فلا يقبل حواراً ولا يغفر زلة ، الأمر الذي أدي إلى أيقاظ ضميره لما أخبره الطبيب أن نتائج تحليله لبوله تنبيء عن حمل فتأثر وأخبر زوجته بعد معاناة ، فأشعرته زوجته أن العينة قد انسكبت وعوضتها له وهي حامل خشية ورهبة ، وتلك قضية سطحية هناك ما هو أجدر منها ولاسيما وهو يهدي مجموعته للشباب الذي ينشد المجد .

ويستمد أيضا حكايته من العهد السابق بقضية لا تمت إلى روح زمنه ، ومعالجة قضاياه تلك هي بقرة الشريف عون التي تجوب الشوارع وتفتك بالحبوب والحوانيت ، و (مقامات العروسين) عالجها معالجة بديع الزمان الهمذاني غير أنه ربطها بالمجتمع وقضية الأسرة وبأسلوب قريب إلى النفس ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعيد عن التقعر والتعقيد ، وابتعد عن الطرافة والعبث والتسلية تلك التي تبلورت في بديع الزمان ، أما قصة (البعث) فإنها تخرج عما نحن بصدده من القصة القصيرة ، فهي قصة طويلة لذا فنحن لا نتعرض لها بل نعرض عنها .

بناء القصص :

يعتمد على سرد الحدث في تقريرية ظاهرة ، وبناء منطقي لتطور الحدث وهو لا ينظر لتنظير سالف في بناء القصص ، وإنما يوردها في استرسال ، ولا يعتمد الإنسان ونفسيته وإنسانيته ، وتلك مرحلة لم تحن بعد بالنسبة للأدباء في المملكة ، بل يريدون معالجة القضايا والأحداث التي تأخذ بالإنسان والمجتمع إلى سبل الحضارة ، وقد التزم فيها باللغة الكتابية الفصيحة التي تمثل السهولة الصحفية ونأى عن حكاية (الأقوال العامية) .

والمجموعة تشاكل مثيلاتها من المجموعات القصصية التي تمثل البذور الأولى للقصة القصيرة في المملكة العربية ، والتي توخت معالجة الأحداث ، ومخاطبة المجتمع ، ووصف الأحداث بموضوعية ، تبتعد عن نفسية الكاتب ، وتقمصه بشخصيات الأقصوصة ، والكتاب في قصصهم يتناولون أحداثاتتواصل مع مسؤولية الكاتب المفكر الذي يريد أن ينجو بمجتمعه إلى شاطىء الأمان فيهدف إلى التنظير ، وإيراد الحلول ، أو يسجل واقعاً اجتماعياً يخشي زواله واندثار أثره .

من مكة مع التحيات (١٦)

(من مكة مع التحيات) مجموعة قصصية للكاتب لقمان يونس ، وهي مستمدة من العنوان ، فمعظم أحداثها تدور في مكة المكرمة وما يجاورها ، وقد تحدث عنها القاص في مقدمته :

" إن هذه القصص في الواقع مقالات صحفية كنت أرمي من وراء نشرها إلى معالجة بعض مشاكلنا الاجتماعية أو على الأقل إلى تفتيح العيون إلى وجودها البشع ، وقد لجأت إلى القالب القصصي لاتمكن بواسطة ما أدير من الحوار بين أبطاله من ممارسة مزيد من الحرية في التعبير دون أن أقف موقف الشاعر الذي شبه نفسه في ظرف مماثل (كمن يفطر في رمضان)"(١٧). وتقع في ست وثلاثين ومائة صفحة من القطع الصغير ، وتحتوي ثماني عشرة حكاية .

البعد الاجتماعي :

مجموعة لقمان يونس القصصية تتواصل مع المجتمع في شريحته التي تنتمي إلى الوظائف الحكومية في أغلبها ، وإن تعرضت إلى ما هو داخل الأسوار والأبواب كما يقولون (وراء كل باب حكاية) ، والقارىء يستجلي الأبعاد الآتية :

١- رجال الوظائف الحكومية يتقاضون قدرا محدودا في زمن محدود وتقوم الشركات بالتقسيط الشهري على الموظف بما يقوم حياته في حدود العقلانية ، وهنا تختلف تقديرات الأفراد ، فمنهم من يدخر بقدر وآخر يقيم المعادلة بين الإيرادات والمصروفات ، ومنهم من تزيد مصروفاته فيكون الضرر ، وهذه الوظائف تترك الفرصة للموظف من بعد الانتهاء من العمل الرسمي لينتظم في ثلية من الصحب يلتقون ويسمرون ويكون الحوار والجدل وعرض القضايا أو مداولة الآراء ومن هنا فإن جل قصص القاص

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقمان مستمدة من التثلية والأحداث حولها مثل صديقة (عابد) وحيد المرأة التي نطقته بأوامرها حتى بلغ مرحلة اليأس والانتحار ، وقصته (ابن الداية) وبطلها الذي ينسب كل نجاح إلى المحسوبية والوجاهة ، كقول :

" ولكن المنصب أكبر بمراحل من كفاءة هذا الرجل ولقد قيل لي : إن فلاناً هو الذي كان وراء هذا التعيين " (١٨) .

وقال في شاب تسلم مكانة رفيعة : " معلوم كانت والدته داية الحارة وعندنا كانوا يسكنون في عمارة وقفية كانت آيلة للانهيار " (١٨) .

٢- والمجموعة (من مكة مع التحية) تنبع من الواقع الاجتماعي وتتدور في فلك الأسرة ، وتتأطر باللأحداث السرية النابعة من حكاية الدور ، ونذر نفسه لحل تلك القضايا ، حيث شارك جارته في معالجة قضية ابنها فهو "الخبير الماهر في مشاكل السيد مصطفى جابر " (٢٠) .

وهو يتبرم بحاتمية جاره في الكرم التي يدعمها بالاقتراض من جيرانه وتكلف مالا يطيق في قصته (الاشجار الباسقة)

وهنا الحرج كل الحرج ، " فالمعروف أن الأشجار القصيرة لاتلفت الأنظار إلى قصر جذورها إلا حينما تنتصب على مقربة منها شجرة باسقة ، وهذا ما حدث لي بالذات ، فقبل مجاورتي لهذا الـ(حاتم الطائي) لا أذكر أن أحداً قد أعرب عن دهشته واستغرابه لندرة قيامي بعمل(العزائم)(٢١)

٣- ويطرح قضاياالارتحال لطلب المعرفة في الخارج ، يقول في طلب مبتعث : " وفعلا تم لقائي بزياد الذي كانت الصورة الوحيدة التي أحتفظ بها له تظهره وهو غلام هزيل ينظف أنفه بطرف قمصانه (الدوبلين) الناصع ، فاقسم صادقاً بأنه لو لم يؤكد لي بنفسه بأنه هو - ولا أحد سواه - الشخص الذي جئت طائرامن مسافة لاتقل عن ألف ميل للاجتماع به ، ظننت أنه ممثل مرموق من نجوم هوليود المتألقين -شياكة - لآخر درجة لا يمكن أن تكتشف فيها نقيصة ذوقية واحدة .. علمت مثلاً أنه خير من يرقصون .. وأنه الطالب المفضل عند زميلاته النجيبات " (٢٢) .

٤- رغم أن القاص قد أستوطن المنطقة الشرقية إلا أنه في معزل عن الشرائح الاجتماعية فلم تتناولها قصصه ، وأنما استمدها من مكة والطائف ، إلا قضية العامل في مكتبه الذى يرغب في استصلاح الأرض التي خلفها له والده ، وعالج إعراض الناس عن الزراعة فى تلك الحقبة الزمنية ، وغلاء أجور العمالة .

وكذلك قصته (إلي النوخذا) التي أهداها إلى الكاتب خليل إبراهيم الفزيع رئيس تحرير (اليوم) ، فقد تحدث عن جامعة البترول (جامعة الملك فهد) وعن مدينة الخبر ، وقال في خاتمتها :

" إذاً لم يكن نقلي بالأمس البعيد صفعة مغلوب .. بل نعمة كبرى ..على الأقل لقد شاهدت كيف تم صنع التاريخ .. التاريخ الذي يتألق جمالاً وروعة وبهاء(٢٣)

البعد المكاني والزماني :

تكمن أهمية المجموعة في تواصلها مع مرحلة زمنية من عصرنا الحاضر فهي تسجل الواقع بعد أن استقر الأمن ودرج العلم في مناحي الجزيرة، وأخذ التطوريشع ضياؤه ، فصورت حياة المدن ومجتمعها وتطورها والمكان الذي استلهم منه يحدد من عنوان المجموعة (من مكة مع التحيات) فمكة المكرمة ميدان الشرائح الاجتماعية التي استشرف القاص أحداثه من خلالها ، والأحداث تحدث في المساكن ، وما يدور في فلك أسرها ، وغالباً ما تنعزل تلك الاسرة عن التواصل بمجتمعها ، وإنما الأحداث تدور داخل دائرة الدار .

والزمان : يمتد من عام ١٣٧٨هـ حتى عام ١٣٩٥هـ فأولها قصة (برضاي عليك) المذيلة بتاريخ١٢/١١/١٣٧٨هـ وآخر تاريخ لقصصه هو ماذيله لقصته (عقدة الكفن) التي نشرت عام ١٣٩٥هـ في مجلة (اقرأ)، فهي تحكي الامتداد الزمني في بناء النهضة الأولى وقبل مرحلة الطفرة ، وتشير إلى المراحل الزمنية لتطور المطارات والطائرات والطيارين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البنـاء القصصي :

لقمـان يونـس كـاتب اجتمـاعي رأى فـي الأسلـوب القصصـي سـبيلاً إلـى محـاورة القـاريء ومحادثتـه وجـذبه للتواصـل مـع كتاباتـه ، فقـد أسـتمطر الأسلوب القصصي لطرح القضايا التي يرى ضرورة الكشف عنها ومعالجتها ، وأسلوبه يعتمد على التوجيه والالتزام والمباشـرة لـذا فهـو كثـيراً مـا يخـاطب القـارىء بلسان الكـاتب في مواجهة وتقريريـة متناهيـتين ، وهو يسرد الأحداث في تنام لبناء الحكـايات ، وهو لم يعتمد على التنظير في كتـابات القصـص ولـم يتأثر بالمترجم منها .

وقد التزم الفصحىفي قصصـه ونـأى عن العاميـة حتـي فـي الحـوار مـع الأسرة والتثلية التي تغلـب عليهـا العـامية ، ولغتـه الفصحـى ليست بالمنغلقة على فهم العامة وإنما يدركونها وتجرى علـى ألسنتهـم ، فهـو ينتقـي الفصيح المتدوال عند العامة ، وشخصيات قصصة فيهـا سطحية ولا تميـل إلـى معالجـة الواقع والعقلانية وتنامي العقل والفكر ، وإنما توجه من الخـارج وهـذا شـأن الطبقـات الشعبية وهو يختار أسماء شخصياته من واقـع الأسماء الحجـازية .

ذكريات لا تنسى (٢٠)

تسلم الجيل الثاني من أدبائنا المعاصرين ريادة القصة القصيرة في بلادنا ، وإن شهد مولدها الجيل الأول ، إلا أنها لم تتجذر وتتضح رؤيتها إلا بجهد الطبقة الثانية ، وفي اعتقادي أن غالب حمزة أبو الفرج من السابقين إلى تأصيل هذا الفن وتبلور رؤيته ، وذلك لقدرته الفنية ، وإخلاصه لها ، حيث تواصل عطاؤه ، وتنامت معرفته بأصولها وفنونها ، وجال في ألوان القصة الطويلة والقصيرة .

والكاتب ولد في المدينة المنورة في ١٣٤٩/٧/٢١هـ واستهل تعليمه فيها ، ثم انتقل إلى القاهرة ليواصل التعليم العالي ، والتحق بالعمل الحكومي ، ومن خلاله اتسعت آفاقه المعرفية ، والاتصال بكبار الشخصيات العربية من مفكرين ومنفذين .

وقد غلب على مساره الأدبي اللون القصصي مما دفعه إلى الإبداع فيها ، واستلهام جمالياتها الفنية فبلغ الصدارة في بلادنا في مرحلة الربع الثاني من القرن العشرين ، وصدرت له المجموعة الأولى (في بلادي) والثانية (البيت الكبير) والثالثة (ليس الحب يكفي) والرابعة (ذكريات لاتنسى) وله رواية (غرباء بلا وطن) وقد اشتهر بروايته (الشياطين الحمر) التي تحكي اختطاف وزراء الأويك ، وقد تحدثت عنها الصحف العربية والأمريكية والأوربية الأمر الذي يدل على جمال القصة ، وله كثير من القصص التي نشرت في الصحف السعودية ولم تضم في كتاب ينتظم عقدها حتى الآن .

وقد نال الكاتب عدة أوسمة من البلاد العربية حينما ينتقل إليها في مهام رسمية أو زيارات سياحية وتلك الجولات للقاص زادت الوعي الفكري والوصفي وساهمت بالاطلاع الواسع على الوضع العربي والإلمام بخصائص الشعوب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومجموعة غالب حمزة القصصية (ذكريات لاتنسى) نشرت في سلسلة المكتبة الصغيرة التي قام على اخراجها الأديب عبدالعزيز الرفاعي وطبعت في عام ١٣٩٧هـ وقدم لها الرفاعي بقوله :

" حقا إن هذه المجموعة من حيث الكمية لاتعد كبيرة أو كثيرة ولكنها من حيث القيمة والمضمون كافية للدلالة على المستوى القصصي عندنا "(٢٥) .

وتتصدر مجموعته القصصية القصة التي حملت عنوان الكتاب (ذكريات لاتنسى) وهي ذات مضمون حي ، ودلالة واقعية وتصوير اجتماعي ، وتخرج من المضمون المحلي لتتواصل مع العالم الخارجي ، فهي تشير إلى مرحلة زمنية ، حيث كان الأثرياء في بلادنا يرتادون لبنان الجميلة الآمنة ، ليصطافوا في ربوعها وعلى قمم جبالها وبين أشجار الآرز قبل أن تمزقها الحرب الأهلية وتصبح جزيرة تمثل الصراع العالمي ، فتقاتل الأبناء نيابة عن الأهواء والآراء الخارجية .

ففي لبنان التقى الشابان وشهدت انطلاقة الحياة الزوجية واندفاع الحب ، ثم انتقلا إلى أمريكا وينحرف الزوج ويقع في شباك بنات الليل ويظل يسير في سفينة الأهواء لهذه الشقراء ، فيدمن الخمر ، ويتم الفراق بعد أن حصلت ثريا زوجته - بطلة القصة - على الماجستير وخالد الذي أسمته باسم أبيه اعتقادا منها بأن الزوج مات وإن كان يدب على ظهر الأرض .

والقصة رغم قصرها إلا أنها تنقلنا في رحلة زمنية ومكانية ذات أبعاد مختلفة من محلية عربية وأمريكية ، وتنشر لنا صفحة من الأجواء والعوامل المؤثرة على طلبة العلم في مراحل التحصيل .

والقصة التالية (الأيدي التي تبني) قصة محلية وهي ذات سرد تقريري وصفي ، مع الإصرار على تكييف القصة حسب أهواء القاص ، فهو يعمد إلى المضامين وينتقيها ليبلور الهدف من القصة التي تحكي التطور الفكري لإنسان الجزيرة حيث استلم زمام المهارة الطبية والقيادات الإدارية والتقدم العمراني والتقني الذي تجسد في بناء مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض ،

مع الإيماء إلى الماضي القريب ، فقد تمازج في الطائف وفي جبال الشفا موطن بطل القصة الكسيح حيث التقدم الحضاري وبقايا من التراث الذي يمثل حياة الكثير من رواد المعرفة في هذه البلاد ، فالحياة ذات البساطة ، والتي تقوم على الرعي والزراعة البدائية إلى جانب الازدهار والتحكم بالآلة الحديثة ومن هؤلاء وهؤلاء تلاحمت الأيدي التي تبني ، كل ذلك برزت منه مشاهدات وواقع حياة ذلك المواطن المقعد الذي أعجب بمراحل التطور وزاده إعجابا مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض الذي احتضنه للعلاج .

وقصة (ياصديقي العزيز) رسالة قصصية واقعية تمثل فئة هاجرت من البلاد زهدا في الحياة البدوية والقروية ، غير أنهم التقطوا بعد المعاناة والارهاق ما يقيم أود الفرد فحسب ، وهكذا استمرت حياتهم بينما الذين ظلوا في بلادهم وعلى ترابهم وشمروا عن ساعد الجد وانهالوا على العمل والتمسوا الخير في موطنهم ، قد أنعم الله عليهم وأفاض عليهم الخيرات من حيث لم يحتسبوا .

والقصة تنداح ضمن القصص من باب ضيق جدا ، لأنها تتكلف الإفصاح عن الواقع تكلفا وتقحمه إقحاما ، ولاضير في ذلك من زاوية التوجه الفكري للكاتب غير أنه يقدح في تكوين القصة وبنائها الفني ، فلو دمع بين شرف المضمون والجمال الفني لكان افضل .

أما خاتمة مجموعته القصصية فهي(وتطل الذكريات) ومعالم السيرة الذاتية أقرب فيها من طرحها في فصيلة القصة مما دعاني أن أزعم أنها سيرة ذاتية للمؤلف أو من يتعاطف معه الذي جرد من نفسه صديقا أسماه فهدا وآية ذلك التدفق العاطفي الذي أضاء السرد القصصي والذي قذف في روع القاريء عنصر المتابعة والتشويق في القصة مع إضافة أحداث وتغيير الأماكن فهي تصور ألوانا من الحياة المعاصرة في الجزيزة العربية ، حينما ساد الأمن والاستقرار ، وانتشرت سبل التعليم ، فهو طفل انتقل من قرية المسيجيد إلى المدينة المنورة طلبا للعلم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم واصل الرحلة العلمية إلى أمريكا ، ويمر الكاتب بها سريعا ولايقف عند معاناة أبنائنا في الخارج ولم يصف وصفا تقريريا المعالم الحضارية في أمريكا وإنما وقف عند الزواج من الأجنبية ، وسرعة الانجذاب المغناطيسي تحت إغراء الاوربيات ، فتم الزواج وبنفس السرعة يتم الاتفاق على الفراق ، ولم يجد في زمنه إلا انتظار وضع الحمل فأقفلت راجعة غير ملتفتة لعواطف الزوج ولاحنان الابن ، وإلى جانب هذه الشريحة الممزقة العاطفة في المجتمعات الأوربية ، يرسم لنا لوحة ناصعة لشريحة اجتماعية من الجزيرة ، يصل الترابط بين أفرادها إلى قمة الإنسانية ، فالمعاناة متبادلة ، والسراء تسري في الجميع والاحساس بالعرفان نتيجة الفيض المتدفق الذي تنامي مع الانسان منذ طفولته الأمر الذي يصغر إلى جانبه كل عمل يؤديه لوالديه فيظل الفرد يشعر بالعرفان لهما مدى الحياة .

البعد الاجتماعي :

وأول ما يطالع القاريء لهذه المجموعة الثقافة العامة والثراء الفكري التي تنبيء عنها المجموعة ، فتتداعى إليه الأفكار التي تقبل المعالجه في الإطار العام للقصة والتي تحس أنها تحتشد في كوكبة فيختار ما يتناسب ووحدة الحكاية ، فهو على اطلاع واسع بالمعارف والعلوم العصرية من تقنية وإنسانية إلى جانب المعايشة الواقعية للتطور الشامل الذي طرأ على البلاد ، واستمر في ظلاله حتى هيمنت السمات الحضارية في بلادنا ، فأنت تراه يجمع في قصصه كثيرا من المعارف والخصائص الاجتماعية والمتغيرات الحضارية ويرصد عوامل النهضة ويرصد النبضات الفردية أثناء الأسفار وطلب المعرفة والعلاقات العاطفية ، مع المعرفة الجغرافية للوطن المحلي والعربي والعالمي .

ويبرز الوعي الكامل بمعطيات الحياة المعاصرة ، وتلون شرائحها الاجتماعية سواء في الريف أو المدينة أو سيرة الوفود العلمية وتلاحم كل ذلك

مع التقنية والتطور الحضاري ونتيجة لهذا الوعي العميق فإنه يتقمص كل حدث ، ويثري به تجربته مع الإحساس به عقليا وعاطفيا .

ورغم التمازج الانساني والفكري الذي جعل الكرة الأرضية قرية علمية واحدة وشعور الكاتب به فاندرجت المعارف في أعماق نفسه واستحوذت على فكره وهام في أرضها ، وتضاريسها وطبيعتها ، رغم كل ذلك فإن القاص يحتفظ بأصالته ، وتنصهر فيها جميع الجداول لتكون روافد فكرية مفيدة " فكان دائم الكتابة إلى والده يشرح في إسهاب جميع ما يراه في هذا البلد العجيب ، مدنه وطرقاته ومقاهيه وأنديته وأضواءه ، وكان إلى جانب ذلك مكبا على دروسه ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى في سرعة عجيبة ...ولقد جاب أكثر مدن أمريكا وأوربا وتعرف على عادات أهالي تلك البلدان وتقاليدهم ، واستطاع أن يسايرهم في كثير من أمور حياتهم ، لكنه ظل ذلك البدوي في أعماقة يكبر دائما وعلى مدار الأيام ويوم عاد إلى المسيجيد بشهادته الكبيرة ساهم مع والده في خدمة الزبائن وأشرف على راحتهم ...وعندما استقر به المقام في العاصمة حاول المستحيل لأن يأتي بأبيه وأمه محل إقامته " (٢٥).

الشخصيات :

ومن السمات البارزة التي تتجلي من المجموعة ، خاصية الوعي الذي يصحب كل شخصية من شخصياتها المهمة ، فالفتاة(ثريا) في ذكريات لاتنسى ، متغيرة حسب التيارات النفسية التي تهب عليها ، فهي متدفقة عاطفيا للشاب الذي رأت فيه فتى الأحلام ، وهي المرأة العاملة الجادة التي تنهل من العلم والمعرفة ، وهي الزوجة العاقلة المسلمة التي تدرأ الحدود بالشبهات ، وتصبر، وتتفانى لعل الزوج يعود إلى رشده ولما يئست منه لم تقنط وتكفهر الحياة في وجهها ، وإنما جعلت عزاءها في ابنها تلك الثمرة التي ترجو لها النمو ، وأخذت تواصل العطاء والاستثمار بشهاداتها التي نالتها(٢٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك بطل قصته (الأيدي التي تبني)(٢٧) ذلك الشاب الكسيح الذي يتعامل مع المعرفة ، وينبض بالحياة ويسعى جاهدا من أجل العلاج بلا يأس ولا ملل ، ويشعر بالسعادة والغبطة حينما تم شفاؤه في مستشفى وطني وعلى أيد عاملة سعودية ، ومثل ذلك السيرة الذاتية في قصته(وتطل الذكريات)(٢٨) لأن تنامي الوعي فيها واضح للعيان .

البناء الفني :

واتخذ الكاتب الأسلوب السردي ميدانا له وسياقا ، فعبر عن الأشياء بأبعادها المشاهدة ، فهو يرسم اللوحات عن طريق الملاحظة المشاهدة بأسلوب وصفي فعلي ، والتحم السرد الواقعي مع المضامين المماثلة في واقعيتها والتي يحس بها المواطن والزائر ، وبهذا نستطيع أن نلحق غالب حمزة أبو الفرج بالمدرسة الواقعية في تعاملها مع الواقع ، حتى الخيال ينحسر ويخبو في أثناء المعالجة ، وتختصر أحلام اليقظة وآمال الأبطال التي لاتتجاوز النظرية ، وفي ما أظن أن ذلك يعود إلى إحساس الكاتب الذاتي بأن هذا الواقع الملاحظ والمشاهد فوق خيال المتخيل ، وأكثر من الآمال التي ينشدها الفرد قبل تحقيق هذه النهضة .

وأسلوبه يغلب عليه التعامل مع ضمير الغائب ، إلا أن الأسلوب يتسم بالتجربة الشعورية التي تتخلل السرد القصصي وربما تكون هي عامل التشويق الأساس في القصص وذلك لأن الاندفاع الوطني والتعبير عنه يمثل الطاقة الشعورية التي تنساب في ثنايا السرد .

والمجموعة القصصية تربط بينها علائق وشيجة كالتصوير الواقعي لعدد من اللوحات النفسانية الاجتماعية والتنامي المتواصل عبر التلاحم بين الإنسان والوطن ، ولن يكون إلا بواسطة الوعي الثقافي والمعرفي الذي يمثل الهدف الأساس في كل قصة ، ففي القصة الأولى واصلت ثريا التعليم ، وفي القصة الثانية ترى الكسيح العاطل عن العمل يواصل ثقافته ويبلغ درجة عالية من

الوعي ، والتعليم هو الذي دفع بفهد بطل قصة (وتظل الذكريات) إلى أن يـترك قريته (المسيجيد) ويهاجر إلى المدينة المنورة ويغترب لطلب العلم في أمريكا

ولغة القصص الفصحى لاغير ، ولا تلوين بين الفصحى والعامية ولم يلتزم بما يفرض الحوار أو شخصية المتكلم إنما هي الفصحى فحسب .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قراءة حول (خدعتني بحبها) (٣٠)
لعبدالله بوقس

نمتلك بعضا من المجموعات القصصية القصيرة التي تعكس المرحلة الانتقالية من التقوقع والإقليمية والانغلاق ، في المدن ومن الجهل في بوادي الجزيرة إلى الاتصال الثقافي والفكري والاجتماعي مع العرب ، وبداية ذلك أن أمر الملك عبدالعزيز يرحمه الله بإعداد الشباب السعودي وتأهليهم للقبول في الجامعات العربية بعامة والمصرية بصفة خاصة ، ومجموعة عبدالله بوقس (خدعتني بحبها) تطرح أبعادا شاسعة ومرامي متشابكة متداخلة لقضية النمو الأدبي والفكري والانطباع الاجتماعي .

وعبدالله بوقس ولد في مكة المكرمة عام ١٣٥٠ هـ ، مركز إشعاع النهضة الأدبية والفكرية لبلادنا في عصرنا الحاضر ، وقد شهد المراحل العليا لتطور التعليم في مكة المكرمة فقد أسس المعهد العلمي السعودي وتحضير البعثات ، والقاص من الذين انطلقوا إلى البلاد العربية ومصر بخاصة لينهل من العلم ، فنال الليسانس في اللغة العربية ١٣٧٢هـ ومارس التعليم وأشرف على إدارته ، وحصل على دبلوم التربية في عام١٣٧٤هـ وانتقل إلى وزارة الحج والاوقاف ، وهو يعمل وكيلا لوزارة الحج والأوقاف .

والقصص كان نتيجة لتراكمات الأحداث التي دخل صداها في مفاهيمه الذهنية والسلوكية زمن التكوين الفكري ، ولم يسجل انطباعاته النفسية وتجاربه إلا بعد أن دفع إليها دفعا ، حينما طلبت منه الإذاعة إعداد مجموعة قصصية ، وهذا بحد ذاته يؤدي إلى الالتزام بمنهج توجيهي هادف ينمي الوعي وتلاحم شباب الامة ويشده إلى المثل العليا ، والقاص لأنه عمل في التعليم والتربية ، فهو أكثر التزاما وإحساسا بمسؤولية المربي مما أثر على التكوين العام للقصص .

ومن العوامل المؤثرة التي تمثل النبع الفياض للقصص الأحداث التي طرأت على حياة الشباب المبتعث ، والقاص اعترك مع ذلك الواقع ، الأمر الذي جعل قصصه يجسد مرحلة زمنية محددة هي بداية التواصل الثقافي .

وكأني بالقاص قد استلهم الخطوط العريضة للأقصوصة ، وكفى ، وليس في ذلك ضير في مرحلة التكوين الأولى فالأمة أحوج ما تحتاج إلى وسائل الوعي ونشر الفكر ، فالامر يحتاج إلى الكشف والوضوح تماما كما كان في مرحلة تكوين الولايات المتحدة فالأدباء أدركوا الحاجة إلى المضمون الشريف ففي تلك الحقبة أعلن (أيرفنك) مفهومه للقصة القصيرة فقال :

" إنني أعتبر القصة كإطار وحسب أضع فيه المواد التي أبغي سردها ، فتمازج الفكر والعاطفة واللغة ، ونسيج الشخصيات وتداخلها ، ورسمها بصورة معبرة وعرض مشاهد الحياة بدقة ....فهناك فعالية مستمرة للفكر، وتألق في الصياغة التي يفرضها هذا النوع من الكتابة أكثر مما يبدوا في استطاعة العالم وتصوره " (٣١).

وميدان القصص عندنا أشبه بتلك المرحلة مما جعل الأديب يجعل هاجسه الأول مكونات النهضة .

والحدود الزمانية لتأليف القصص تنحصر فيما يقارب ثمانية عشر عاما من عام ١٣٧٢هـ -١٩٥٢م وحتى عام ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م بعد عودته إلى البلاد بعشر سنوات وتلك مرحلة زمنية متباعدة بين الأفكار التي نسجت التجارب والإبداع الفني لها

أما المرحلة الزمنية للكتابة فترسم التدفق الأدبي الذي تلألأت فيه إشعاعات الألوان الأدبية ، والتصقت القصة بالواقع الاجتماعي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البعد الاجتماعي :

ومجموعة (بوقس) التي اختار لها عنوانا (خدعتني بحبها) عالجت قضايا تتعلق بتكوينات البنية الأساسية الشبابية ، والتواصل الأسري ، والتنامي العلمي داخل البلاد ، والعقبات التي تعترض طريق البعثات ، فهناك تشخص أبصارهم في المدن الكبرى ، وتروعهم الحياة الاجتماعية المتفتحة ، فتهب رياحها على الشباب الغض ، ويختلفون صلابة وليونة ، ويتفاوتون صعودا إلى المعالي وانصبابا إلى الحضيض .

ووقف القاص في مجموعته طويلا عند قضية الزواج من الخارج وما يعترض هذا الزواج من مشاكل تدور بسبب اختلاف الأهواء ، والتباعد في العادات ، والتجاذب بين أهل الازواج ، والتكلفة المادية التي تصحب السفر ، وقضية الفراق ومعاناة الأولاد الذين هم ثمرة الالتقاء لفترة زمنية محدودة كما في قصصه (النهاية السعيدة) ، (خدعتني بحبها) ، (الوفاء) ، (قسوة العذاب)

وقصة (الوداع الأخير) نبعت من الواقع فهي ذات غرابة وذات واقعية ربما تحدث في غياب الرقابة الذاتية والاجتماعية ، فيحكي لنا تهاونا في بعض المجتمعات التي وقعت فيها فتاة تحت إغراء فتى عابث ولما أحست بالحمل تركها ، وفر هاربا مما جعلها تلقي بمولودها قريبا من المسجد فيعثر عليه ، وتعتني به إحدى الأسر الغنية ، ويشاء الله أن تمتد العناية الإلهية ، فتستدعى الام المنجبة لتتولى تربية ابنها وهي لاتعلم إلا بعد ان يبلغ الابن الشباب ويكمن الخطر في إخباره بالواقع فتموت المربية الأم من هول الواقعة (٣٢).

ومن القضايا الواقعية التي عالجها قضية الرضاعة ، وعدم التثبت منها ، وكثيرا ما تأتي امرأة لتعصف بحياة زوجية هادئة ، فقصة (عودة الحياة) تمثل زواجا يسوده الحب والحنان والانسجام ، فتأتي (أم الخير) لتقول : حرام هذا، وتعلن أنها أرضعت الاثنين معا ، وبعد معاناة كادت أن تقضي على الفتاة يتبين الأمر أن الشاب الذي تقصده غير المتزوج ، وما أكثر الأشباه والنظائر لهذه

لهذه الحادثة الحادة ، وإني لأعرف من أبطل زواجها ليلة زفافهما ، وقد أجاد القاص في تعبيره عن أثر القضية :

" ولكنها عادت اليوم فجأة لتحطم حياتها الزوجية بكلمة واحدة نطقت بها فاهتزت لها أسرة الزوجية وكانت كالسهم الناري ألقاه رام بارع فأشعل النار في كل شيء حتى جعله هشيما تذروه الرياح " (٣٣).

وفي قصته(ثروة من السماء) يجعل بوقس من شخصية بطل القصة شخصية واعية متأثرة متنامية من الفقر المدقع إلى الثراء الفاحش ، وإن اهتبل القاص الشخصية ليعالج من خلالها الغش التجاري ، وتهريب المجوهرات ، فيدرك (شعبان) بطل القصة ذلك وبثاقب فكره ونبوغ ذكائه فيحتضن العملية ويهيمن عليها مما يرفعه إلى طبقة الأثرياء والأغنياء غير أنه يفاجأ بفقير يهتك أستار الحجب حوله ليعلن أنه صاحب اللؤلؤ المخبأ في الفاكهة ، فيشاطره شعبان كثيرا من أمواله (٣٤) .

والقصص فيه تأثر واضح بالحياة الاجتماعية المحلية والعربية ، وتتبلور في قصة (الأمس الضائع) الذي يجعل من بطلة القصة (راوية) فتاة عاشقة للمال والثراء والترف والنعيم . . .فتجد الوسيلة إلى رجل تقدم عمره وعطف عليها وبادلته الحنان بعد وفاة زوجته فتوهم الشيخ أنه يجمع السعادة ، ورغد العيش له ولراوية وظنت ذلك بل أعتقدته ، وتم الزواج ، وطفحت الحقيقة التي لامناص منها وهي أن سعادة الفتاة مع شاب يماثلها لا مع ثري هرم ، وكشرت الغيرة عن أنيابها وندمت الفتاة :

" وفي مستشفى الأمراض العقلية كانت الرحلة الأخيرة والأمل الضائع للفتاة المندفعة (راوية) طامعة في المجد والثروة والجاه " (٣٥).

وقصة (عندما تصفوا القلوب) كغيرها من المجموعة واقعية الحدث ، صادقة المعالجة ، مستمدة من التوجيه الرباني الذي يدفع بالضمير الإنساني إلى المحاسبة والنقد البناء ، والعودة إلى الصواب فالحدث يدور حول أرملة قامت على ولديها وكافحت وكدت من أجلهما ، ثم تزوج ابنها فحدثت الغيرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتوقعة بين الزوجة وأم الزوج ومع تفاني الزوجة وبرها وخدمتها إلا أن الأم أخذت تعمل جاهدة للفراق وهدم كيان الزوجة ، ولكن الصدمة التي نقلت الزوج إلى المستشفى جعلت الأم ترعوي وتعلن ندمها وتصارح الزوجة (ناهد) فتصفوا القلوب (٣٦) .

وقصة (نرجس) التي تحكي آخر مراحل الرق في بلادنا بالصفة السائدة قديما وهي الشراء والبيع علنا ، وتدلنا على أن الكثير من الأرقاء دخلوا الرق عن طريق الاغتصاب والكره والهروب بالأطفال حيث لا ناصر لهم ، وكان تحرير الرقيق في أوائل عهد الملك فيصل حيث أعلن عن دفع المال لمن يقوم بالعتق واستجاب له أبناء الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها وبذلك تضامنت المملكة مع دول العالم والرأي العالمي (٣٦).

أما قصة (المفاجأة الأخيرة) فتحكي واقعا لشاب نشأ في رغيد العيش وغضارته وعزه ودلاله ، فبطل القصة (عادل) الذي يرث من أبيه الحب والصدق إلى جانب المال الوفير والخير الكثير ، وينطفيء الصدق والحب في زوبعة الطيش والمراهقة العارمة ، فتتلف المال تحت سنابكها ، ولكن صدمة الفقر تعود بالشاب إلى رشدة ويرعوي عن غيه ، وتستقبله زوجته على الرغم من تعذيبه لها وحالته التي يرثى لها ويصدق في عمله وينمي مالا وفيرا لأحد الأثرياء في الرياض غير أن صاحب المال أحس بدنو أجله وأعلن أن له صديقا يقال له سعيد شاهين ومن حسن الصدفه أن عادل هو الابن الوحيد لسعيد شاهين فانتصر الصدق والحب والوفاء (٣٨).

وفي مستهل تكوين الولايات المتحدة الامريكية أخذ الأدباء والمفكرون على عاتقهم توعية الشعب وحثه على العمل المتواصل والعطاء المتفاني ومما قالوه"إذا لم تكن واثقا من دقيقة فكيف ترمي الساعة جانبا " ويقولون :

" ما أكثر ما ضاعت الضياع حينما يفضل النساء الشاي على الغزل والحياكة وحينما يفضل الرجال الشراب على الحرث والإعمار " (٣٩) .

وكأن الكاتب بوقس يشعر باحساس أولئك البناة فيجعل من بطل قصته همام الشخصية المتنامية الواعية المتأثرة بالأحداث التي تتعلم وتجرب وتعمل وتنفذ وبإرادته الشخصية وقدراته بنى فرديته ورفع أسرته وتدفق عطاؤه على وطنه ببناء المصانع والمشاريع الاستثمارية المفيدة كل ذلك بإيمان بالله واعتماد عليه ، فديننا يحثنا على العطاء واستثمار العمل والعقول القادرة ذات التجارب المثمرة .

ويختم مجموعته القصصية(بثمرة الكفاح) للملك عبدالعزيز ، حيث مهد السبل للتعليم ، وتدافع أبناء الجزيرة على حياض المعرفة وتباري الكسب المعرفي والمادي والبناء العمراني والفكري عن طريق التعليم النهاري والليلي معا مما كون مجتمعا واعيا متواصلا متلاحما .

البناء الفني :

والمجموعة القصصية ملحمة لوقائع وأحداث الشريحة الاجتماعية المتعلمة، وتناول فيها الأحداث بالأسلوب التقريري والسرد الشيق ، الذي يعتمد الصياغة الأسلوبية الشعورية المؤثرة ، في توافق وتلاحم تام مع تسلسل الأفكار ، وبنائها البناء الذي يجعل المعالجة تأخذ بالقارىء إلى الهدف والاتجاه السليم ، فاعتمد القاص على توالي الأحداث تواليا عقليا واقعيا ، واستطاع أن يمثل مرحلة زمنية محددة وأحداثا مخصوصة تقوم على التواصل الثقافي عن طريق بعث البعوث للبلاد العربية ووراء كل تعبير أو إشارة أو حركة أو تقديم أو خاتمة حسنة أو سيئة هدف وتعبير عن معنى سام ، لذا فإن المجموعة القصصية ذات هدف اجتماعي ، فنأت عن الرومانسية والذاتية ، وأخذت تنتظم حلقات المجتمع للمساهمة في بناء النهضة والتكوين الأسلم للإنسان والبناء الحضاري وتدعو إلى التلاحم والقوة المعرفية والاقتصادية .

والقاص بلور الأحداث بلغة فصيحة ذات قوة فاعلة ، وجعلها تستحوذ على تجاربه ، ولم يحد عنها بل صاغ الحوار بين العامي والمثقف بلغة واحدة ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأخفى المفارقة والتعارض بقدرة فائقة ، ساعده في التغلب على ذلك التماسه الأسلوب السهل الممتنع والألفاظ الشعبية التي لا تنغلق عن العامة ويتذوق جمالها الخاصة وهذا يؤازر أولئك الكتاب المحافظين على الفصحى في فنونهم الأدبية ولاسيما في عصرنا هذا حيث انتشر الوعي وأصبحت وسائل الإعلام تروض جميع الشرائح الاجتماعية على سماع الفصحى والتحدث بها ، واستيعاب مفهومها وأعتقد أن الحاجة ملحة لها ليتم التواصل الثقافي بين الشعوب العربية ، وليس أدل على ذلك من المفارقة الكبرى بين الشعب في بلاد المغرب العربي ، فانك تستطيع التفاهم مع أولئك الذين درسوا في المدارس العربية الحديثة ، ويستغلق عليك فهم لهجات الذين لم ينالوا حظا من التعليم .

والمجموعة القصصية بمنأى عن التوظيف الخيالي ، الأمر الذي يجعلها أكثر التصاقا بالواقع ، وما ذاك إلا لارتباطها بالهدفية المرسومة مسبقا التي تعتمد على التأثير الأسلوبي والإقناع العقلاني الواقعي .

ونهاية المطاف فهذه المجموعة القصصية تكشف الاتجاه الفكري للفئة المثقفة المؤمنة التي صقلت مواهبها ونظرياتها العلمية التجارب الحياتية والعلمية والممارسة التنفيذية في إطار العمل الحكومي .

الظمـــــأ (٤٠)

عبدالله بن عبدالرحمن جفري ، ولد بمكة المكرمة عام ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م تواصل مع الصحافة السعودية ، فعمل في التحرير ، وأصبح مديرا لصحيفة (الشرق الأوسط) و(مجلة المجلة) الصادرتين عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق بجده ثم اعتزلهما ، وهو من الكتاب الذين يقدمو عطاءاتهم يوميا في الصحف واشتهر بكتابته الشعورية الهامسة .

صدرت مجموعته القصصية (حياة جائعة) عام ١٣٨٢هـ ومجموعته الثانية (الجدار الآخر) عام ١٣٩٠هـ وله من الكتب (لحظات) و(حوار وصدى) وصدرت مجموعته القصصية الثالثة(الظمأ) عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

ومجموعته الأخيرة هي موضوع دراستنا ، وهي في مائة وعشرين صفحة وتحتوي على تسع قصص قصيرة ، وهي متقاربة الحجم فليس هناك من تفاوت بينها في القصر أو الطول .

البعد الاجتماعي :

يمتد البعد الاجتماعي في قصص الجفري ببعد مشاهداتها التي يرتادها البطل وربما يستدعي القاريء بعض الأحداث التي تدعو للتفكير والتدبر كأن يشير إلى قضية اجتماعية ، يريد الإصلاح والتطور فيها أو يربط القاريء بأحداث العصر كإشارته إلى لبنان ، فالشخصية عنده مثقفة متفاعلة .

لذا فإننا نلمح معالم الوعي فيها من خلال ما يقرع نفوسنا في أثناء القراءة، فالحالة النفسية تتأثر بجو(جدة) وحركاتها الصاخبة " تتعتق مدينة جدة داخل هذا السكون الدافيء ينتصب الليل هذه اللحظة شمعة تسهر وحدها .. تقطر الأنفاس وتقطر خطوات شلتها الدرب وتضيع في كثافة الظلال..من حوله كانت العربات الفارهة ، وسيارات الأجرة تعدو ، وتفر بالليل ، وبالهدوء،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبخطواته الرتيبة فوق الأسفلت التي انعكست عليها أضواء الليل فبدت كالآل"(١١)

والحدث لقصته الأولى (لاشيء..كل شيء) يتشكل في العبارة الموجزة التي يتكاثف فيها التعبير ، وقد درج عليها في قصصه فيقول :" أصحاب القلوب الكبيرة يموتون بحزن بسيط " فتحكي قصة ذلك الرجل الهائم على وجهه نتيجة للاضراب الأسري بين فريقين ، زوجته التي يحبها وأمه التي لايستغني عنها وتموت الأم ويجد نفسه يجوب طرقات جدة ، وينقلنا في شارعها الطويل (المطار القديم) وفيه إشارة إلى اتساع مساحة المدينة . فانتقال المطار منها دليل على تنامي عمرانها .

وهو يرسم لنا شريحة من شرائح المجتمع ، أولئك الذين يلتحقون بالوظائف الحكومية فيشير إلى قلة مرتبهم وإلى إرهاقهم بأثمان عرباتهم ، وتقسيطها واستنزاف التجار لهم .

ويغوص في أعماق الأسرة التي تتصارع بين الحاجة والمسؤولية ، وتعارض المصالح داخل الدار وموقف رب الأسرة منهم :

" يوم السبت قالت له أمه : لقد تعبت من هذا البيت ، أنت تعمل إلى منتصف الليل وتعود تطلب عشاء ، وأخوك يصحو من أذان الفجر ويطلب إفطار ليذهب إلى المدرسة وأبوك مات من سنوات مرتاحا بالموت .. مخلفا لي كل العذاب ، وعليك أن تتزوج .. لتأتي لي بمن يساعدني في البيت ، أو على الأقل ليوانسني " (١٢)

وهو يتذكر ذلك بعد ردح من الزمن عندما دب النزاع بين الأم والزوجة فيقول : " تؤنسها ! ..ها..ستحيلان البيت إلى فريقين من كرة القدم .. فاما أن أكون مع أمي ، أو أكون مع زوجتي ، وإذا اتحد الفريقان فسيقومان بمباراة المنتخب!!"(١٣) .

ويوميء إلى تدخل أهل الزوجة في خراب البيوت " البنت هنا تطلب تأميم زوجها ، وأهلها يطلبون شهر إفلاسه بعد الزواج " .

واتساع أفق الكاتب ينسحب على شخصية القصة فلم يحجزه في دائرة ضيقة في منزله بل جعل قضاياه تتواصل مع المجتمع :

" الواحد يسرح بشكل سريع ..من الإجازة..إلى الزواج ..إلى ..إلى السيد المحترم رئيس الإدارة .. يطلب منك أن تعمل حتى في البيت ، وفي نهاية الشهر يقدم فيك شكوى إلى رئيسه الأعلى!! ياالله ..كل شيء..هو لاشيء!!"(١١) .

والقضية التي جسدها أو توهم أنها قضية هي صراع دائر في حياة البشر فهم يختلفون في الأسرة الصغيرة والكبيرة ، الفقيرة والغنية وربما إنها عنصر من جماليات الحياة والقدرة على توازنها ، وهي قضية لا حل لها لذا يقف المؤلف والشخصية عاجزين عن بلوغ تشخيصها وفض نزاعها .

وانتهج الجفري نهجا يشير إلى القضايا إشارات تحمل معنى المعاناة والصراع ، فكانها تكشف وتبسط القضية أو تكثف الحدث ، ويأتي به في تدفق شعوري كما صور الصراع في قصته (الإنسان ..الدلو) :

" زوجه قالت ذات مساء : خذ(المكوى) وأصلحها ، كانت هوايتها أن تكوي ملابسي النظيفة ، وسلوكي النظيف أيضا .. وتدعني وحدي أكوي ملابسي المتسخة ، وتراكماتي أيضا !!

- هل تشاهد أفلام السينما ؟!

- نادرا .. فنحن أحيانا نرغب أن نجسد الحياة في شيء ، إن جزءا واحدا هو كل الأجزاء ؟!

- وبماذا اقتنعت؟!

- ألا أقتنع بشيء ؟!

- كيف تملأ حياتك؟!

- حياتي؟! ..أنها كالدلو .. امتلىء وأفرغ محتواي في أرض غريبة وبعيدة وأعود على بئري أتدلى .

- إلى اللقاء .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- إن أمكن !! " (١٥) .

فنلحظه يرمز إلى المتعة بالمرأة ، المرأة أو الزوجة التي سرعان ما تشترك في الغنيمة أو تسلبة إياها ، فتتزيّ بزية ، ويراها تحرق بمكواها ما جمعه وادخره فتتجمل به ، ثم تتركه في معاناته وحيدا منفردا ، وأخيرا يقتنع بأن الإنسان كالدلو ، فالرجل يمتح ويظل ماتحا ليفرغ في داره ، وهذه سنة الحياة وإرادة الله ، وفيها العمران والبناء ، وفيها الشقاء والمتعة والبلسم الذي يجعل للحياة طعما .

وقصة (الإجازة) يصف مشاهداته في فضاءات يقف عندها وقفات ويقفز إليها قفزات ، ويترك للقاريء التأمل فهو يطوف على (السينما) ويصف زحام الناس واختلاف أشكالهم ، ويمر بالدرب ويجوبها ، ويدخل حانوت (الأشرطة) ، حتى الحرب اللبنانية تستدعيها الأشياء التي يقف عندها ويستعرض صفحات كتبه فيتوقف قليلا وهو يقرأ بصوت مرتفع :

" فأنا جسد .. حجر .. شيء عبر الشارع .

جزر غرقي في قاع البحر .

حريق في الزمن الضائع !!

أخرج لسانه . أغمض عينيه والكتاب على وجهه .. يريد أن يفعل كما العجائز يريد أن يحلم بصور مرت بالأمس .

الأمس ، واليوم ، وغداً .. الشبه واحد .. لاشيءٌ يتغير !(١٥)

وقصة (الصدأ) يقف فيها وقفه متأنية عند العنوسة ويذكر التأثير العميق ويرمز لها بمخاطبة الفتاة لأبيها بأنها تريد لبس الحذاء في يديها وتعرى رجليها :

" مازلت تذاكرين ؟!

- أبدا .. خلصت مذاكرتي من ساعة !

- الوقت بعد منتصف الليل .. ألا ترغبين في النوم ؟ وراءك يوم مبكر للصحو والدراسة ! ما الفرق ؟! المهم أن لا نفقد حيوية أجسامنا لتكون قادرة على الحركة ، ونكون نحن قادرين على الانتباه !

- عدنا لآرائك المتوترة ؟ . أحياناً أراك كعجوز شاخت كل أشياءها ، وأحياناً أراك كطفلة تلهو لتحطم كل شيء .

- الهواء بارد !!

- وريش هو ؟!

- أصابعنا تجرح وجوهنا أحياناً !

- لم أفهم ؟!

- الليلة وضعت كفي داخل حذائي وتقوست ، ومشيت أذرع هذه الغرفة ، يداي داخل الحذاء ، ورجلاي عاريتان ، منظر أضحكني، لقد أردت أن أفعل شيئاً جديداً خلف هذه الجدران (١٦)

كل ذلك يرمز إلى أن وظيفة الفتاة في حياة جديدة غير حياة منزلها التي نشأت فيه وأن الجديد خلف الحياة المستحدثة لا خلف الجدران في حياة رتيبة لا تغيير ولا نتاج ولا عطاء .

وعندما يعالج قضية الفتاة بصفة عامة فإنه لا يستقصي وإنما يتلبس بفكرها ويتحدث بخواطرها الداخلية ويعرض عن الواقعية والعقلية ، وحواره ليس بين شخصيتين صديقتين أو متألفتين وإنما الحديث مع النفس ومن هنا فهو يتدفق من الشعور ويخاطب الشعور وهو وسيلة الكاتب للتأمل والتدبر .

وقصة (أرملة الحب) تحكي العلاقة الحميمة بين الزوجين الشابين ولكن يفترقان بعد الزواج من أجل البحث عن الولد ، فتتزوج المرأة وتنجب ، ويتزوج بفتاة تصغره ويعلم أنجاب زوجته الأولى ليلة زفافه ويدرك أن العقم من جانبه فيذرف الدمع ويظل متأثراً وتكون الصدمة لزوجته الجديدة التي تعتقد أن ذكرى الأولى طرأت على ليلتها وأضفت ظلها فتولي هاربة ولم تعلم أن ذلك نتيجة ليأسه من الإنجاب .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والحقائق الاجتماعية التي يسجلها في أقصوصته (ناني) تحف المجتمع وتتواصل معه وقد فرضتها روح العصر الحديث ، فالتواصل والتعارف يتم عبر الهاتف ، الذى تختفي وراءه معالم كثيرة ، فاللغة كثيراً ما تخرج عن الواقعية إلى الخيال ، ويخفي الإنسان عالمه الحقيقي تماماً كما يمثل الممثل شخصية العنف وإن كان في حقيقة تعامله وديعاً سمحاً ، فالمتهاتفان لا يدري كل منهما عن ماهية الآخر إلا بعد أن تتواصل وشائج الترابط ، وكان المجهول المفقود سبباً في نزع الثقة والهاتف يخفي معالم الجمال والأمراض وغيرها ، ويتضح ذلك عندما كشفت (ناني) عن مرضها بعد أن تعلق بها عاصم وتجذر الحب لطول المحادثات عبر الهاتف .

والهاتف هيأ الاتصال من خلف الأسرة التي يعلم نساؤها ورجالها عن جذور الأسر من أمراض وأخلاق وغيرها ، والهاتف سبب في التواصل غير المشروع واللقاء وإن تحرز القاص برفقة شقيقته الصغري أيضاً ، وذلك له إيماءات حول الالتزام ولكن يفسح المجال للمتهورين ، ويدرب الصبيان .

وقد تريثت عند أقصوصة (ليلة الريح) لاسيما في حوار دار بين الزوجين المتحابين فهو يرى تأخير إنجاب الأطفال ، وهي تلح على الأنجاب ، ومع ذلك تصر على السهر والمرح وهو يرى فيهما النفاق والضجيج ، " قال : تريدين نصف الحقيقة دائماً .. تطلبين الآن أن ننجب طفلاً وأرى أننا نسبق الزمن .. وعلينا قبل ذلك ان نضع قاعدة راسخة للحياة المادية .. لمستقبل من سنكون سبباً في دخوله إلى الحياة .. تطلبين أيضاً أن نقيم الليل بالسهر والمرح وأنا لا أطيق ذلك دائما .. للأنني لم أعد أثق بالناس .. لم أعد أصدق تلك الابتسامات الملونة ، وذلك الضجيج المنافق بل أريد أن نكون أنت وأنا معاً .. وحدنا نحدق في نجمة واحدة ، ونناقش حياة المستقبل بلا ركض لاهث ، وننام مبكرين لأصحو حباً في العمل ، وأطلب فيك سيدة البيت التي أجدها ..." (٤٧).

فالمنطق أن المعتدل المتعقل هو الذي ينشد الولد ويتعجله ، واللاهي الطائش هوالمعرض ، ولكن أعتقد أن القاص يشير إلى غرور الرجل بنفسه وبماله الأمر الذي وضحه القاص في قوله في صالة الفيلا كزخات المطر "

وتأجيل الإنجاب لا يوافق الدين أولاً ، ولا المنطق ثانيا ، فالمرأة والرجل يزدهر الحب بينهما في أيام معدودة لكن الثبات والحماية من العاصفة لا تكون إلا بالإنجاب والمستقبل بيد العليم الخبير لكل البشر فمن يعلم غده ؟! وإثارة هذه وأمثالها في قصصه تدل على التزامه وتوجيهه نحو ذلك في زوبعة الانفتاح العصري .

ولما ننظر نظرة فاحصة إلى البعد الاجتماعي في قصه نتلمس موقع القاص من الشرائح الاجتماعية حيث يرتاد الطبقة المتوسطة ، ولم يرتق إلى طبقة الثراء ورغيد العيش في القصور والإسراف والبذخ ، ولم يكن له علاقة بالطبقة الكادحة الفقيرة ذات الحاجة أو نقول ليس له تواصل مع الطبقة الشعبية العامة في أسواقها وبيوتاتها وكثافتها وعلاقاتها الاجتماعية ، الأمر الذي جعل طرحه بعيدا عن القضايا الاجتماعية الملحة والأكثر شيوعا ، ولو أن الجفري غاص في المجتمع بمؤهله الكبير ذلك القلب الشفاف ، والإحساس الرقيق وتصادم مع واقعه لأبدع نتاجاً فنياً أكثر عمقاً وألصق بحياة الشعب .

البعد الزمني :

الزمن في قصة (لاشيء .. كل شيء) زمن له فاعليته وله تأثيره وتتضح دلالته في استهلال القصة بتحديد الزمن ، الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وكأنه يستدعي للذهن قصيدة الشاعر الأسباني في رثاء صديقه مصارع الثيران الساعة الخامسة والنصف ، والساعة الواحدة بعد منتصف الليل هي زمن الإطلالة على جدة تلك المدينة التي مالت إلى الهدوء والسكون في ظاهرها، وفي دواخلها قلوب تلج .. وإضاءات تشع ، وظلمات تهبط ، وأنفاس دافئة وأنفاس باردة وأخرى حارقة ، وينتقي لنا شخصية من أبناء تلك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المدينة ، يطوف في معابرها ، ليتواصل في الواحدة والنصف بعد منتصف الليل وتكراره لهذا الزمن يشير إلى اللحظة التي يخترق من خلالها إلى بواطن الأشياء العميقة وأكثر استعادة لذكريات اليوم وهو زمن الخلوة وزمن الصفاء ، ويطرحها بلسان شخصية الأقصوصة في هدأة الليل وزمن اشتعال القلق وزمن موجات الهموم .

وليل كموج البحر أرخي سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلـــي

حيث " ينتصب الليل هذه اللحظة شمعة تشهر وحدها ، وتقطر الأنفاس ، وتقطر خطوات تلتهم الدرب ، وتضيع في كثافة الظلال " (٤٩)

ويلح على الزمن ويطرقه " ولكني أقرع كل ليلة جدار الزمن ، فلا يأتيني صدي" وهذا شأن أولئك الذين يضطربون في الليل . ورمز للحياة ومصاعبها والكدح فيها بالليل الذي يخيم بظلامه ، فهو يناجي الليل في زمن محادثه النفس وزمن الهواجس والذكريات وهو يحمل عبء اليوم ويطوي صفحته .

والإلحاح على الزمن أتخذ منظومة لها دلالتها المتغيرة والمتطورة في حياة الفرد فبادر لذكر الساعة أولا ثم منتصف الليل ثم الليل ثم الطقس في يومه أو يوميه ثم في شتاته وصيفه حتي يدور زمن السنة كاملة فالحلقة متواصلة .

ووقع المفاجأة له تأثيره فهي لحظة الزمن الفاعل وقد حدد العمر الذي يحتمل المفاجأة فهو الثلاثون " عمري : ثلاثون عاما .. وهي أعوام حافلة بالمفاجآت ، مات أبي مفاجأة ، وتركت دراستي مفاجأة ، وأحببت (رشا) مفاجأة ،وعندما تنتهي ساعة من يومي .. أحس بعد انتهائها بمفاجأة .." (٥٠)

ويستهل قصته الثانية (الأنسان .. الدلو) بالزمن " نام الساعات الأخيرة من النهار .. وصحا مع حلول المساء ، كانت ليلة صيف .. وكل ما في نفسه ، وما في إحساسه وما في ذهنه قد أصابه (الصيف) كل ما فيه يرشح ويخنقه"(٥١)

فالزمن وعاء يحتوي الأشياء ويصهرها في بوتقته وينتظمها في عنصره ويفرزها وفيه إشارة لمعالجة الحياة اليومية المعاصرة ، فالعمل الرسمي

يستهل صباحا حتي قبيل العصر ، فيعود الموظف إلى منزله ، ويدلف إلى الراحة والقيلولة المتأخرة " حتي المساء وهو يمازج الزمن بالانسان فيضع بينهما تشابها فالصيف يحمل الحرارة التي تؤجج الجسم فيفرز عرقا ، وصاحبه يتأجج ما بداخله هماً ويضيق تنفساً .

وهو يفسر الزمن في تحديد العمر " كان يتخطي السابعة والثلاثين بأيام ، وكان هذا العمر قد انمحي ، وكأنه قد ولد قبل أيام ، ولكن بلاهوية وبلا عنوان، فإذا هذه الأيام القصيرة هي عمره كله ، أو إنها الوجود الذي طلع ورده من بين الرمال ، أو أنه الجرح الذي يغدو إلى النسيان بأربعة أرجل من المستحيل أن يتقهقر الزمن .. ولكن من المؤكد أن يترسب في الأعماق ذكرى ألم أو حنين فقط ! " (٥١) .

والقاريء يشعر بارتباط الجفري بالزمن فهو يحدد عمر الشخصية ويحدد تاريخ الأحداث بأزمات تقارب حركة التجربة في عمر الشخصية .

والزمن للقصص يتحدد في فترة التسعينات بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة فكان عمر القاص يقارب من ذلك ، والأحداث والمشاهد أيضاً تشير إليه فالتعامل مع الصمام في تلك المرحلة الزمنية لم يهيمن عليه الطب حتي تشفى (ناني) بطلة قصته المعنونه بهذا الأسم ، وهو يجوب شوارع جدة زمن الانتقال إلى المطار الجديد ١٤٠١هـ والشريط الساحلي السياحي في جدة لم تكتمل روعته وجماله والتطواف في ذلك الزمن متواصل مع أوربا وكانت بداية نيل الشهادات العالمية مثل الدكتوراه .

إذا فالقصص من ترسبات التسعينان بعد الثلاثمائة حتي الأربع مائة بعد الألف .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بناء القصة :

يقوم البناء الفني عند الجفري على أسس ثابته مثل المقدمة، والتحليل الشعوري ، والحوار الداخلي ، فهو من أولئك الأدباء الذين يقتفون أثر الرومانسية فيتحدثون عن الذات ، ولا أقصد بها الأنا أو الأنانية ، ولكنها الإنسان أو النفس الإنسانية ، وتفاعلها مع الزمان والمكان والأشياء ، فتنبض ذاته هجسا وتأملا لابقصد الاستئثار والعظمة ، وإنما بتوازن وتأمل واستبطان " أنا لست مع نفسي ولست ضدها" (٥٣).

" أننا لانقدر أن نجرد ذواتنا من هذا المزيج ، لأننا لو فعلنا .. لو تأكسدنا .. نتحول إلى خارطة عليها جغرافية الممارسة ومناخ الأصداء الضائعة ، وتضاريس التعامل المحصور في الرغبات ، أو تفرد الذاتية" (٥٤).

وبناؤه للقصة يقوم على جمع الشتات والإفضاء بها في عبارات مركزة في زخات وقطرات أو حبات من البرد ، فقوله " الأصداء الضائعة " يوحي بالتأثر المتوارث القديم في العادات والتقاليد ، والأفعال التي لامكان لحقيقتها فنتاجها وأصداؤها لابقاء لها ، وقوله :

" وتضاريس التعامل المحصور في الرغبات أو تفرد الذاتية " توحي بفقدان التوازن والاعتدال ، فالرغبة لاتسير الحياة ، والذاتية الفردية لاتؤهل صاحبها للنجاح في خضم المجتمع "(٥٥).

ونلتمس العقلانية والواقعية في تلك التهويمات النفسية التي تنساب مع أنفاسه فهي صدى العمق ، صدى الامتزاج بين العقل والشعور والمثيرات للتجارب كلها متعانقة متآلفة مع المجتمع .

وقصصه يمثل مرحلة التطور لبناء القصة في المملكة العربية السعودية ، فقد كانت الحكاية تنسرب في ثنايا القصص السردي في عهد السباعي كقصته(خالتي كدرجان) وتضوعت في عملية المزاوجة بين القصص المترجم والخيال عند أحمد عبدالغفور عطار. وتكامل القصة السردية عند غالب أبو الفرج والمرحلة التي تمثل النقله من العملية السردية إلى القصة الشعورية

تتبلور في قصص الجفري ، فالشعور يطفو في أقصوصاته ، ومحادثة النفس وتستحوذ على جل الحوار لكنها ليست الانعزالية الرومانسية ، وليست البناءة الفنية (البرناسية) وإنما هي المعالجة الاجتماعية ، بل هي الإضاءة والبيان والكشف وهي الدعوة إلى التلاحم والتفوق يقول في محاورة ذاتية الفتاة :

" تبتسم بذهول ..الليل يسقط في الصمت ، وما أحلى الصمت إنه حديث طويل لا ينتهي ، لايخرمه الملل ، ساعة كاملة وهي تسافر في رحلة صمت ، تحب أن تخلو إلى نفسها دائما .. كل البشر ـ لحظتها ـ يمرون من أمامها .. كل الوجوه التي اصطدمت بها والتي لمحتها ، والتي حدقت فيها ، والتي تتخيلها والتي صامت عليها ..زحام مرهق ، الإنسان يبحث عن وجهه منعكسا على وجه آخر .. وجه واحد من كل هذه الوجوه .

وهذه المرآة في غرفتها سخيفة ..إنها تعكس لها وجها لاتعرفه ..لاتعطيها وجهها تراه على وجه آخر !!"(٥٦)

ومجموعته القصصية تنقسم إلى قسمين ، أحدهما يتواصل مع القصيدة النثرية التي تقذف بالتأمل أو تلتقي مع المقالة الشعورية التأملية التي نهجها جبران خليل جبران ، وتجلت في النداء إلى التلاقي بين الشعر والنثر الفني من الأقصوصة وغيرها وظهرت معالمها في أقصوصات (لاشيء..كل شيء) و(الانسان..الدلو) .

وثانيهما ، التي تجنح إلى التقريرية كثيرا وإلى السردية أحيانا وتتراءى في جل قصصه مثل (الصدأ) و(أرملة الحب) و(الخفقة) و(ناني) و(ليلة الريح) .

وتكثر في قصصه الفضاءات والفراغات ، وتدرك عن طريق الإيحاء ، يقول في قصته(الصدأ) :

" طابور من الأحصنة " أنت تنطلق أسئلتك فلا أرى ألا غبارا كثيفا !

ـ انا لست عاصفة !

ـ لم أقل هذا .. أنت صعب تجعل لكل كلمة تفسيرا .

ـ لأني أريد وضوحك . أن تكوني معي الطريق والمعنى والاستراحة والأنثى!

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- رجعنا للشعر؟! الله هاالله .. شوى وتجمح !
- العثور على أنثى نافذة .. مضني جدا !
- وتشتمني أيضا!!
- قصدت ذلك .. لتتخلصي من الدوائر الحلزونية !
- اسكت .. التيار في داخلي مجنون !
- تخافين أن يتحطم فيك كبرياؤك؟! " (٥٦)

ولما نجيل النظر في علامات الترقيم عند الجفري نجده لايلتزم بقاعدتها ، فهو يستخدم علامة الاستفهام في غير موطن الاستفهام ، انظر إلي المقطع الأخير وأنت تدرك أن ذلك لم يكن سهوا أو جهلا وربما أراد أن نستنتج سؤالا يطرأ .

أما الفضاءات والفراغات في قصص الجفري ولاسيما النقطتان التي تقع بين الجمل فإنهما لاتوحيان بغياب ولايدعوان لجلب جملا أو مضامين جديدة ، فهو يقول :

" لا .. إنني أشتم الكرستال الزائف .. فكل مغريات الحياة مثيرة ومغرية من الخارج ، ولكنها ليست أصيلة .. إنها هشة .. زينة إن خيال الإنسان قد تسوس .. ولكنه يمزح ، ويطلق النكتة ، ويطوح بساقية مقهقها كما معتوه"(٥٨) .

فهو يقف على الكرستال الموصوف بالزائف ويضع نقطتين لا تؤديان مضمونا ومتواصل مع ما بعده ، فيقول :" فكل مغريات الحياة مثيرة ومغرية من الخارج " فنجد أن ما بعد النقطتين تواصل مع ما قبلها ، وقوله أيضا " ولكنها ليست أصيلة .. أنها هشة " فالأصيلة أعقبها بالنقطتين وأعقبها بالهشة التي لا تتضاد مع أصيلة المنفية ، إذ هو لم ينقلنا عن المعنى بعيدا بل هو يعقد علاقة مشابهة بين ما قبلهما وما بعدهما يقول :

" ويستريح على تقاطيع بريئة .. كأنها وجه طفلة أو كأنه على الوجه التقاة ملاك يغني للحب والحياة " (٥٩) .

وأرجح أن الجفري يمثل مرحلة الانتقال ، فقد شاكل غيره في علامات الفضاءات ولكنه لم يلتزم بها ، أما الذين أتوا من بعده فانك واجد الغياب الذي توحي به النقطتان من جمل ومضامين وصور ، وكان أنجح في رسم بنائه على شكل الكتابة الشعرية ، حيث يكتب جملة أو جملتين ثم ينتقل إلى السطر الذي يليه على شاكلة القصيدة الحديثة ، وهو في هذا يلتزم بالتعبير الشعوري كثيرا كقوله :

" ـ زوجة !! قالت لي ذات مساء : خذ (المكوى) وأصلحها ، كانت هوايتها أن تكوي ملابسي النظيفة ، وسلوكي النظيف أيضا ..

ـ وتدعني وحدي أكوي ملابسي المتسخة .. وتراكماتي أيضا ..

ـ هل تشاهد أفلام السينما ؟!

ـ نادر .. فنحن أحيانا نرغب أن نجسد الحياة في شيء .

إن جزءا واحدا هو كل الأجزاء ؟!

ـ وبما اقتنعت؟!

ـ أنا لا أقتنع بشيء ؟!

ـ وكيف تملاء حياتك؟!

ـ حياتي؟! .. إنها كالدلو .. أمتليء وافرغ محتواي في أرض غريبة وبعيدة ، وأعود إلى بئري أتدلى .

ـ إلى اللقاء .

ـ إن أمكن !! "(٦٠)

وقصتاه (الإجازة) و(الصدأ) يقسم الأقصوصة فيهما إلى مقاطع تمثل فصولا من الحياة لبطلة القصة ، ويضع كل مقطع تحت رقم من الواحد إلى الخامس لأن الحدث فيهما لايحكي لحظة معينة ، وإنما يمتد الزمن فاضطر إلى تقسيم الأقصوصة .

وبناء مجموعة الجفري (الظمأ) تعادل النقلة الشعرية التي صاغ الشعراء إبداعهم على الأوزان الشعرية مع التزام القافية ثم انتقلوا إلى التفعيلة ثم إلى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهمالها ، والجفري بني قصصه الأولى على التقرير والسرد ثم انتقل إلى الإيحاء والإشارة والفضاءات .

وبناء قصة (أرملة الحب) بناء تقريري يحكي حب زوجين متآلفين افترقا من أجل الإنجاب ، وتفجرت الذكريات ليلة الزفاف لزوجته الثانية ، مما جعل الحب القديم يطفو فتشتعل الزوجة العروس غضبا ، ويثير الطغيان الجديد الذي طرأ حيث علم في اليوم ذاته أن زوجته الأولى أنجبت وأن العقم من جانبه ، فأصبحت الزوجة الجديدة أرملة الحب ، فكانت حالته التي عزلته عن حبه فلعل له عذرا وهي تلوم .

والجفري يلجأ إلى الرمز فهو يعبر عن الالتزام بالحياة الزوجية وقيودها في (الخفقة) فقد استهلها بالرمز في قوله :" وجهها .. زحام من التحدي والقدرة والاستجابة ، فهل ينكسر الزمن بالفتنة المترفة ؟! " .

فهذا فيض من الولوج النفسي لتلك الفتاة التي مارست المرح واللهو هل ينكسر زمنها وتعود إلى حياة الزوجية؟! ، ويقول فيها مخاطبا تلك الفتاة التي أحبته من قبلها بعد أن أعرضت عن خطيبين من قبله :

" قال لها ولايصيبك السأم عندما تسكنين قلبي ، وأغلق عليك بابا حبسا مؤبدا .. قالت وهي تضع رأسها على كتفي كيف يكون ذلك وأنا أركض كل هذه المسافات لآخذ مكانا في داخلك !

قال لها : ولاتحاولين بعد أن أخبئك داخل هذا القلب أن تحفري ضلوع الصدر وتحيلينها إلى خروم لتتسللي منها إلى الخارج " .

ولكنه لم يلبث أن يفصح عما رمز إليه بقولها : " قالت : ياسيف كيف يمكنني أن أهدم بيتي .. هل أبقي في العراء ؟.. إن قلبك بيتي الآمن ، والحياة بدونك صحراء منثورة بالعطش "(٢١).

وقد ذكرني الجفري الحجازي بسلفه الشاعر الحجازي عمر بن أبي ربيعة "واسبطرت تشتد في أثري" .

والخاتمة أو النهاية لم يحددها الكاتب باعلان الزواج أو الافتراق غير أن الكاتب قال :" من الصعب أن يكون لهذا الإحساس نهاية (٦٢) ولا استدامة للحب إلا بالزواج على خلاف الحب العذري الأوربي القديم الذي يعرض المحب عن زواجه من حبيبته حتى لا يقتل الحب ويتواصل الحرمان ، أما العرب فانهم يحبون لأجل الرابط المقدس(الزواج) كما كان يسعى عروة بن حزام ، ومجنون ليلى ، وقيس بن ذريح ، وجميل بثينة .

الشخصيات :

لم يعر الجفري شخصيات قصصه دورا بارزا فلم يجعلها تدير الأحداث بل الأحداث تديرها ويظهر ذلك من خلال إغفاله تسمية الشخصيات كقصته (لاشيء..كل شيء) فالبطل تحدث عن نفسية مثقلة بالتفاعل النفسي ، والقاص يدير الحوار حتى على لسان الشخصيات المساعدة في القصة فكأنه يصف التحركات ويرصدها من الخارج فيقول :

" حتى(رشا) قالت لي أمس أنت رجل لامبالي ، أنت تحبني عندما تراني ، وتنساني عندما أغيب عن رؤيتك "(٦٣) وترى معي كيف يتحدث عن أخيه " إنه صوت الولد العفريت الذاهب إلى المدرسة.. إنه يناديه بفزع.." (٦٤) فهو لم يشأ ذكر اسم أخيه .

و(أرملة الحب) تحكي حياة زوجين ولم يذكر اسميهما ، ويشير إلى الحوار ويتحدث عنهما وكأنه يشير إلى عمومية القصة في المجتمع فلم تقتصر على أفراد بعينهم .

وهو في أغلب قصصه يوظف الاسم للحدث فنلمح الاسم من واقع الأحداث ونتائجها (كسيف) بطل قصته (الخفقة) فرغم أن البطلة لها دور كبير في الأحداث إلا أن النتيجة التي خطط لها الكاتب من شأن البطل لذا أطلق عليه(سيف) أما الفتاة فكان يناديها (بالأنثى) وفيه دلالة وإشارة إلى ما تحمله من معالم المراة من أنوثة ومرواغة وعاطفة وإصرار ، وإغراء .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأقصوصة الوحيدة التي شعرت فيها بأن البطلة هي التي تكون الأحداث وتلونها هي قصة(ناني) التي أعجبت بعاصم ولوحاته وأدارت قرص الهاتف وهتف صوتها في قلبه وتبادلا الحب ، لكنها الحزينة المريضة تشعر بالمتعة فلا تريد أن تعاجل بانقطاعها فأخفت مرضها " قالت عندما تعرف الحقيقة سيطول صمتك أخاف عليك هذا الاكتشاف يا عاصم فدعنا نتحرك قليلا " (٢٥).

فالشخصية هي الناطق والتي تجري الحوار ، (فناني) تحادث عاصما وتحاوره وتراسله وتصحبه ، وهذا الأمر حول القصة إلى تقريرية غير أن التقرير استطاع أن يلون شخصيتي القصة ويفيض بمشاعرهما .

والواقع أن بطل المجموعة القصصية هو المؤلف الجفري ، ففكره ونبضات شعوره وأحاسيسه هي التي لونت شخصيات المجموعة وصبغتها بصبغتها ، فالقصص ينطق بالتوجه الفكري ويرسم المشاهد في جدة وأحيائها ، ويسمعنا الأنات والآهات الجفرية ، ويتواصل مع التأمل والتدبر ، ويصور الالتزام والتوازن والاعتدال عند الجفري .

اللغة :

١ــ الحياة في حركة دائمة دائبة والجفري ينتقي لها اللغة ذات الظلال المتناسقة معها ، فنجده يكثر من المضارع في الثوابت :

" تتعطف مدينة جدة داخل هذا السكون الدافيء ، وينتصب الليل هذه اللحظة شمعة تسهر وحدها .. تقطر الظلال ، وتقطر الأنفاس ، وتقطر خطوات تلتهم الدروب وتضيع في كثافة الظلال "(٢٦).

٢ـ يمزج اللغة بفكره ودمه وشعوره وأحاسيسه فتتعانق وتتفاعل ومن ثم يفيض بصور حسية شعورية نابضة بالحياة "سقطت هذه العبارات من بين شفتيه ، لا.. بل من بين فكيه ، كان يجذ أسنانه ثم يبصق أمامه يعترف ،

يبصق كل الساعات التي طمرت أنقاضا تحت هذه الساعة .. هذه اللحظة الواحدة بعد منتصف الليل"[٦٧] .وليته سما بصورته هذه عن الابتذال بالبصق .

٣ـ استخدام الألفاظ الأجنبية فيه خلاف علمي ، فمنهم من أجاز إيراده قبل أن تعرب الكلمة ، ومنهم من يقبلها إذا لم يكن للشيء اسم في العربية ، ومنهم من يعرض عنها ، أما القصص فهو أكثر الألوان الأدبية ضرورة إلى ما يرى فيه إباحة وقد استخدم الجفري المصطلحات مثل (الفلاش)[٦٨] وأسماء الأشخاص مثل (ريسات) و(نيرون) [٦٩] وغيرها الكثير .

٤ـ استخدام العامية في الحوار والألفاظ مثل (بلاش) وقول (متشكر) [٧٠] ونحن لا نعذره في مثل هذه لأن العامة تستخدمها وتستخدم شكرا على حد سواء فلماذا يلجأ إلى العامية ويعرض عن الفصحى .

ويستخدم العامية في الحوار بين شخصيات القصة ، يقول في قصته(الإجازة) : " من سنتين ياولد يا أحمد ولم تقرأ هذا الكتاب .. خيانة إيه دي؟! أمسك الديوان بقلبه ، اسمه : معزوفة لدرويش متجول .. يضحك والله مادرويش إلا أنا ، نشوف الدرويش المتجول .. صحيح متجول زي حضرتي "[٧١] .

٥ـ يميل إلى استخدام الحسيات للمعنويات أو المعنويات للحسيات " تساقطي إذا ، أيتها الأقفال المصنوعة من التعب ، وخرس الصمت والوحدة "[٧٢] .

٦ـ يستخدم الفضاءات وعلامات الترقيم ذات " جوال .. الليل مليء بالناس ، مزدحم بالأضواء ، ولكن هذا الامتلاء .. هذا الزحام في الصدور والطنين الداخلي للنفس ، ترتمي نهاية الليل عند ابتدائه " [٧٣] .

ويقول : " يبدو أنك سعيد ؟!

ـ السعادة نسبية ياأخ .

ـ نسبية يعني إيه ؟!

ـ أه .. نسبيه بنت أم نسبية !

ـ لازم دا اسم بطلة الفيلم؟! "[٧٤] .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وترى استخدام أدوات التعجب والاستفهام والوقوف .

وأسلوب الجفري يميل إلى التدفق في الألفاظ والتآلف في التراكيب ، والإيحاء كالجدول الرقراق الذي يتعطف في منحنيات الحدائق الغناء ، وقد وظف ذلك لرصد مشاعر الإنسان ، وتفاعلها مع المؤثرات المؤطرة لها ، وينتقي الألفاظ الشائعة أو قل الشعبية ، لكنه يسبكها في حلة زاهية متآلفة مع التراكيب يقول:

" ما أجمل هاتين العينين ، وهما تهمسان بالنظرة الواثقة لا.. بالنظرة التي ظن أنها واقفة في المساء الأول ، وكانت تخف صوتها بهاتين العينين ، زائغ النظرات هو ، ولكنها وجدت في نبرة صوته شاطىء أمان ، تشبثت بالصوت ، أدمته بالجدل ليستطرد ويحكي أكثر وأطول ، وبتينك العينين ذات النظرات المدثرة في ظلال المساء .. شدت الصوت إليها بلا هوادة ، طرحت نبرته وبعثرتها فوق رمال باردة لزجة بالرطوبة ، ولم تنم العينان ، وانشرخ الصوت وهو يحتبس في حنجرته بعد توديعها " (٧٥).

وهو يحكي قصصه في أسلوب التقريرية التي لاتخفي معالم الحدث ، لكن في خطاب لغوي يومىء لك كأنه يكتب شعرا رومانسيا ، أو لنقل نثرا فنيا ينتهج نهج جبران خليل جبران ، وقصصه يقترب من ألوان كتاباته في الصحف والمجلات .

الخبز والصمت (٧٦)

الحكاية تبدأ هكذا ٠٠٠

محمد علوان :

شاب انغرس في ذاتيته العميقة حب الوطن ، تلونت نفسيته وعواطفه وغرائزه وعقلانيته بشعاب الوطن وجباله ورماله وسهوله وأشجاره وأزهاره ومدنه وقراه وأفراده ومجتمعه وشبابه وفتياته وجدرانه وأسواره ومزارعه ورعاته وآلامه وأحزانه فآوت إلي الشعور واستكانت في اللاشعور فهي بحر يغرف منه ، وتنثال عليه ، وقد تلاحمت الثقافة ٠التي تتجلي في منهجيتها، وفي إشراقها ٠ التي كثيرا ما تغير من واقعية النظرة إلى التكوين الاجتماعي الداخلي وتنأى به إلى عالم الخيال وتهاجر به عن الحقيقة حتى تجعله يهيم في سراب المثالية بل أثرت في أسلوبه وسياقاته وتكوين مصنعه الفني مما جعلها تستمطر الشكلانية المحدثة التي تعتمد على الكلمة الموحية واللغة الشاعرة ٠

وأرجح أن محمد علوان ينتظم في المرحلة الثالثة من مراحل تطور القصة في بلادنا فقد كانت القصة القصيرة تمثل مرحلة الوضوح والكشف والسرد والتقريرية أما محمد علوان فيمثل مرحلة الانتقال إلى القصة الرمزية وإلى التكثيف الشعوري والاعتماد على الإيحاء لا على التواصل والارتباط وهو يتقارب مع النثرية الشعرية التي تجسدت في البلاد العربية مثل غادة السمان في لبنان وأدوار الخراط في مصر ٠

ومرحلة التكثيف والإيماء والرمز جاءت فيما بعد التسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة ولذا يحق لنا أن ننظم محمد علوان في هذه الطبقة ٠

والدارس لمجموعتيه القصصيتين اللتين ضمنهما (الخبز والصمت) و(الحكاية تبدأ هكذا) يجدهما تمثلان مرحلتين فيهما نوع من الاختلاف ، المرحلة الاولى التي تتمثل في (الخبز والصمت) حيث استهل بها نتاجه وقدم لها رائد القصة المصرية(يحيى حقي) وبين خصائصها ومنها الغموض الذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يدعو إليه التركيز ، والتركيز على الجمل القصيرة ، وشحن الألفاظ بإيحاءات مستمده من معاناة التجربة ، ومما زاد في غموضها محاولته تقليد الكثير من كتاب القصص المحدثين في البلاد العربية ، حيث اعتمد على الدلالات الجملية واللفظية وحذف الترابط المضموني والترابط اللغوي .

أما مجموعته الثانية فهي(الحكاية تبدأ هكذا) ففيها تدارك الكثير مما وقع فيه في الأولى حيث اختفى الغموض النابع من الجمل وتجاورها إلا قليلا ولكنه مال إلى الرمز كثيرا أو اعتمد الإخفاء لكي يحول دون الثبات على تأويل محدد لينجو وربما تكون هذه مطية للخروج من الواقعية الاجتماعية التي تتمثل في مضامين قصصه فربما تشير إلى زمان ومكان محدودين محصورين ومن هنا تختفي الشخصيات الحقيقية تماما ، وهو يتجنب هذا أو أنه يخشى الصراحة الاجتماعية التي تحدق بقصصه فيهرب إلى الإخفاء ، أو ربما أن نظرته التشاؤمية هي التي لونت صياغة قصصه أو أن التردد الشعوري في الميل إلى الواقع الاجتماعي وثباته أو تغييره مع مقارنته مع غيره ربما يعود إلى كل ذلك لتمثل الوشائج بينه والغموض والرمز أحيانا .

وكثيرا مايعرج على الأساطير ويوظفها توظيفا سطحيا في قصصه أو ربما يحيلنا إلى أساطير محليه أو حكايات قروية فيجعل قصصه تتدثر بلون من الغموض .

وقد صُدِرتْ مجموعته القصصية الأولى بقصته (الطيور الزرقاء) ويطالعنا في هذه القصة التأثر الخارجي الذي تجللت به المحلية ظاهريا ، فالاسم (زينة) ليس بالمحلي والمعاناة من الأب والفتاه ليس من المحلية في شيء ولكن سرعان ما تنكشف المحلية بأسطورة التشاؤم من عواء الذئب ونبح الكلاب وهي أسطورة محلية وعربية .

والقاص قادر على أن يجعل هذه الأقصوصة رواية طويلة ولكنه يحاول أن يكثف الإيحاء في الألفاظ والعبارات لتحمل الجوانب المتكاملة في القصة وقد شخص لنا ذلك : فالكوخ والمزرعة الصغيرة اللذان يسقيهما بالحياة شيخ كبير

وتمده بالقوة والأمل فتاته (زينة) ولكن هذا العجوز الذي ينتابه الخوف على ابنته أو على نفسه فلا حياة له بدونها وأخذت الوساوس تهيمن على أحلامه في يقظته وسباته بل أخذ يستدعي الكوامن الشعورية فتطفح الخرافات والأساطير التي سمعها من العجائز في صباه .

وأسلوب القصة يعتمد على الفصحى واللغة الشاعرة التي تفيض بالدلالات واجتلاب الصور المتضادة التي تبنى على أشكاليات مختلفة حزينة من الحياة ، ولم يبال بالتفاصيل ولا بالتواصل المنطقي ولا بالتلاحم بين العبارات" الغرفة الصغيرة والمصباح شاحب ... والليل عواء كلب ..والحزن والألم بقية من صبر تنزوي في قلب الأب الوحيد ، عيناه تجوس فوق وجهها ...يحمر خدها ..الحمى..فينحني وصرخه عنيفة ياسماء أمطري حجارة وشكوى "(٧٧)

فإن الفتاة تصاب بنظرة حزينة من نظرة الأب الحزين لا بالحمرة في الخدود أقول هذا لأني أعتقد أن القاص لايجنح إلى الشذوذ في قصصه .

وبلغة شاعرية يصف ليل العجوز الطويل فيقول :

" الليل يلد الليل ساهرا يرقب العيون الذابلة يناله التعب عصاته الغليظة في يده عينه في يده ".

وهو ينهج نهج يحيى حقي الذي حاول أن يبتعد عن الوصل والفصل وحروف العطف والجر وغيرها من عوامل التلاحم في صياغته وتعبيراته ، غير أن بعض تعبيراته لم يحالفه التوفيق في صياغتها ، لأن استاذه يحيى نفذ إلى هذه المرحلة بعد أن اكتمل نموه الفني الأمر الذي يجعلنا نلتمس الدلالات وإن حذف علامات الوصل ، بينما جمل محمد علوان تتمادي في الغموض لممارسته المبكرة .

وفي قصته (السؤال الثالث) يحكي واقعا تجسد من أساليب التعليم الحديثة التي صيرت الامتحان شرا لابد منه ونتج عن ذلك محاولات التمرد عليه حيث الغش وليس هو بالظاهرة السليمة ولا بالكثيرة ولكنها تؤدي إلى ضعف وإخفاء المستوى الحقيقي لمن يمارسها فيخدع الناس .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقصصه لوحات اجتماعية ذات قدرة تصويرية ، متلاحمة المضامين قوية الدلالة ، معبرة تعبيرا وافيا عن اللحظة الزمنية ، ويبتعد عن الكشف الجسدي ويلجأ إلى تجسيد ما يصدر عن النفس وما يداعبها فيصف جلسة بين متحابين" ينتشر الصمت بلا جواب تسحب سيجارته من بين أصابعه تضعها أمامه بشكل يتيح لكليهما رؤية احتراقها "(٧٨).

ويصف مشهد الرعب في الطائرة بعد ما أعلن عن خلل فني " اللون الأصفر أخذ مساحة أكبر في الوجوه التي لاتعرف من تسأل والمضيف يعبر الممر في عجلة ، ويأخذ شيئا ما ، العيون تلاحقه ... عجوز نحيل الجسم يشد قبضته على ذراعي مقعده يزم شفتيه مع كل هبوط وصعود "(٧٩).

وقصته (الخبز والصمت) التي اقتبس عنوانها لمجموعته القصصية تبلور ظواهر طرأت على العرب وغيرهم من شعوب الأرض في العصر الحاضر حيث الاطلاع على المدن والمدينة والمقارنة بين معيشة القرية والمدينة وما يتوافر فيها من كماليات واختلاف مع الحياة القروية الرتيبة الأمر الذي جعل الشاب يحدق في القرية ومجتمعها بمنظار حالك السواد ، فيسخر من استبداد الأب ويستثقل الشقاء والتعب الذي تعانيه المرأة ومما توحي به القصة عزوف أبناء القرى عن الفتيات من الأقارب في قراهم لمعرفة الخصائص وكثرت الالتقاء ، والمعيشة المشتركة بينما الزواج ينشد أمورا ذات غرابة عنه ويتصور أن الفتيات الاخريات في منأى عن تلك البيئة أو ما يشبهها ، وقد اختار الخبز والصمت عنوانا لحالة القرية التي تتوزع إلى شرائح داخل قصصه لعاملين أساسيين هما أن الخبز عنصر أساس للغذاء فلا تكلف ولاتغيير وإن تنوع بألوان قليلة جدا ولاسبيل للكماليات .

أما الصمت فانه يوحي بهيمنة التقاليد والأعراف السائدة وسيادة رب الأسرة فلا جدال ولاحوار ولا واقعية أو عقلانية " فالأب يأمر والأفراد يلبون والأم تتحرك في مكانها تتأهب للحديث.. منطلقة من وجودها كأم .. من

وجودها كأمرأة تقول شيئا ٠٠أي شيء ٠٠٠يحدجها الأب بنظرة تتحرك إلى صرخة في وجهها المليء بعلامات الاستفهام والضعف والتراجع الحزين ٠
أتت من بينهم جميعا ٠٠ ليس لك الحق في الحديث ، الحديث لي أولا وأخيرا ٠٠٠" (٨٠) ٠

والمجموعة مجللة بالحزن فجل عناوينها تدل دلالة على السواد والظلام والموت والفقر (فالجدران الترابية) ، (ولايتفقون أبدا) و(الجوع الكافر) و(يتموت وحدك) و(نعيق الغراب الأبيض) و(شمس الموتى) أما العمق المضموني فإن القاص يلون الحياة القروية في حال من الحزن والمعاناة الشديدة والجهد المضني وصنع بخياله حياة ضبابية لامرح فيها ولافرح ولاسعادة بينما الحياة القروية تزخر بالهدوء والقناعة والرضى وهي سمات بارزة عند أهل القرى بل إن كثيرا من أصحاب المدن يرغبون في البعد عن الحياة الصاخبة ويلجأون إلى السكينة والراحة في القرى الريفية ٠

وربما يشير القاص إلى أسباب الهجرة من القرى إلى المدن ليكشفها أمام الآخرين ويوميء إلى النفر من المتعلمين الذين غادروا قراهم لتلقي التعليم في المدن ، وربما خارج الوطن إذ بعضهم قد أغرته حياة المدن المتطورة ، وغدا لايستسيغ عيش القرى ، ولا عاداتها وتقاليدها الصارمة ٠

المجموعة الثانية لمحمد علوان (الحكاية تبدأ هكذا) (٨١) توضح البناء المتنامي في العمل الفني للقاص حيث استثمر التوجيه النقدي البناء الذي رصده يحيى حقي في مقدمته لمجموعته الأولى (الخبز والصمت) فقد اجتنب " ما نجده فيها الآن من تقطيع مع أن المطلوب هو تتابع يصنعه ولايهدمه هذا التقطع فأسلوبها الآن كالطريق المملوء بالمطبات يتعثر فيه الرجل قبل الطفل(٨٢) وهذا مايسمى بالتدفق الشعوري غير المنضبط بالتركيب السياقي للغة الأمر الذي جعل يحيى حقي يعيبه ولذا فان القاص تحول من التدفق الشعوري إلى الانضباط في الجمل وتواصلها المضموني والدلالي في هذه المجموعة ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتطور الفكري الذي انبعث في البلاد وضع الأطر السليمة للحياة الراقية وكان له دوره الفعال في تكوين الآمال حول مستقبل زاهر يرنو إليه الشباب الذين صقلت مواهبهم الحركة الفكرية ، وكان لسبق الحركة الفكرية في البلاد للانبعاث العمراني والاقتصادي والزراعي أثره في النفوس فابن المدن يتطلع إلى مدن متطورة راقية ، وصاحب القرية الذي واصل تعليمه في المدن ينشد لقريته ومجتمعها الثقافي التقدم في مسارب الحياة ، يتجلى ذلك في قصصهم حيث زخرت بمعالجة الأوضاع الزراعية والعمرانية والمواصلات والاقتصاد والشرائح والإبانة عن تلك القضايا في قصصه ومنهم من لجأ إلى الرمز وامتطاه وسيلة فنية ومنهم القاص محمد علوان الذي استمد من الأصالة وحياتها الواقعية جل تجاربة القصصية فأخذ يتناول الحياة في القرية ، فيوحي إلى المجتمع والتخلف فيه إيحاء ٠

ويشير إلى بدائية الزراعة ، ويبرهن على سذاجة التفكير ، ويبالغ في تجسيد بعض التقاليد والعادات وتتجلى الازدواجية الثقافية لدى القاص فهو دائم الحيرة ومهيمنة عليها النظرة التشاؤمية ، فلم يكن واثقا من تواصل التنامي ، وذلك نتيجة حتمية لجيل من الشباب اتخذ من النظريات منهجا ولم تتح له الفرصة لكي يقارن بين التطبيق ومنهجيته والنظرية ومنهجيتها ، لذا فان المراقب يتشكك كثيرا وربما إنه استمد من ذلك منهجه الرمزي وطرح الأسئلة وزرع قصصه بالشك المتواصل المتنامي في حواره وخاتمة قصصه ، وهذا الشك جنح بقصصه إلى العقلانية التي انتزعتها من التفاعلية والتأثيرية والوجدانية وعدم التواصل الشعوري بين المبدع والقاريء ٠

وتبدو من خلال قصصه نفسيته المضطربة والنظرة الساخطة على الماضي والريبة حيال الحاضر والمستقبل ، وربما نلتمس عذرا للقاص لأن البناء والتقدم الذي عم البلاد لم يتجسد إلا في العشرين سنه الأخيرة الأمر الذي لم ينحصر في وضع الخطط فضلا عن أن يدركه فرد أو شاب مندفع ، ولايفوتنا أن مرحلة الشك هذه انزرعت في نفوس بعض شباب الأمة العربية والإسلامية

بعد احتلال بيت المقدس ١٩٦٧م حيث فعلت وسائل الإعلام الغربي فعلها ، وكذلك فان النتاج الأدبي والفكر العربي صدر عن نفوس ثكلى تئن من الجراح، وكذلك عدم الثقة التي مدت ظلالها عبر القصص الغربي المترجم إلى البلاد له تأثير كبير في تكوين المفاهيم الذهنية لشباب الأمة ولذلك فهم في حيرة من أمرهم وفي هذا بلاء عظيم على أمة لاتعرف المسلك السليم لها ، وربما يحس بها القاص وإن كان إحساسه بها لم يخرجه من إطارها " انتهى الشاي والأحاديث الكاذبة ألا يمكن أن تتبدل هذه الأحوال وماذا تريد ؟ التبديل ٠٠كيف؟ وإلى ماذا " (٨٣)

وتتضح رؤية الشك في اللجوء إلى لعبة لامجال للعقل والتدبر فيها فهي تقوم على الحظ لاغير ، واللعبة وإن كانت من ألعاب الطفولة إلا إنها تمثل الهروب لدى الشباب هروب من التأمل والواقعية اللعبة هي لعبة الكبريت ومن مجرد القذف يصير قائداً أو وزيراً أو جندياً أو حراميا ٠

ويختتم قصته (اللعبة) بما يثبت تلك الحيره " ولازالت الأجواء تنعدم فيها الرؤية" (٨٤).

وتظهر نزعة التمرد عند القاص في قصة(الخروج من الدائرة) فالعنوان يشير إلى ذلك ، غير أن هذا الخروج ليس له مبرر عقلي ، فهو يرفض في قصته التخطيط والتنظيم حتى في الحديقة المنزلية ويرى أن (التعمد لكل شيء يفقده جماله) ٠

ويقول :" الحب لمحة واحدة تكفي لأن تقول كل شيء " وبذا يعطل الوظيفة الإنسانية التي تطبع الحياة على الطبيعة الخرساء فلا اهمية ، لأي مظهر من مظاهر الكون إذا لم يتعامل مع العقل الإنساني أو العواطف الإنسانية التي توجه من قبل العقل ، ويحدث الصراع بين الشاب وفتاته التي ارتبط بها " ألا تريدين أن نسافر ٠٠ بعيدا عن كل الناس ، عن كل شيء " فتجيبه الزوجة لا لماذا نهاب ٠٠نبحث عن الهدوء والسعادة والراحة ولدينا القدرة على خلقها ؟ ٠٠٠أتريدين أن تستعيدين الذكريات٠٠٠ترينها في كل مكان " ٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويختم الحوار " نعم هذا المفهوم ..أريد أحس بالبعد بيني وبين أماكن الذكريات أود أن أمحو الذكريات كفكرة لاستعبادنا أن نعيشها متى نشاء ...وكيف نشاء ونمضي ولنعيش غيرها ..ولانتذكرها" (٨٥).

هذا الحوار وإن بدا فيه الخلل التركيبي للصياغة فقد كرر الظرف في (بيني وبين أماكن الذكريات) وكذلك حين يطلب نسيان الذكريات والبعد عنها غير أن المفهوم الذي يرمز إليه الحوار هو الخروج من دائرة المجتمع والانسلاب منه وعدم التواصل معه أو العيش في إطاره ، وهذه ظاهرة ليست بالمنطقية وفيها زعزعة بالثقة وبالأمة وبالمجتمع وفيها تقليد لمجتمعات مخالفة وكان من الخير أن يعالج ما يطرأ من أخطاء اجتماعية ويفصل بين السلبيات والإيجابيات وهو يزعم ان الخروج من الدائرة وسيلة لتواصل الحياة فالزوجة تخرج من دائرة الأسرة والطفل عنصر التواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل غير أن التعبير بالخروج من الدائرة لا يتناسب مع هذا التواصل ، وإن تطرفه في رمزيته لخروج المجتمع والثقافة من ماضيهما وأصالتهما وزعمه أن ذلك سبيل التقدم والرقي أمر ليس من الحق في شيء ، فالبناء يقوم على قواعد العلم والأصالة والأسس الثابتة وأنت تلتمس الخير والحكمة في كل جديد فلا تتخلى عن الماضي ولا تقلو الحكمة عند الغير .

ومع ذلك يعود إلى الرمز الذي يؤدي إلى الانقطاع حين يتسائل " أين عوامل الجو ، البيئة ..التربة الصالحة .. نظر وكله حنان نسيت أيها الرائعة أن الحب يخلق كل شيء وأن المحاولات تهزم المستحيل "(٨٦) .

ويظهر ضعف التعبير عند الكاتب في قوله (أيها الرائعة) وكان من الأفضل أن يقول (أيتها الرائعة) .

وهو يئد الفكرة التي أخلص لها فهو ينأى عن المنطقية حينما يتصور الحياة بلا جذور ويدعي أن التفاني والإصرار الذي يدعوإليهما بالحب هو المحور والحب لايكون إلا عن طريق التواصل والتفاني مع العوامل المحيطة ،

ووسيلة الإخلاص والحب تحتاج إلى دعائم وأسس تقوم عليها لأن التكوين الفكري الحضاري بناء وتجارب أمم تلاحقت .

والمؤلف لم ينأ عن تقليد الغير في تلوين الأفكار فقد جارى كتاب القصة في العالم العربي في التسعينات ، وهو ينطبع بطابع الواقعية في قضاياه وتجاربه وتبرز قدرة المؤلف وحسن المعالجة في قصته (معذرة البث غير مباشر) فالحكاية نابعة من الواقع الاجتماعي المعاصر تمثل الحقيقة التي يدركها الشباب قبل الشيوخ لبداهتها ، ولعدم رضاهم عن التجاوز والتهويل فيها ألا وهي لعبة كرة القدم ، وأطلق على المشجعين جوقه التصفيق وهو يصور المساحة الزمنية التي تذهب هدراً من عمر الأمة وليس لهم من عزاء فيها إلا رؤية العشب الأخضر أما الباقي فليس فيه ثمرة :

" الناس أمواج تترنح ذات اليمين وذات الشمال .. صامته تأكل من هذا العشب الأخضر كل ليلة .. أدمنه .. قليلاً .. قليلاً من زخات مطر من الجنوب .. مطر ربيعي يتساقط فوق الأرض ، تلامس نظراتها التائهة وجوهاً مشدوهة بلهاء بصوت مملوء بالماء عن وصول الحكم ومساعديه (ابتدأت اللعبة) " (٨٧) .

وذكرني إدمان النظر في الملعب بقول المتنبي :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدقٍ نطاقاً (٨٨)

والقاص يستمد مضامينه من الواقع لذا فإننا نجد أن موضوعاته تتنامى مع تطور الأحداث ، فقد كان يطيل الحديث عن القرية وتطورها وهو هنا في قصة(البقعة المشمسة) ينقلنا إلى التطور والتقدم الذي استحوذ على المجتمع في مرحلة التنمية الشاملة التي أنشغل الناس فيها بجمع المال وتناسى الصديق صديقه والخل خليله وأنحسرت العلاقة الأسرية ، وتغيرت الأحوال وتباعدت النفوس ، وتجسد القصة الصراع بين أولئك الذين أقدموا وثابروا ونالوا حظاً وافراً ، وركبوا التقدم وما اعترى هؤلاء من تأثير وتأثر ، وبين أولئك الذين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أحجموا نتيجة الهيبة وأخذوا يجترون الماضي والقيم القديمة ويحاولون سرد المعاذير:

" ماذا تعني رؤية الآخرين لي في مثل هذه الحالة الشاذة على اعتبار أن القاعدة العريضة تعيش في النور لكنها لا تمارس حريتها بل لاتستطيع ، من هنا كان سؤالي فالانكفاء ليس نجاحاً بل هوالانحدار وهو رحلة فريدة إلى مزيد من العتمة لماذا لا تقول : إلى مزيد من المجهول " (٨٩) .

ويختم القصة بحيرة نابعة من نفسية مضطربة فيقول : " أعمى يقود بصيراً".

وقصته (النجم والحذاء) تمثل مرحلة الرحيل أو الهجرة من القرية إلى المدينة ، من الهدوء والحياة القاسية إلى الصخب ، ومن البقر الحلوب إلى أصناف الأغذية المتلونة النظيفة ... والقاص يجعل من بطله رجلاً متفاعل الشخصية ، ذا وعي متطور ، فقد كان هدفه الأول تغير حالته الذاتية ولكنه حين رأى المدينة وأنوارها وجمالها ، وتعبيد شوارعها أخذ يجيل النظر ويقول: " أحلم أن تكون قريتي مضاءة ، والطرق إليها سالكة وبها مستوصف " (٩٠)

والواقع أن القصص التي تتسم بالوعي الاجتماعي الذي يغلب على كثير من الشرائح الاجتماعية مألوفه في حكاياته .

ويلجاء إلى جدلية الحوار بين شخصيتين مبتعداً عن السرد المتواصل وهو يعمد إلى ألفاظ فصيحة وليست بذات غرابة ، وهي أيضاً ليست بشعبية دارجة ويبدو التركيز في اختيارعنوان القصص أكثر من الأنتقاء المناسب لأسماء الأبطال ، أو الأماكن بل أنه لم يعرأياً منها أهمية تبلور شعورهم ، بل أنهم أداة من الأدوات لتمثيل حياة متكاملة في القرية أو المدينة .

وقد اعتمد في تركيبه على الجمل القصيرة المتتابعة والتي تزخر بالإيحاء واستدعاء الأفكار ، ونحا إلى الرمز ، والرمز الذي لجأ إليه لا يمت إلى الاساطير أو القصص القديمة وإنما إلى الواقعية الشعبية ويتداخل معها في حوار يستدعي التفكير فيما رمز إليه .

والقاص يتجنب الحديث عن الذات ويتحدث بلسان الغائب كثيراً ، وهو لم يلتزم منهجاً فنياً وإنما يخضع المنهج لما تمليه عليه الحكاية ذاتها ، وهو لم يضع من نفسه داعية أو مصلحاً اجتماعيا غير أنه استطاع أن يجعل أفكاره وتطلعاته وأمنياته تلوح في الأفق عن طريق الحوار والرمز أو إثارة بعض القضايا .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مكعبات من الرطوبة (٩١)

مجموعة قصصية للكاتب عبدالله السالمي تمتد في عمر الزمن من عام ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م حتى عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ورغم أنها فترة زمنية خصبة المعطيات في تاريخ بلادنا الغالية إلا أن القصص ينحدر في منزلقات السوداوية ، وكأن القاص أراد أن يبلور ذلك اللون للقاريء فيصطدم به من أول لمحة حيث بدأ السواد في المقدمة وأغلب مسميات المجموعة تستدعي الشعور السوداوي ، فموت الأشياء القديمة والرائحة العفنة ، وليل رمادي اللون والصيف والرماد ، لاريب بإثارتها غبار العتمة في مساحة فكر القاريء وقد دعمها برافد آخر تلك المقدمة التي دأب على اختيار ألفاظها من معجمه القاتم في مستهل قصصه " الزقاق الضيق ..يرقد في العتمة ، وهذا الظلام لا آخر له ..ولاشاهد على أسرارالليل القاتم سوى النجوم " (٩٢).

وإذا ما غاص القاريء في امتداد القصص رأى الفيض الذي يحول الغبار ليلاً دامساً .

وقد تحدث محمود الرداوي عن السالمي في كتابه (دراسات في القصة السعودية والخليج)(٩٣) وأشار إلى صعوبة إدراك قصص السالمي غير أني لا أوافقه في هذا الاتجاه فهي تلجأ إلى الوضوح إلا إذا أراد الرداوي أن يعسف القصص على البناء العضوي للقصة ثم الرمز الكلي ، وهذا تحللت منه القصة القصيرة في مراحلها الأخيرة .

والقصة الأولى (بلاهدف وراء القطيع) تحكي حياة الرعي التي تضرب في أعماق زمن الجزيرة وتصور واقعا له جذوره الزمنية العتيقة والامتداد المكاني الرحب ، وقد طوف بنا القاص على الحياة القروية ، وبنيتها الداكنة ، وليلها المظلم ، وحياتها الفقيرة .

والقصة ذات وشائج مع إطلالات النهضة حيث النزوح الكثير من البادية والقرية إلى المدينة الصاخبة والحياة الأكثر بريقا ولمعانا ، فالقاص أعرض

عن القرية ودعا إلى هجرانها ، وأيد الرحيل ، وجعل الطموح الواقعي والمثالي في الاتجاه صوب المدينة ، وفات عليه أن البناء يكون في القرية والإصلاح ينطلق منها ، فيثار الجدل بين أهل القرية حول وضعهم وتحسينهم وتطوير قريتهم والحياة المعيشية والتعليمية والاجتماعية ، ومن هنا يبني الإنسان في قريته ولا يكون متطفلا على المدينة أو عاملا محتقرا .

والقصة تزخر بالقيمة الفنية حيث القدرة الأسلوبية والهيمنة على حسن التصوير والتجسيد والتشخيص مع تراسل الحواس أحيانا قليلة " تشحن رئتيه بألم قاتل تملأ معدته بحزن مالح" وكأنه يشير إلى ما أقره الأطباء من أن القرحة والحموضة تتأثر بالعوامل النفسية ، ومن تشخيصه " وكانت الشمس قد شرعت تنتحر عند الأفق " " وكان الألم يتكدس في رئتيه أكواما عفنة لزجة " .

والقاص السالمي لم يتدرج بنا مع تنامي الشعور في وجدان الراعي الساخط الثائر المتمرد الذي ثارعلى واقعه ، فلم يحشد لنا مسبباتها وعواملها ودوافعها التي أشعلت تلك الثورة في أعماق الراعي ، وإنما داهم بها القاريء فجأة ، وهذا الأسلوب وإن كان له تأثير فوري مباشر إلا إنه سرعان ما ينقشع بالتفكير العقلي.

وقصة (موت الأشياء القديمة) تحكي ذكريات الماضي الوجداني لبطل القصة ولست أدري كيف يطلق على الذكريات الموت مع أنها تنبض بالحياة بل هي التي عاشت معه لحظة الضياع والتيه في دروب المدينة الصاخبة فهي أحلام يقظة لهائم مشرد تتداعى فيها الذكريات بحرية غير أنه لونها بلحظة التداعي المظلمة .

والقصة تفصح لنا عن الوعي الثقافي الذي يتأهل به الشباب ، فقد استلهم الكاتب التشاؤمية التي كسبت مساحات شاسعة من شباب العالم الثالث وتسربت إليهم من فترة زمنية محدودة من فرنسا حينما احتلها الألمان وكانها سحابة صيف حلقت في اجواء فرنسا ووافقت الشتاء في العالم الثالث وأظلته بظلالها غير أن هذه النظرة السوداوية وإن هيمنت ظاهريا على أسلوب الكاتب وصوره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهي لم تكن نابعة من الأعماق ، ولم تتسلح بسلاح الشعور النابض المؤثر ، ولاغرو في ذلك لأن الدافع إلى هذه السوداوية غير أصيل فهو يتراءي لنا من خلال تقليد الكاتب لبعض القصص في البلاد العربية وثقافته المتولدة من قراءته الخارجية في القصة بالذات ، الأمر الثاني اختيار الكاتب لمكان ومجتمع القصص جعله يسربل لنا هيكل قصصه بهذا السربال الداكن ، وربما تأثر برائد القصص القصيرة (موباسان) الفرنسي الذي كان يتصور الحياة قبيحة (٩٤) ومعروف أن هذا الاتجاه مازال يمد ظلاله على الأدب في العالم العربي وغيره ولم يختص بالقصة فحسب ولكنه ساح إلى القصيدة الشعرية بل لون دواوين كثيرة .

ولهذه القصة تواصل مع سابقتها فهي تحكي واقع الغريب في المدينة: " والغريب النازح من كوكب مجهول لم تعرفه مواكب الغزو الهمجي" .

والقصة الثالثة (الرائحة العفنة) فهي غائرة في الواقع لفئة محدودة ، وغائرة في الابتذال ، فما الفائدة من وصف أسمال بالية أو حجرة مبعثرة أو كحة أو عطسة أو بصقة تلوث الطرقات ، فنحن نمقت الانزلاق بالذوق العام إلى أشياء نود قتلها إن وجدت ووأدها قبل أن تولد ، وننشد الارتفاع بالذوق العام لأن النص حين يكتب وينشر يكون ملكا للغير ، فالأجود أن نأخذ بيد القاريء إلى السمو والرفعة وأن نزرع النظام والذوق العالي .

ونحن لانتوقع من القصة الرابعة أن تعالج قضية من القضايا الحية لأننا نصطدم بعنوانها الموحي (ثرثرة في ليل رمادي) فقد أجاد الكاتب التجانس بين الاسم والمسمى غير أن توازي الأفكار وتعاورها وتنقلها ينبيء عن ثقافة القاص ، فهو يستدعي جذور التاريخ القديم من عهد الآشوريين والخلفاء والمغنيين والمغنيات وواقع المجتمع المعاصر .

وقصة (السيف والرماد) تستلهم الواقع لإنسان فقد التوازن والاعتدال والتعقل الذي يحكم على الفرد بالتفاعل والتطور والتلاحم مع الواقع والمجتمع ، بل إنها تستلهم ثرثرة نجيب محفوظ في بعض قصصه حيث يعيش مع أبطال وأفراد

غير أسوياء عمل بهم الضياع ما عمل لكن قصص نجيب محفوظ تطرح قضية لها مخاطرها ، وأما صاحبنا فإننا لم نستطع أن نعثر على قضية اجتماعية تستدعي المعالجة مع أنه يمتلك الكلمة السامقة ذات التاثير السحري والمكللة بالورود الساري عبقها مع النبضات ، فكان عليه أن يوظفها توظيفا يتلاقى مع شرفها وسموها وأن يرتفع من محطات العفن والنتن والبصق إلى الذوق الجمالي وبهذا يجذر الجمال في النفوس ، وقديما انتقد العقاد ملء مساحات الورق بما لا يفيد في القصص حينما سئل :

" قيل له ما أصغر نصيب القصص من هذه الرفوف!!

فيقول :

" نعم وإنه لو نقص بعد هذا ما أحسست نقصه لأنني - ولا اكتمك الحق - لا اقرأ قصة حيث يسعني أن أقرأ كتابا أو ديوان شعر وإن خمسين صفحة من القصة لاتعطيك الذي يعطيكه هذا البيت :

وتلفتت عيني فمذ بعدت عني الطلول تلفت القلب " (٩٥).

والعقاد قال هذه المقولة لما تقدم به العمر وغلب عليه التفكير ، ولم يجعل القصص وسيلة لتوصيل المعلومات ، ولم يلتفت إلى جمالياتها والاستمتاع بها.

البناء الفني :

والسالمي يتحدث بلسان أبطاله في أغلب القصص مما يوهم أن القصص يمثل مراحل مختلفة من حياة شخصية واحدة ، وقد نسحب لقب البطولة من تحت أقدام شخصيات القصص لأنهم غير فاعلين ، ولا مؤثرين وإنما هم دائما غائرون في العزلة والذاتية ، يرون الخطأ ولا يجتنبونه وكأن القاص يعلن أن هدفه من القصص تسجيلا واقعا شاخصا أمامه غير أننا نلتمس هدفا بعيد الغور وهو تجريد طبقة معينة وبلورة وضعها وكشفها بواقعية متناهية حتى تأتي المعالجة من داخل الطبقة وخارجها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويتجمع كثير من عامة الناس في ما يسمي (بالقهوة) ومع غلبة الشعبية عليها فإن كثيرا من الأدباء الأوائل من هذا العصر يجلس فيها مع ثلة من أقرانه فيتطارحون الفكر والأدب ، وليست هذه الظاهرة في بلادنا فحسب فهي توجد في مصر ولازالت ، فكل أديب في مصر وخارجها يعرف قهوة(الفيشاوي) واجتماع الأدباء فيها ، وما زالت ذكرى قهوة الفيشاوي عالقة في نفس كل أديب في مصر وخارجها .

والقصة تلجأ إلى الجملة التقريرية وإن انفصمت عن السردية العضوية ، فهو يعمد إلى الإيحاء وحشد الصور المتباعدة ، وربما نتج هذا التلوين الأسلوبي عن الأسس الفكرية التي كونت المفاهيم الذهنية التي تولدت عنها المجموعة القصصية التي تعمد إلى التداعي الحدثي في فترة زمنية ومكانية محدودتين .

والسالمي يمتلك القدرة والموهبة والوعي والثقافة ، ويستحوذ على الكلمة الموحية والتشخيص الدال والتواصل الثقافي بين الثوابت والمعاصرة ولاريب في قدرته القصصية والأسلوبية والمعالجة الناضجة الأمر الذي يدفعنا إلى تعليق الآمال عليه لكي يتجه إلى قضايا ذات جدوى تسهم في بناء المجتمع .

وتنحصر الزمانية في المجموعة في التاريخ المدون في ذيل بعضها ، ونلتمس من أحداثها ووقوعها قبل الطفرة وقيام المدن وتطورها .

أما المكانية فهي تنقسم إلى قسمين المكان والحيز الذي تتفاعل فيه القصة من الحجرات المظلمة المكدسة إلى أماكن التجمعات (القهوة) إلى الدروب الضيقة المعتمة التي نفتقد فيها ما يسر الناظرين والرائحة الطيبة ، أما المكان الإقليمي للقصص فإننا نستطيع تحديده بواسطة الرطوبة التي يكثر القاص من

تكرارها ومن اللهجة التي لاتعد المكان المناسب لها حين نلمحها في الحوار مثل قوله : " إيش فيه بإهوه " ومن هنا نقول : إن الأحداث وقعت في مدينة (جدة) والمكانية هي التي تتواصل ، أو لنقل هي الخيط والوشائج المتشابكة التي تجمع بين القصص ، بل إنه تجاوز الرابطة إلى الملل من تكرار بعض الأوصاف في قصصه .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الزحف الأبيض (٩٦)

مجموعة قصصية للقاصة السعودية لطيفة إبراهيم السالم صدرت عن نادي القصة السعودي ، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض في طبعتها الأولي عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، وهي مكونة من ثلاث عشرة أقصوصة هي:

(الميت الذي ضاع) ، (الوهم) ، (الزحف الأبيض) ، (الزمن الأسطورة)، (عرض على المسرح الآخر) ، (قطرة دم) ، (اغتيال الفرح) ،(الحوار الأخرس) ، (بكاء في حلقي) ، (قهقه) ، (التجربة) (الأمل الذي أردت)، (المنطقة الوسطي) ، وقد صدرت المجموعات بإهداء إلى والدها إبراهيم العلي السالم ، والمجموعة تمثل نتاجها الأول ، فهي تذكر أنها " أولىخطواتها) وقد نشرت المجموعة في تسع ومائة ورقة من القطع الصغير .

البعد الاجتماعي :

علاقة مستمرة بين ما يجول في ثنايا قصص الكاتبة لطيفة إبراهيم السالم وبين ما يدور في حلقة الزمن البشري المعاصر للكاتبة ، فكان النتاج الإبداعي وعيا بالواقع المحاصر لها ، فالأرض الفكرية التي أنبتت غرست الفكر والواقع الاجتماعي والوعي المشرق للكاتبة ، والأحاسيس النابضة بأوتار الأحداث ، والتلاقح بين كل ذلك هو الرحم الذي كون قصصها الاجتماعية ، والتشريد والضياع ظاهرة متكررة وقضية حية تتفاوت بين مجتمع وآخر نتيجة عوامل الكثافة المسببة لها ، ولذا تطالعنا الواقعية الفكرية والتجربة الإبداعية في أول قصة لها (الميت الذي ضاع) وتحكي الشاب المنحرف الذي زلت به أهواؤه وجنح به فكره وهوي به في غياهب السجن .

وكأني بقصتها هذه تطرق كل باب في شتي المجتمعات ، فكل شخص ينفطر قلبه أسى وحسرة على شاب ضل السبيل النير ، وبعض من الأسر مرزؤة بفتى من فتياتها وفلذة كبد من أولادها ولرقة إحساس الكاتبة الذي يهتز من اللفح الخارجي فإنها سريعة التفاعل فيظل يمرق سهم التجربة من الأرضية الاجتماعية التي تمتلك وتستحوذ حس الكاتبة فيختلج ضميرها ، ويتدفق شعورها ويتلاحم معه القاريء ويتعانقا في محور الوعي الاجتماعي ، والإحساس به حينما ترسم لنا لوحة الاستقبال الناطقة " وأمام الباب كان الجميع ينتظرونه أخوته وأخواته .. أقاربه ، الجميع في حلق الباب الذي غص بهم ، وبدأ السلام .. والدموع .. والحب ، واغتسلت القلوب بدموع اللقاء .. الجميع يبكون .. يبكون بفرح وحزن معاً ، وهو يطل عليهم من نافذة عينه " (٩٧) ولا يخفى على النقاد ما توحيه كلمة (حلق الباب) من اللياقة والحشمة ولن تصدر بهذه العفوية إلا من ممارسة المحافظة ، وعلاقتي مع قصة الزحف الأبيض قديمة ، شنفت أذني بسماعها عبر برنامج إذاعي أحببته وحرصت عليه وحثثت على ملاحقته ، إنه برنامج (البيت السعيد) الذي يعده ويقدمه ثلة من فتياتنا المثقفات اللاتي شعرن بالمسؤولية وأدركن شرف الكلمة وشرف الأسرة ، واستمددن توجيههن من الظلال الربانية ، لذا ظل البرنامج ناجحاً فاعلاً مؤثراً مواكبا للآحداث والمتغيرات الأسرية معالجاً لمنحرفاتها .

ونقول لبطلة القصة : إن ليس من شابت ذوائبه جفاه حبائبه ، وأخشي أن لسان حال البطلة يردد قول الشاعر :

في كل يوم أري بيضاء قد طلعت كأنها أنبتت في ناظـــر البصر

لئن حجبتك بالمقراض عن بصري لما حجبتك عن همي وعن فكري

ولكنها انسحبت من الأوهام المزعجة عن الشيب " أليست بوحا صريحا يؤكد أنها قضت أجمل سنوات عمرها كأسعد ما يتأتى لأي أخري أن تقضيه ، إنها لم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تفقد شيئاً .. بل ها هو حصادها الرائع بين يديها ينمو .. فماذا يزعجها ..؟ كأنها تستعيد قول ابن الرومي :

وعزاك عن ليل الشباب معاشر فقالوا نهار الشيب أهدي وأرشد

وكل نهار المرء أهدى لسعيه ولكن ظل الليل أندى وأبرد

وقصة الزحف الابيض تتجلي تاجاً لمجموعتها القصصية فهي لبها ، وثمارها الدانية وروعتها النفسية ، ورحيقها الشعوري ، والقصة لا تقف عند الشيب بل تجري جداولها بالحنان الأسري ، وعطف الأمومة الحانية ، وتبادل الحب ، وتواصل التلاحم العائلي ، يتبلور في جدول الحنان والمرح بينها وبين أطفالها حينما تنهض لهم مبكرة " فأمسكت كلاً منهم .. تعاجله بقبلةسكبت فيها كل ما يفيض به قلبها من حب وحنان وسعادة " (٩٨) وبعد أن ودعتهم استقبلت زوجها أحسن أستقبال ولم تتذمر أو تنزعج من التكرار لتجهيز الافطار بل قابلته بمرح وانشراح .

وكذلك فهي تشخص ربة البيت التي لا تكل ولا تمل بل تعمل باخلاص وتفاني " إن أعمالها الصغيرة هذه لا تحتاج وقتاً ، إنها لتعجب من زفرات الضيق والتذمر التي تطلقها جاراتها وصديقاتها .. أين هي الأعمال الثقيلة التي يتضجرون منها أين هو الوقت الضيق الذي يشكينه .. وتؤدي الأعمال ذاتها .. لكنها لا تشعر ضيقا ولا حرجا .. ربما يتركن الوقت يتسرب من أيامهن في زيارات غير مجدية " (٩٩) .

وليت النساء يأخذن بما سجلته في عفوية كاملة وإن أشارت اليه اشارة خفيفة فانه ذو مغزى بعيد يجدد الحياة ، ويبعدها عن التكرارالممل ، إنه التغير في الذات والدار معاً " بقي أقل من الساعة يجب أن تهيئ نفسها لاستقبالهم .. وتوجهت إلى غرفتها لتغير ملابسها .. أخذت تصفف شعرها في محاولة لخلق تسريحة جديدة تفاجئهم بها .. المهم أن تحرص على التغير من حين لآخر في أي شيء نظام منزلها أو شكلها هي .. كي تستمر عملية تغذية المنزل بشحنات دافقه من الحياة والحيوية " (١٠٠) .

تلك فكرة لو أخذ بها ربات البيوت لأصبحت بيوتهن رياضا من الحب والأنس والوئام وقد نسجت تلك الأفكار في أسلوب قصصي رائع حيث نأت عن اسلوب السرد الممل وإنما وصفت وصفاً يأخذ بالألباب وتنقل فيه النفس كأنما تسير في نسيج من ربيع كثيف .

يقول أبو نواس :

وإني لطرف العين بالعين زاجـــر فقد كدت لايخفي عليّ ضمير(١٠١)

والعيون وما يدور في فلكها من الأسماء احتلت مساحات شاسعة من القصائد والدواوين الشعرية ، والكاتبة في قصتها (الزمن الأسطورة) تقر هذه الحقيقة " اليوم أصبحت النظرات بينهما سهاماً من نار تنفث كل ما يحمله قلب الواحد منها للآخر .. حيث لم تبق بينهما لغة للتعبير ، ولم يبق بينهما أي طريق للاتصال ، النظرات وحدها اليوم هي اللغة الوحيدة والأخيرة التي يحاولان بها مواصلة الحوار المقطوع .." (١٠٢) .

تلك النظرات خاتمة التواصل بين زوجين فهي تنبيء عن تزلزل الثقة وضياعها في شعب من سوء التفاهم ، فالمرأة قد نالت حظاً من التعليم وتتفاني في البذل والعطاء وفي المقابل تبتغي العرفان والوفاء غير أن البذور المكونه للتربية المبكرة كانت جذوة الخلاف ، زادها اشتعالاً تأثير التربية المستمرة إن جاز أن نسميها تربية للزوج الذي أسرف في شتات وقته وضياعه ، وأحب ذاته ينشد الكمال المادي لبيت الأسرة ، ولا يسخر نفسه لشيء من التحاب والتعاون والتفاهم ، وربما إن الإحساس بهوان المرأة ، واعتبارها خادمة داعب عقليته وعقلية صحبه فهم يرون أنه ليس من حق المرأة ان تطالب أو تسأل أو تناقش أو تثير جدلاً وإنما تسمع فتطيع ونفذ صبر الزوجة المتعلمة التي عالجت الوضع بعيداً عن العواطف وتم الطلاق بعد عشر سنوات وثلاثة أطفال .

والقصة ذات دلالة وإيحاء وإن اختلف مصدرها هنا فليست الكلمة ولا الجملة المباشرة أو التجاور أو تلاحم الألفاظ والعبارات هو مصدر الإيحاء وإن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان أسلوب الكاتبة لا يعدمه وإنما الإيحاء نبع من المعالجة للقضايا وكيفية التناول فالقصة رغم قصرها تطرح عدداً من القضايا ، منها تعليم المرأة وثمرته النضج العقلي والاتزان والتقصي الشمولي ، والصبر المتواصل واتخاذ القرار المتأني وبهذه الأوصاف تنفي عن بنات جنسها من المتعلمات التهمة التي تلصق بين آونة وآخري مثل الغطرسة والنظرة المتعالية وملاحقة البريق أين كان ، وعدم الاعتناء بالحياة الزوجية الذي يدعو الشاب إلى الزهد فيهن .

وعالجت الانحراف الفردي والانحراف في الثللية الشبابية الذي لا ينمي فكراً ولا يدفع إلى صلاح ، ولا يحل الجدل العقلاني حيث حلوا ، وإنما ديدنهم السخرية وحب الذات ، وربما يجد الشاب صعوبة بالغة في قيادة دفة الحياة الأسرية حينما تتجاذبه الأسرة ومجتمعة السالف مما جعل الكاتبة توحي بالمسؤولية الاجتماعية ، وإنهما متلازمتان ولا ريب في تأثير أحدهما على الآخر وليس هناك من معالجة إلا بالنظرة الشمولية لهما معاً .

وفي (عرض علي المسرح الآخر) تتبلور الكاتبة بمعالجة لم نعهدها في حكاياتها ، حيث تكلمت بلسان شخصية القصة وساحت في رحلة مجهولة عبر آفاق مجهولة من النفس البشرية ، واصطحبت وسائل الرحلة في محيطها ، وقد توجت القصة بحقيقة إنسانية عامة طالما أثقلت العقلاء فتقول :

" لكأني ولدت .. وولد معي شيء اسمه التخوف من الماضي والحذر من المستقبل" وإني أشارك القاصة هذا الهاجس ويشاركها غيري ، فالقليل من البشر هم أولئك الذين يعيشون اللحظة السعيدة ، ولا ينطلق بهم الخيال إلى ما بعدها ، فالكثير يدأب حثيثاً لنوال مطلب فلما يشخص ماثلاً أمامه تخزة أحداث المستقبل بأبرها ووخزها الموجع وسرعان ما تنقشع سحابة السعادة " كنت خرساء معك وفي داخلي براكين العالم ترجف وتثور .. ظل صراعاً شرساً ، طاحناً مزمناً .. وغرقت في أعماق الصراع القاتل ، وبين أن أكون أو لا أكون، وبفزع أكتشف دائماً أنني أفشل في أن أصالح أجزاء نفسي المتخاصمة

مع بعضها لملمت أشيائي داخل نفسي وعدت أدخل قوقعتي وأسلم قدري للرياح(١٠٣).

ولماذا كل هذه التربية التي لا تدع البوح يفضي بالحقيقة ، حتي الواقع الشائع يكون منه حياء حتي وإن كشف عن أخطاء ، أليس من الأفضل أن يكتشفها رب الأسرة ويقوم بتقويمها أفضل من التمادي والانكشاف أمام الآخرين ! إننا بلغنا من مرحلة الوعي بحيث لا يتردد الفتي أو الفتاة في مصارحة الآباء والأمهات مادام الهدف ساميا ، وفي غياب هذا فقدت البطلة عقلانيتها واتزانها فغلبت عليها الفكرة السوداوية ، وأصبحت الفكرة خاطرة والخاطرة هاجس والهاجس عملا وبهذا حكمت على نهاية القصة بفراق المتجاورين على القطار السريع " ربما تسلط علي تفكير قاهر .. أنك لا تمثل مصيري وإنني وإياك رفيقا قطار سريع ولا أدري متي سيتوقف ولكنني أعلم أنه سيقف فجأة ..(١٠٤).

والقاصة تشارك الإبداع العربي بقصتها (قطرة دم) فتقدم لها بلغة شاعرية " أبيض أبيض .. كل ما يحيط به أبيض ، البياض كسا كل ما حوله .. إنه لا يدرك سوي أنه يسبح في حوض أبيض تحيط به أجنحة بيضاء (١٠٥) ، (وقطرة دم) لا تقف عند رسم لوحة لمريض يسبح في بياض وحوله " وجوه تتجمع ثم تتفرق .. ونظرات خائفة ، ونظرات حانية .. وتمتمات .. ودعوات و .. وأمور كثيرة وهو لا يفهم ولا يستطيع أن يركز وهو .. ثم يعود في غيبوبة أخري(١٠٦) .

والقصة تتجاوز ذلك إلى الوعي الثقافي الذي يلمح من خلال القص وضروريته للكاتب والقاريء معاً لأنه يؤدي إلى التوعية الشعبية في القصص السيارة ، وتدعو الكاتبة دعوة ضمنية لا صريحة للتبرع بالدم ليكون في متناول الطبيب في حالة الطوارىء وهي تمس مساً خفيفاً حالة الغيبوبة للإنسان المستمريء حالة الجشع الذي لا يصحو من اندفاعه إلا في حالة الخطر يوم لا ينفع مال ولا بنون .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والكاتبة لما تتحدث عن معاني الحب ترتفع بها عن الجدل والمنطق والعقلانية ، وتجعله يهيمن على حركات ونبضات وسكنات بطلة القصة ، وتتجاهل كل نداء للعقل والتوجيه حتى من الأقرباء والأصدقاء المخلصين شأنها شأن عروة بن حزام ومجنون ليلى وجميل بثينة ، وهذه الخاصية تتكشف في قصة (أغتيال الفرح) و (الحوار الأخرس) غير أن الكاتبة تختم قصصها بالنتيجة الحتمية لمن يجري وراء سراب ،ويعرض عن العقلانية ويسلم زمامه لأهوائه وإن كانت شريفة لكن العقل لابد منه في كل لحظة لحياة الإنسان فهو وسيلة الإيمان والعمران

والقصتان مغامرة حب قدمت فيها القاصة تجربة نسائية ، والأدب العربي يزخر بالتجارب الشعورية لوجدان الرجال وقد فعلت القاصة خيراً إذ قدمت لنا تجارب النساء الوجدانية ، وبمحاذاة الاندفاع الوجداني الذي يستحوذ على الكيان في التجربة الوجدانية أرادت الكاتبة أن تطرح معادلة عادلة حيث جعلت بطلة قصة (التجربة) الفتاة الجادة العاملة المثقفة والتي تستشعر الحياة بوعي وواقعية فأرادت أن تنقل فتى الأحلام من حياة الخمول والكسل وضعف الإرادة إلى المثابرة والتفاني في العمل وطلب التحصيل ، غير أن محاولاتها باءت بالفشل فقالت له وداعا .

وقصتها (قهقة) و(المنطقة الوسطى) تمثلان شريحتين مختلفتين لتوجهات المجتمع نحو المرأة ، فالأولى تحصر الفتاة في حلقة تدار من الخارج ولا حول ولا قوة ولا إرادة ، فيتنامي البركان ويتعملق في الداخل ولا يعلم أهل القرية المجاورة ، وفجأة ينفجر البركان في حديقة جميلة من حيث لا يعلمون .

وأما (المنطقة الوسطى) فهي شريحة عريضة لها وشائج مع التكوين الثقافي والفكري المعاصر ، حيث تحكي التردد من الفتاة حتى بلغت العنوسة نتيجة للحرية الكاملة للفتاة التى لم توجه التوجيه السليم ، فتأثرت الفتاة بما تروجه وسائل الإعلام بأن الزواج يعارض التعليم ويقف حائلاً دونه ، وتعلن

الفتاة الشهادة أولا ولا نقول : التعليم ، وكأن الزوج فستان يحاك حسب المزاج في أي وقت وعلى أي كيفية ، وأمر آخر أدهى وأمر حرية الاختيار ، وفيها من الحيرة ما فيها من حرية الاختيار اللامتناهية وفلسفة الاختيار ، كما يقول المثل " إذا أردت أن تحيره خيره " هذا إذا أتيحت الفرصة لوضع الاشياء المختارة وتجريدها أمام الانظار ، ومثل هذه الأفكار دخيلة على المجتمع ، فما يسمى بفترة الخطبة والخروج غيرمقبولة اجتماعيا لمخالفتها للشرع ، ومن هنا نخرج بنتيجة أن الوافد طالب اليد لابد وأن يكون مجهولا أو شبه مجهول إلا من رؤية سريعة وأخبار خاطفة تصطدم بأحلام الفتاة الكثيرة والخيالية كما قالت الكاتبة :

" لكم تخوفت من الأطفال ومسؤولياتهم .. بل طالما تخوفت من الإقبال على الزواج .. كانت تعتقد أن الزواج في معادلة بسيطة واضحة يعني الانتقال من حياة منطلقة سعيدة إلى حياة لا يفارقها فيها إحساس ثقيل بالالتزام نحو كثيرين .. ولهذا حاولت أن تعد نفسها للبذل في سبيل تذليل أي طارىء لكن الأمور جرت بطريقة مغايرة تماما إنما هي دون تنازلات وسهولة وعفوية . على نحو عكسي تماما لمعادلتها القديمة " (١٠٧)

لذا فالفتاة تزداد حريتها ولا تريد الإقدام إلا أن ترى حقيقة ما يثبت تحقيق أحلامها وهذا مستحيل لذا فإن المقياس الذي ينبغي أن يتبع قول الرسول صلى الله عليه وسلم " إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه "(١٠٨)

والأمر الثاني ممارسة الأب أو الولي حقه الشرعي حيث الهيمنة الفكرية وتحليل الأمور على حقيقتها ، ولا إخالها إلا أنها كفيلة بأن تحل محل الإكراه وتزيل ضبابية الحيرة والتردد .

البعد الزماني :

القصة تنتظم الأحوال المعاصرة التي تكاثف فيما يقارب عشرين سنة سلفت، وليس لنا دليل على مساحتها الزمنية إلا من تاريخ طباعتها عام ١٤٠٢هـ -

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٩٨٢م فالقصص كتبت فيما يقارب عشر سنوات خلت أو أقل ، ثم إن الأحداث مستمدة من الحياة الواقعية لهذه المرحلة الزمنية فهي تفيض ، بصداها ، ولم تلجأ إلى الحكايات التاريخية أو الأسطورية بل هي رسمت لوحات أجتماعية مستمدة من الشرائح المتقاربة والتي تتحلق القاصة بمحيطها . والقاصة تحدد الفترة الزمنية فتذكر أن مدة السجن خمسة عشر عاماً ، وتشير إلى بداية الفرح " وكان ذلك منذ عام يوم أقام الفرح مهرجانه المدهش بأضلعي .. وزرعني زهرة مشرقة في مدائن الحب ، وحدائق السعادة والبهجة " (١٠٩) .

والوعي بالزمن دليل على وعي الكاتبة بالوقت وحرصها على الوعي به أيضاً وأن الزمن ثروة يجب أن لا نفرط فيها في جميع مناحي الحياة فهو ميدان العمل والعمران واستثمار العمر .

والقاصة تضع عنواناً لقصة من مجموعتها (الزمن الأسطورة) وهي تعد الليالي والأيام والسنوات في مسيرة الحياة الزاخرة بالمعاناة " وهو لم يتغير .. عشر سنوات لم يتغير فيها .. لم يحس بها .. سحق شخصيتها .. دمر استقلالها الذاتي .. لم يتغير .. بل .. ويا للمهزلة يطالب أكثر وأكثر .. وأكثر"(١١٠) .

وأشك في الصراع هل هو مسايرة لطلب التحرر ؟أم هو واقع من مخالفة الدين والمجتمع ؟ لم تفصح عن ماهية الاستقلال الذاتي ؟! وربما إن الزمن يحدد أن الكاتبة انجرفت وراء المطالبة بحرية شأن الداعيات في ذلك الجيل بدافع مجاورة المعاصرة .

وهي تفلسف النظرة إلى الزمن فتقول : " أنه الزمن .. ولكن الانتظار يسلب الإنسان وقته شيئاً فشيئاً .. و..حتى كرامته "(١١١) .

والزمن لا يتمخض عن نتائج إلا بالأعمال والأحداث والإرادة ، أما زمن الانتظار فإن له أثقاله وتوتره المؤثر لاسيما ونحن ننظر إلى انتظار الفتاة في مرحلة العنوسة والمنتظر ربما يكون من نسيج الخيال .

البعـد المكـانـــي :

القاصة تجاوزت المكان إلى المكان إلى فضاء واسع يشمل مساحة المملكة العربية السعودية ،وهي لم تحدده بصراحة غيرأننا نلمسه من انتماء الأحداث التي تبلور الواقع الاجتماعي لأبناء الجزيرة المعاصرين ، وواقع المرأة الأم ، والعانس (قهقة) ، (اغتيال الفرح) ، (والصابرة) ، وربما نجد لها عذرا أو لنقل هدفا تخفي وراءه تحديد الأماكن وتسميتها من مدن وقرى وأقاليم ، فهي تريد الشمولية ، تريد أن ينتظم المجتمع في مدينة فاضلة في وطن واحد بلا إقليمية ولا قروية ، وهي تتواصل من بداية النهضة التي أوجدت التعاضد بين أقاليم المملكة العربية السعودية ، فحيث ما ولى الإنسان وجهه وجد التواصل ، ونجد أن بناء المدن أسهمت فيه الأيدي من كل قرية ومدينة وأقليم من أقصاها إلى أقصاها ، ووجود التمازج والتجاور أبعد الوحشة والغربة عن الفرد فأخذ ينطلق في كل إتجاه ، والتلاحم بين أبناء الوطن يؤدي إلى جودة العمل والتنافس فيه ، والتهجين الفكري والسلوكي ، أو التأثير والتأثر كما في مصطلح النقاد .

شخصيات المجمـوعـة :

يغلب عليها التأثر ببناء الأقصوصة التي تلجأ إلى لحظة زمنية محدودة في مكان محصور ، فهي لا تسرد حياة متكاملة وتختزلها ، وإنما تلتقط نبضات شعورية ، من هنا فإن الشخصيات غير متطورة لكنها تشعر بتلك اللحظة ، ولما تمارس عملية مواصلة الأحداث فالقاريء يلمح مواكبة الشخصية لها كقصتها الأولى في الشخصية المنحرفة التي لم تستطيع البقاء بين الأسرة والأقارب وأصبح في غربته المتأثرة بالسجن .

وأعرضت القاصة عن تسمية شخصياتها أحياناً لأن الأسماء لا تعني في نظرها شيئاً فالحدث أولا ، وطرح القضية الهاجس الذي يعتمل في نفس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكاتبة، ولأن الحكاية لمحة خاطفة ، ولأن الحوار يندر في القصص الأمر الذي لا يدعو إلى جلب الأسماء وحشدها ؛ ومع ذلك فهي تشيرأحيانا إلى الأسماء كما في قصتها (الوهم) فبطلها الأستاذ عبد الله ،وتختار أسماء الشخصيات من الأسماء الدارجة في البيئة مثل سعاد ، ماجد ، هند تلك أسماء شخصيات قصتها (الزحف الابيض) .

وهي غالباً ما تشير إلى الاهتزازات النفسية العنيفة التي تطرأ على الشخصيات كاضطراب الشعور الذي اعترى تلك المرأة عندما فاجأها رؤية الشيب " وببطء مرتجف .. مدت يدها إلى .. حيث الخوف مجسما .. ببطء .. حاولت أن تتأكد .. لكنها سحبتها سريعا .. إنها تخشى الحقيقة ... تخشى المواجهة .. إن مستقبلها كله يكاد ينهار فوق رأسها .. في هذه اللحظة .. كلا .. إنها ليست .. يجب أن تتخلص من هذه الأوهام المزعجة .. إن هذ ليس إلا .. ومزق توتر أفكارها .. صوت جرس الباب .. لقد عادوا .. وبيد مرتجفة رتبت شعرها .. ونهضت متثاقلة نحو الباب لتستقبلهم ..

وسحابة الألم تكذب ابتسامتها الباهتة .. " (١١٢) .

بناء القصة :

دأب بعض كتاب القصص على مواجهة القاريء بزخم من التوتر النفسي يوميء إلى اضطرابات نفسية كنتيجة ضمنية لحدث الحكاية ، ومنهم من يعلن في صراحة الخاتمة ثم ينطلق من التفصيل وقدلجأت القاصة لطيفة إلى هذين الأسلوبين وغيرهما في قصصها فقد استهلت قصتها الأولى بذكر النتيجة للحكاية حيث أنتظرها الذي يخرج من السجن :

" الغد هذا اليوم الموعود .. يوم يؤذن بولادة جديدة .. يوم جاء بعد سنوات ثقيلة .. خمسة عشر عاما .. بلياليها وأيامها ودقاتقها ومللها ويأسها .. و .. بكل شيء سينتهي مع آخر خيط من خيوط ليل هذا اليوم وسيبدأ الغد مع حركات يد السجان تفتح الباب " (١١٣)

ثم تستمر بعد ذلك في قصة المنحرف ، وبقائه في السجن ، وهروبه من أهله .

ويطالعنا في هذا المقطع علامة الترقيم ، فقد أكثرت من النقطتين اللتين وظفهما كتاب الأقصوصة للتعبير عن فراغات يستدعيها المتلقي ولا يحتمل حيزها قصة قصيرة ، وأغلب تلك الفراغات والفضاءات عند القاصة غير موحية بل الجمل متواصلة ولا نلتمس مدلولاً لها إلا في مثل قولها المكرر "... كل شيء .. " وهذا شأنها في أغلب مجموعاتها ومن الفراغات التي تدعو إلى استحضار المعاني قولها في صراع المرأة النفسي لما لمع لها الشيب " إنها تخشي الحقيقة .. تخشي المواجهة .. إن مستقبلها كله يكاد ينهار فوق رأسها ..في هذه اللحظة ..كلا .. إنها ليست ..يجب أن تتخلص من هذه الأوهام المزعجة ..إن هذه ليس إلا "(١١٤).

فالقاريء يستدعي التقدم في العمر ، ويستدعي شعور المرأة بوطأة الشيب، وإخفاء العمر فهي لا تصدق فيه إلا نادراً ، ولذا فأنها لم تعلله في مقطعة الأخير وتركت التعليل للقاريء كأن يكون مرضاً في جذور الشعر أو نتيجة للمساحيق الكيمياوية ، أو عامل وراثه وغير ذلك .

وهي تحذف حرف العطف أحياناً ، وتستعيض عنها بالنقطتين " ومرت الساعات .. التاسعة .. العاشرة .. الثانية عشرة .. " (١١٥).

والحذف هنا يشكل العامل النفسي الداخلي في عملية الانتظار واستعجال الزمن .

وإن درجت مجموعة القاصة في مضامين جديدة إلا أن مضمون قصتها (بكاء في حلقي) أمر يبكي المتلقي الملتزم فهي تصور المغامرات الثأرية بين الزوجين في سلوكيات لا يقرها الدين والعقل الملتزم وتفتك بالضمير ، وجسدتها في رحلة رمزية قريبة من الانطلاقة " منذ وصلت إلى هذه المدينة .. ونوافذ غرفتي مفتوحه دائماً .. دائماً .. حتي الباب بت لا أغلقه قط لم أعد أخشى شيئاً .. فقط أريد الهواء .. أريده دائماً .. متجدداً دائماً حراً دائماً " (١١٦)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والقضية تمثل شريحة صغيرة من المجتمع تتفكك من الوازع الديني والسلوكيات والأخلاق فتنطلق باسم الحرية واي حرية إنما هو تحلل من العقل والدين والسلوكيات المستقيمة الملتزمة .

ولكن يشفع للقاصة انها ختمت بما يوحي بمعارضتها لهذا المضمون الذي لا يرتضيه المسلم فقد حاورت زوجها الذي حاولت أن تثنيه في جدلية عقلية وتوحي له أن المرأة تتأثر بسلوكيات زوجها بعد الاقتران :

" وهذا لا يحتمل .. هذا لا يطاق .. الذى تفعلينه خارج حدود المعقول وأشتعل الغضب والألم .. وفاض بي :

– عادل .. حتى أنت ؟ قل لي : ماهو العقل .. أي عقل تطلب مني مسايرته .. أي عقل تتبعه أنت .. جسده لي .. ثق أنني سأتبعه .. ولكنني لا أفهمك .. لا أفهم شيئاً " ...

ذهلت ..

خيبة مريرة اندلقت داخلي ..أغرقت لحظاتي .. حطمت أملي فيه .. دمرت العالم .. بكاء .. بكاء في حلقي .. صرخات تدوي في أعماقي .. الأشياء حولي تحاصرني تكبس علي .. أحسني .. أختنق .. أختنق .. أختنق "(١١٧)

وبنظر شمولية لمجموعة (الزحف الأبيض) نجد الكاتبة تجلي الصورة كاملة للفكرة وتحفرها في مخيلة المتأمل ، وتترك شعوراً بالرضي التام لسمو الفكرة، وواقعية الحدث الذي خلقته خلقاً ، أو لنقل استبينته استبياناً سليماً من واقع المجتمع وعلى كلا الوجهين لم تدون أى كلمة أو عبارة إلا وترى أنها تؤدي وظيفتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ومثل هذا القصص يدفع إلى الفضيلة والحق وينأى عن السقوط ويرتفع بالذوق ، ومن هنا يتبين لنا أهمية القصص الفنية والاجتماعية وأنها قامت بمعالجة عدد من الشرائح الاجتماعية

أسلوب القصص :

ولغة القص هي اللغة العربية الفصحي ذات الأسلوب التقريري السردي ، وحبذت الوضوح والكشف والإضاءات النفسية التي تنشد الحقيقة من وراء سردها فيتفاعل معها القاريء ما عدا لمحات قليلة سرعان ما تنكشف حيث وظفت الرمز احيانا كما أشرت سابقا .

والقاصة استخدمت علامات الترقيم استخداما واسعا ، ويمتاز اسلوبها بالأصالة والتقرير الهادئ المطاوع الذي أخفي أثر الجهد والتكلف فهو من الوضوح بحيث لا يخفى على القاعدة الشعبية ، أما الإيحاء فإنه ينأى عن التكلف ويطفو على السطح مع سريان دفقات فياضة منه ، كالإيحاء بالتيه في سيرة الشاب والتعبير بالموت عن الضياع والتشريد ،وكذلك الإيحاء بحال المعشوقة في قصة (الوهم) الذي ظل الواهم يخلص لها خمسة عشرة سنة فلمارآها مكتنزة لحماً ، مربية أولاداً ، معرضة عن الأوهام اعتبر وأدرك أنه الواهم ذاته وأن شخصيته المتزنة أمام الناس هي الوهم بذاته .

والقصص في مجموعها تجربة نسائية متكاملة ذاتها ، وتجربة للشخصيات النسائية في القصص ، ولم يندر عنها إلا القصة الأولى وهم (الوهم) ، (قطرة دم) .

والكاتبة تتحدث بلسان المتكلم وأحيانا بلسان الغائب ، وهي أكثر تألقا لما تتقمص الشخصية وتتحدث في عفوية فتلقي بظلالها الشعورية على الحدث والتحليل النفسي فهي أميل لأسلوب التقريرية أكثر من السردية ..

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ترنيمة الرجل المطارد (١١٨)

القاص حسين بن على حسين ولد في المدينة المنورة عام ١٣٦٩هـ . وحصل على الثانوية العامة ودبلوم المساحة والتحق بالصحافة السعودية فكتب في عكاظ والبلاد والندوة والمدينة والجزيرة والرياض وأغلب المجلات السعودية ، و(الرحيل) مجموعته القصصية الأولى حيث صدرت عام ١٣٨٨هـ وهي باكورة نتاجه وصدور مؤلف قصصى مطبوع في هذه الفترة يدل دلالة واضحة على ممارسته للكتابة في مقتبل العمر .

والمرحلة الثانية من أعماله الإبداعية تتمثل في مجموعته القصصية ذات العنوان (ترنيمة الرجل المطارد) وتتكون من اثنتي عشرة قصة قصيرة .

واستهل مجموعته بقصة (الأرض والمرتبة) ذات الأنتماء الاجتماعي ، فتحكي التوافق والاتحاد بين الإنسان وتربة الوطن بعامة ، والحقل الزراعي بخاصة ، ويجسد الجهد الإنساني البدائي الزراعي الذي لا يثمر ولا يؤدي إلى العطاء من الأرض فيذبل المزارع وتذبل أشجاره معه .

وقد ابتدأ قصته بعرض لقمة الشعور بالمأساة فيقول : " شعر بصداع حاد كمدية ، كل ما في الغرفة الصغيرة أحس به يدور حوله ، مقاومته أخذت تنهار، كل ما عليه من ملابس بسيطة ليست عليه فجأة وجد نفسه عارياً "

" .. في لحظة واحدة صار لا يميز شيئا مما يجري حوله على الإطلاق إنه أعزل ماضيه وحاضرة يندلقان أمامه " (١١٩) .

ومن أقصي حالات الانفعال يتراجع ليدلنا على الدوافع لهذه الحالة فهو يخشي السجن ومقابلة رجال الأمن ، ولو أنه تدرج في تنامي الحدث وتأثيره على الحالة النفسية حتي أثر على الأعضاء النفسية لكان أقرب إلى الواقعية ، والقاص يقحم وصف حجرته وأثاثها وأوعية الشاي والقهوة إقحاماً .

وفى وصف تقريري يستدعي كثيرا من الأحداث التي تحاصر بطل القصة وتزيد من كربه وسوء حالته فالى جانب ما حكاه عن قدومه الي السجن وقلة

ذات اليد وللديون المادية التي عجز عن سدادها ، فهذا والده يرقد فاقد النطق أحياناً ينطق بكلمات قليلة مليئة بالإعياء وكأنه سيودع دنياه اللحظة ولكن مباشرة ينتقل إلى وصف المرتبة التي ينام عليها " عتيقة ومشققة الأطراف " وهنا تكون الفجوة وتتكرر للمرة الثانية ففي المقطع الأول يبين هول الصدمة مع واقعه ويصف حجرته والآن يصف والدة واحتضاره وينتقل انتقالاً متواصلاً ليصف المرتبة والواقع أن احتضار الوالد وصدمة رؤياه تسحب ظلالها على الموقف بحيث تحجب الرؤية عن غيرها ، الأمر الذي يجعلنا نري أن التفاعل الوجداني وقوة التأثير اضمحلت من النص لأن القاص وضع نفسه أو الشخصية كوضع آلة التصوير التي تنقل الحدث كما هو وأغفل وظيفة القاص ، وهذا أيضا أفقد المنطقية الواقعية والخيالية التي تدعو القاريء إلى التواصل مع الحدث وإعراض القاص عن التحليل النفسي للابن وعدم تفاعله مع مرض والده وشعوره بالمعاناة أحدث فجوة في القصة ، وليس إعراضه عن حدث الوفاة بأقل من ذلك .

والقصة الثانية ضمن هذه المجموعة هي (النخلة) وأبطال هذه القصة من الحيوان (الضفدع) والتي أوحى الكاتب من خلالها بأهمية النخلة وأنها بمنزلة الأم ، وهذا ينبيء عن أهمية النخل لأهل الجزيرة وليس عن منطقية الحدث للقاص فإن براهينه واهية حينما جعل النخلة كالأم للضفدع ، ومع أن القصص العربي تناول الأحداث بواسطة أبطال من الحيوان للعبرة والعظة إلا إني لم ألتمس ما ترمز اليه القصة الثانية الحيوانية غير أنها تنضوي تحت المعالجة الاجتماعية وعملية التلاحم بين الإنسان والحيوان والنبات " كانت النخلة ساهرة تشعر بأن كل من في الحقل ابن لها ، يلتحم بكل ما في الحقل ، الورود، الفراشات ، الليمون حتي اشجار النعناع ..." (١٢٠)

القصة الثالثة (الطين الغروي) تحكي أحلام فتاة قروية فلاحة وإن غاية مناها ومنتهي أملها الارتباط بالزوج لتعطي كما تعطي الأرض ، ولكن القاص يتناول الحياة الريفية ويبرزها لنا فيصور الفتاة في أرضها وأقدامها تغوص في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الوحل حتي تختفي أصوات الخلخال شأنها كل نهار ، أما ليلاً فتفيء إلى حجرة رثة الأثاث ذات إضاءة خافته ، والقاص يلمح إلى جانب من الرمز شاع وذاع في القصص المعاصرة وهو رمزية المرأة للوطن لأن كل منهما منتج أصل في الإنتاج ، ورغم أن القصة تمثل الطريقة الشعبية إلا أن القاص يجعل الفصحي لغته غير أنه يدخل بعض الكلمات العامية مثل تتجوز ، ولا أميل لمثل هذا الاستخدام لأن الكلمة لا توحي بأكثر مما توحيه كلمة تتزوج .

وفي حكاية (الجرذ) القصة الرابعة يصف البطل الخشرمي بأنه " أخذ يتنفس بقوة بطريقة توحي برضاه التام على كل ما يجري حوله (١٢٠) وهل التنفس بقوة من معالم الرضا أو دلائله ؟ !!

ويقول أما لوأردت إرضاء فضولك بالنظر إلى معاملات الآخرين فسوف يقال عنك حالاً بأنك جاسوس ، وحينئذ فإنك ستجد نفسك أمام قضية لا حل لها إلا السجن " (١٢١) ما تلك المبالغة والتهويل والفجوة الكبرى بين الخطأ والحكم ، والأفضل أن يسمى متطفلاً وقد جانب الكاتب الصواب والواقعية حينما زهد بطل القصة بإنسانيته وعقليته ووظيفته في الدنيا التي تقوم على العمل والبناء وتمنى لو أن حياته مثل الجرذ المطارد .

وفي هذه القصة يسجل المؤلف قدرته على تجسيد الأعمال ونقده لعدم التنظيم في الإدارات والأماكن العامة معاً .

وينهج القاص حسين بن علي في قصصه (ترنيمة الرجل المطارد) منهجاً مغايراً حيث يتحدث بضمير المتكلم وبذا تنفرد القصة عن غيرها من قصص المجموعة ، واختيار ضمير المتكلم له دلالة كبيرة فهو يوحي أن الحدث واقعي ومعاصر فإن لم تكن القصة سيرة ذاتية فهي شبيهة بها لأن المكان والزمان يتضحان في مرحلة تقرب من عمر المؤلف فهي حصاد مشاهدته لأنها تتمثل في حرارة الشمس التي يزداد وهجها في مدننا الصحراوية حيث تطل الشمس بكامل أشعتها ، فيلجأ الناس إلى المنتديات الشعبية (القهوة) ويرسمها حيث الشيشة ذات العنق الطويل ، ومجرى الهواء الممتد من واقع

الأماكن الشعبية التي يشاهدها من يسير على الأرضية المتهالكة والدروب ذات المستنقعات التي تزداد بعد نزول المطر ولا سيما في مرحلة التطور الأخير ، وقبل أن ترصف الطرقات ويوضع عليها القار .

والقاص يحشد كل ما يراه ويزيد الأمر هالة ، فلم يتوقف عند المستنقعات فحسب بل أخذ يصور الدروب وما يضايق الناس فيها من خطر الكلاب والقطط والحشرات التي تتكاثر من جراء عدم النظافة ، ورمي النفايات نتيجة لعدم الوعي.

إذاً فالمطارد ذلك الرجل الذي تعرض للمشاكل في دروب المدينة المجهولة ومن خلال المشاكل التي ألمت به يعرض للقضايا التي يرغب أن يطرحها أمام الرأي العام .

والقصة تبتعد عن الذاتية في أهدافها ، وتنحسر الشخصية لتتجسم الظواهر الاجتماعية في المدن في بداية النهضة ، لأن إضاءة الطرقات (بالأتاريك) وكونها خالية من القار مرحلة زمنية ربما أدركها القاص في طفولته ونتيجة لهذا الطرح الذكي فإن القصة جديرة بأن تكون عنواناً للمجموعة فقد استطاع المؤلف أن يحصر مكان القصة في الطرقات فحسب ومرحلة زمنية معينة ، وقد أبان عن معاناة عابري الطرق والأخطار المحدقة بهم بل بالحراس أيضاً بدون صخب أو إظهار نداء .

وفي قصته (الخاتم) يكشف عن حالة العازب التي يعتريها الإهمال ، وعدم التنظيم الناجم عن شعور داخلي مملوء بالفراغ والضياع ، غير أني أعتقد أن القاص أهمل ما يجب إثباته ، بل الحديث عنه في حينه الجدير به عن واقعية شاخصة وليس عن طريق تأويله أو إقتحامه ، فقد أشار القاص إلى البطل وهو يذهب إلى الحمام ويباشر بحلق ذقنه ويتأمل وجهه اليس من الأجدر أن يومئ ولو بإشارة عابرة إلى الصلاة التي تمثل الواقعية أكثر من التأملات الذاتية للجمال والقبح التي لا يتوقع تداعيها للفكر في مثل هذا الزمن .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والقصة تحكي واقع شاب أرغم علي الزواج من ، أسرة وأمرأة لا يرغب فيهما وهو نادر فى المجتمع لأن الرجل له إرداته أكثر من الفتيات وإن وجد فقد انحسر مع الوعي الاجتماعي المعاصر . وقصة (الوصول) تحكي حيرة المسافر الذي أراد أن يتعرف على مدينة كبيرة ولكن جهلة بكيفية التعامل والمعالم أوقعه في حيرة من أمره وظل على الرصيف حتي غادر المدينة يائساً، وقد ضاقت به وضاق بالأجواء الصاخبة والقصة تعمد على التقرير والوصف المباشر .

وقصة (البيت) من القصص الاجتماعي الواقعي الذى شعر به كل مواطن في مرحلة زمنية محدودة عندما بدأت التنمية العاجلة والبناء الوطني الذى استدعى استدعاء العمالة والخبرات والعقول الهندسية وتنامي الطلب على العقار وارتفعت الأجرة وصدر الأمر بعدم إخراج المستأجر إلا بعذر شرعي وهذا صاحب البيت يدلي بالعذر وقد " طرق الباب قبل أيام وكان على قاعدته يقف بكل إباء هاهو إذن صاحب البيت قال لي : إنه سوف يزوج ابنته ويريد البيت لها وهل أخرج أنا لتتزوج ابنتك فيه ؟ ما ذنبي أنا ؟ قال : وما ذنب ابنتي ، هل تتزوج في الشارع وبيت أبيها يسكنه رجل غريب .. شهر يدفع وشهور يماطل أفحمني الرجل ولم أجد بداً من إمهاله حتي أبحث عن سكن جديد ها أنا الآن أمد خطواتي من رصيف إلى رصيف أحدق بتشوق إلى العمائر الجديدة إلى المكاتب العقارية إلى النار التي تقفز من جوفها حتي أنني شعرت وكأنها تريد التهامي ... وتساءلت بصدق أما لهذا الطريق من نهاية (١٢٣).

وهذه القصة في المجموعة التي يتحدث فيها القاص بضمير المتكلم والتي استطاع أن يدعونا للمتابعة ومعرفة النتيجة ويدفعنا حول القضية التي يعالجها في القصة .

وقصة (القنينة) تحكي الوعي الاجتماعي الذى نستلهمه من أفكار الناس لرمي القنينة في الطريق العام غير أن القاص كان غير واقعي إذ أدى غضب

المارة إلى موته وربما قصد القاص إن يوضح عدم الوعي في المجتمع حيث إن من يجب أن ينال جزاء محدودا لا يجب أن يؤدي بنا الغضب إلى الفتك به .

وفي (الثعبان) ينفي أى هدف لشخصية بطل القصة إلا أنه يستمتع بتغريد العصافير وهل هذا الهدف ؟! والقصة تقوم على الوصف المباشر الذي لم يوفق في إجادته والاتيان بالألفاظ والعبارات التي تصوره فهو يمد يده في الأحراش والأحراش أشجار كبيرة لا فائدة في تجوال اليد بينها ثم هو يتجسس شيئاً ما ويعقبه بأن الشمس والعة تتوسط كبد السماء ،وقد عذرت المؤلف فى بداية الأمر لأني توقعت أن البطل كفيف البصر غير أنه يقول عنه :

" لعل سرباً جديداً من العصافير يطل على الحديقة ليتسلى برؤيتها " ويقول:

" واخذت عيناه تنتقلان عبر الحشائش "

ويختم قصصة (بزائر المدينة) والتي يصف فيها المقاهي الشعبية والنزول فيها ليلا والخوف على الحذاء والأجر الزهيد وخلال زيارته يعرج على البطحاء المشهورة في العاصمة الرياض والتي تعم فيها الحركة التجارية والقاص يفتعل الأحداث إلى أهدافه أفتعالاً واضحاً مكشوفاً لأنه غريب ويبحث عن أخيه ومع ذلك لم يصف لنا حالته ولا أثر الوفاة في نفسه وإنما أطنب في وصف مشاهدته أثناء رحلته .

ومجموعة (ترنيمة الرجل المطارد) المرحلة الثانية الفعلية من إبداع المؤلف وهي نتاج فني يتناسب مع العمر الفني للكاتب فهي في مرحلة مبكرة من حياته وإنما صقلت مواهبة الكتابة الصحفية والتحرير فيها مما ساعده على تنامي التفكير والابداع ، ولا ريب بأن القاص يحمل المواهب والاستعداد والقدرات على مواصلة العطاء في القصة .

والكاتب حسين لم يستشعر الغبن والقهر من طبقات عليا فالمجتمع في تلك المرحلة يقترب في معاشه ومسالك حياته صحيح ليس هناك تقدم حضاري مما جعل الكاتب يستشعر مناحي هذا النقص لمعالم التخلف في المدن والمجتمع والأحياء والطرقات فاستحوذ هذا على فكره ، ووظف عناصر الضعف تلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقصصه فهو يندفع اليها وطنياً شأن كل مواطن غيور غير أن الفنان أكثر تأثر وأقدر على تجسيد ذلك وتصويره في فنه .

ولكن ذلك يمثل نظرة عامة وليست معاناة خاصة فان اندفاعه عقلي لا عاطفي فالتجربة الشعورية تخضع للتأمل والتبصر لا للانفعال والاضطراب .

وفي هذه المجموعة يميل إلى الوصف التقريري لأحداث مشاهدة وبارزة ، وكأنها سجل لمرحلة زمنية ومكانية ، وتضمحل فيها المعالجة الاجتماعية الهادفة وتجنح إلى السطحية وطرح القضية فحسب إن كان هناك قضايا ذات جدوي وربما أثر اختياره لهذه القضايا التي لم يندفع لها إلى إخفاقه في تحليله النفساني الذي أتخذه منهجاً لاغلب قصصه حيث يبادر في مقدمته إلى تشخيص الذهول والشرود والأرق والإرهاق التي تنتاب بطل القصة ، ثم يبدأ في تفسيره وتحليل الحالة ولكننا لا نعدم صدق التصوير الواقعي كمثل وصفه الرعب وفى هول المفاجأة من رؤية الثعبان " استكمل شجاعته ومد يده بقوة ورفع كومة الحشائش دفعة ً واحدة ليجد نفسه مباشرة أمام الثعبان ، أقشعر بدنه تماماً تملكه الرعب ، أطرافه بدأت ترتعش لكنه تماسك نهض سريعا ولأول مرة في حياته يفقد الاتجاهات لا يدري من أين إلى أين يتجه أحس أن كافة الطرق مسدودة (١٢٤)

والقاص يبتعد عن التجاوزات الدينية ، فالقاص حريص والحرص نابع من بيئته وواقعه الاجتماعي الذي لا يرتضي الوصف الغزلي المكشوف غير أننا نفتقد الاعتقاد والإيمان الموجهين لأبطال القصة في اثناء تعاملهم أو تأملاتهم أو معالجتهم للقضايا .

ولغة حسين بن علي في قصصه تميل إلى الفصحى ، غير أنه لا يتحرج من استخدام بعض الألفاظ من اللهجات الشعبية العامية ، واستخدامه لم نجد له مبرراً لأنه لم يدخل في حكاية محكية أو حوار من العامة ، والكلمات والعبارات تفتقد التأثير والإيحاء في أغلبها ، ولعل من أسباب ذلك كون القاص يتحدث بلسان الغائب ويظل يروي عنه ، ولو تحدث بلسان البطل وتقمص

شخصيته فإن لغته تتدفق بالشعور الداخلي كما رأينا جدوي ذلك في قصتيه (ترنيمة الرجل المطار) و(البيت) .

والمجموعة القصصية تنطوي تحت عدد من الخصائص التي تضم شتاتها :

١- معالجة قضايا اجتماعية تنحصر في ارتباط الإنسان بالأرض في ثلاث قصص منها ، وأما بقية القصص فإنها تصور المدن وطرقاتها ، وطرح بعض مشاكلها رغبة فى معالجتها .

٢- تشترك المجموعة في كونها تدور في حلقة المحلية وأن أختلفت اماكنها

٣- تشترك القصص في نهج واحد سار عليه رغم سعة المساحة للقاص فهو ينطلق بحكاية التوتر والإحساس بأثرها وتفاعل البطل مع الحدث ثم ينطلق في تفسيرها وتحليلها وسر أسبابها ومسبباتها .

٤- المجموعة القصصة كلها تحترم المبادئ الإسلامية والقيم والمثل الاجتماعية .

٥ - تنأى عن تسخير عنصر الجنس وجعله وسيلة من وسائل التشويق وذلك لأن القصص نابع من المجتمع الذى لا يبيح الأنزلاق في الانحرافات .

٦- ليس للبطل في القصص شخصية فاعلة ولا في تكوين الأحداث وتراكمها، إنما هو وسيلة لطرح القضايا التي يهدف إليها في قصصه ، ولذا فإن البطل من النوع الذي ينأى عن التعقيد ويتصف بقرب المأخذ .

٧- قد استطاع القاص أن يحقق ما يسمي بوحدة الأثر أو الانطباع في قصصه القصيرة عن طريق حشده للآحداث التي تعترض بطل القصة من تأملات أو مضايقات يحس بها أو أحداث تدفعه إلى سلوك بذاته ولكن ليس بأسلوب سردي متنام عضوي محكم البناء ولكن عن طريق تصوير الجزئيات التي تشع من اهتماماته ، فمثلاً يعطينا صورة جلية عن المزارع الفقيرة بواسطة صعوبة استخراج الماء ومرض والده وجلب الشرطه له ، وكذلك فإنه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبان عن جوانب كثيرة لمدينة الرياض اثناء تعرضه لبعض الأحداث حينما أخذ يطوف بها بحثاً عن أخيه الذى عثر عليه متوفيا ، إذاً فقصصة نلتمس فيها - ولا أستثني منها شيئاً - انطباعاً جمع شتات الأقصوصة والحكاية وإن أختلف ترتيب أحداثها وترابطها ، وهذا حق من حقوق مبدع القصة القصيرة .

أن تبحر نحو الأبعاد (١٢٥)

الدكتورة خيرية السقاف كاتبة قصصية ، وأستاذة جامعية ، لها مشاركات كثيرة في الصحف ، أرادت أن تلج في أعماق المجتمع بمجموعتها القصصية (أن تبحر نحو الأبعاد) ، وشرائح المجتمع متعددة وذات وشائج متواصلة ، وقد انتقت أقربها إلى فطرتها وطبيعتها والأكثر التصاقاً بواقعها ، تلك القضايا التي لها علاقة بالمرأة ، ولعلها لاتدعو إلى التمرد على الواقع أو المجتمع ، وإنما تهدف إلى رتق الشروخ التي تتصدع في البنية الاجتماعية المتلاحمة في بيئتنا ، وما دام أنها تبلور واقعاً لمعالجة واقعية " فإن هذه اللوحات بين اليدين ما هي إلا نقل مباشر استعضت فيها بدل الحركة الحية على أرض الواقع الملموس ، المفردةالجامدة تخاطب التصور والفكر ؟!

أضفيت عليها الحس ... لأنني أحس ، وأنت مصدر أحساسي أيها الانسان(١٢٦)

والمجموعة تضم ثماني عشرة قصة معظمها تدور حول المرأة ، وبعضها متعدد القراءة مثل (صانعة الشاي) و (بيت عصري) و (الفواصل والجسور) و (الثانية والحقيقة) ومنها ما يعالج قضايا جزئية في المجتمع مثل (لحظات من عمر يتأكل) و (على الرصيف) و (قطعة الفحم وقطعة النقود) و (البئر المهجورة) .

وبعد قراءة منهجية متأنية رأيت أن أدرس المجموعة من الجوانب التالية :

١- المرأة .
٢- البعد الاجتماعي .
٣- البعد الزمني .
٤- التركيبة الفنية .
٥- شخصيات القصص .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المرأة :

المرأة في مجتمعنا المعاصر تتقاذف بها الأمواج الفكرية من كل حدب وصوب ، فهي أمام عقيدة راسخة تتأصل في مجتمعها الذي يضعها في مقدمة قائمة الأسس الاجتماعية ، وتتمحور في دائرتها الأعمال والأقوال ، الأمر الذي يزرع الروح الإيمانية ويعمل لتغذية الروح بالتربية التعليمية التي تهيمن عليها الروح الأسلامية ، وهى مع ذلك عرضة للتيار العالمي الجارف ، الذي يقذف بالمرأة في أتون الواقع الأليم الذي يزحزحها إلى الانفراد والوحدة وعزلها عن التفاعل وبذر الحب ومراحل التعاون الطفولي والشبابي والكهولي والشيخوخة فتحرم العاطفة والحب المتجذر للأسرة ، وتحرم التوجيه ، ويغرس الإنسان الشرس نابه في شبابها ، ويقذف بها في كهولتها وشيخوختها ، ورغم هذا الواقع الأليم فإن الأغراء والتغرير ، والإعلام الموجه ، والحلل البراقة والوهج الخارج الذي يمتطي الحرية وتحرير المرأة والدعوة إلى التبرج والتمرد ، وغرس كل ذلك في نفسية الأطفال من مراحل النمو الأولى وتلبية رغبة المراهقة ، كل ذلك يدعو إلى خلخلة الأسرة وتعدد الشروخ الاجتماعية .

وهناك الدول العربية والإسلامية التي تغربت في اجتماعياتها ، وتعلقت فيها الدعوة إلى تحرير المرأة ، وهيمنت على الوسائل الإعلامية من مذياع وصحف وتلفاز ، وقد تسربت هذه الدعوات إلى مجتمعنا .

وهناك من يجهل الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته السمحة ومعاملة المرأة ، كأن يبتعد ببناته عن التعليم ، وهناك عدم الوعي للمعايشة الزوجية ، فيصير الرجل عنتراً في أسرته ويسلب المرأة حقوقها التي أوجبها الله لها أوسنها أو أجازها ، فيعارض الرجل كل ذلك بهيمنة جاهلية .

وقضية تعدد الزوجات التي أثيرت قضيتها ، فالاتجاه النسائي العالمي – في مرحلة سابقة قريبة العهد – قد أعلن حرباً ضروساً ضدها ، مما شحن نفسيات النساء ، وأوجد عندهن أضطراباً ، الأمر الذي جعل المرأة تسخر بنيها

لمواجهة أبيهم وتدمر حياتها الزوجية حتي لا تتعرض لموقف سخرية من أمرأة طائشة ، وأيضاً فإن بعض الرجال وقع فيما يزيد الريب باعتقاده أن لا مقام للمرأة الأولى ما دام ارتبط بالأخرى ، ويترك زوجته الأولى معلقة فلا هي مطلقة ولا هو الذي يقوم بواجباته الزوجية .

والقاصة عايشت نضج الأفواج الأولى من المتعلمات وتعايشت مع تلك الفئة التي فاتها قطار التعليم فحدثت بعض الفجوات الاجتماعية ، كل ذلك كان له تأثير في تكوين مفاهيم المثقفات اللاتي مارسن عملية الكتابة ، فيرين أن عليهن واجباً تجاه بنات جنسهن وكثير منهن من يدركن جوانب الاعتدال ويقفن وقفة توقيفية عند الأوامر الشرعية ، ويجعلنها منطلقهن للمعالجة وإن لم يرتدن أسلوب الداعية ومنهن قاصتنا خيرية السقاف .

والقاصة رغم أنها مزجت المرأة بالإنسانية ، وأعلنت أن قضيتها الأولى الإنسان ، لكن توجهها إلى قضايا المرأة استحوذ عليها وأبحرت كثيرا في عالمها وقضاياها الملحة ولذلك عاملان :

أحدهما : كونها امرأة فهي الأكثر التصاقاً بواقع المرأة ، والأكثر إحساساً بما يعتمل في قلبها وشعورها ، وبما يسرها ويحزنها .

وثانيهما : أن المرأة – في تلك الحقبة – تأثرت بالإعلام الخارجي ، فأوحى إليها أنها مسلوبة الحقوق ويجب على المرأة أن تناضل من أجل حقوقها ، بينما الواقع أن الفجوات الاجتماعية متفرعة من الرجل والمرأة ومنهما معا .

والعنوان الذي انتقته لقصتها الأولى (رأيتها وكفى) تزدوج فيه الأنوثة بين القاصة وبطلة القصة ، تلك الفتاة التي عاشت ربيع طفولتها في دلال وحنان بين أبويها ، وغيرة إخوتها ، ولكن سرعان ما أفترق الأبوان ، ونقلت إلى دار الأيتام ، لأن الأم نأت عنها ففقدت الحنان من والدتها " فردوس النسيم والزهور والعطور والعنادل " كما تصفها القاصة ، ورأت الفتاة حزم الأب قسوة وعنفا وتمادى الأب في إرهاقها نفسيا فمنعها من زيارة أمّها أو لقائها ، الأمر الذي جعلها تلوذ بالفرار من مدرستها ولكن المديرة أحسنت معاملتها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهي قد وضعت المرأة الأم مشردة ، والفتاة تعاني من سوء التربية ، ومديرة المدرسة ذات قلب رحيم مما يجعل القاريء يتعاطف مع المجتمع النسوي ، أما الرجل له الويل فهو سبب كل البلاء وهو الجلاد القاسي الفظ!! فانه أب لاحنان عنده ولاتفاهم ولاتربية حسنة ، وهو يتزيد في مهر ابنته وهذا همه ، وإن كان زوجا فهو العنتري الشديد الذي لايبالي بصحبة زوجته ، ولا إرادتها وإنما يستعبدها ويسلب أموالها !! .

وتلك معالجة ناقصة فلو أن القاصة عالجت القضايا ، وأبانت عن أسبابها من جانب المرأة ومن جانب الرجل وعالجتهما لكان ذلك أجدى وأقرب إلى الموضوعية .

وتعمد القاصة إلى رسم المرأة في (واختلفت الخطوة) في قمة الإخلاص والتفاني ، وأن المرأة تعاني مما يكابده زوجها غير أن المرأة (عائدة) المخلصة الوفية التي كابدت مع زوجها حتى تغيرت حاله إلى الأحسن لقيت جزاء سنمار فأنهى زوجها علاقته مع هذه المتفانية في عملها ،وحطم أحلامها وحياتها السعيدة .

والقصة توحي بوفاء المرأة وكفران الرجل للمعروف ، وفي ذلك بعد عن الواقع ، والقصة توحي بضرورة تعليم المرأة إلى جانب الرجل لتواكب الحياة وتسايرها ، وهذا حق لاضير فيه بل ضرورة لاخيار فيها .

والقاصة تعالج جانبا من العنوسة في اختزال تام بعيدا عن الصراحة ، وقريبا من الرمز ، فقصتها (الانعكاس) تحكي تهويمات الفتاة منفردة في حجرتها " ذلك الأمل .. يملاء نفسها ..بدا لها لو أنه تحقق فسيكون كيدٍ ملائكية تسقط عليها في شهب من الضوء ، تختطفها بعيدا عن هذه الأرضية التي تقف عليها ، وعندما تستقر معها في الاجواء البعيدة تفتح عينيها ويالهول ما سترى ، سأجد نفسي مع فارس ممشوق يمتطي صهوة جواد أشهب يأخذني كما فعل بفتاته العراقية على ظهر جواد خشبي طائر بعيدا عن مخالب الوحوش

السارقين ، مازلت بين الوحوش أولئك الذين يسرقون حريتي ويسلبون إرادتي، ويتحكمون في خطواتي وتصرفاتي " (١٢٧) .

ويصرخ نداء العقل "الفارس الذي تتحدثين عنه أصبح أسطوريا .. لايهم .. حتى الحلم تريدون أن تحرموني الاستمتاع به..أتهربين من أهلك..أبيك، أمك ،اخواتك " (١٢٨).

تلك سبحات أحلامية وروى هلامية ، تمثل واقعا ملموسا لفتاة حرمت من طبيعة الحياة وفطرتها ، وجنحت بها الأحداث عن دروب المسيرة السوية ، وعطلت التربة الخصبة وتلك معاناة من جوانب عديدة للعنوسة ، غير أني أسجل ملحوظة هنا ، وهي أن الفتاة في بلادنا الإسلامية والشرقية أيضا لاتصف أهلها بالوحوش وإنما تلتمس لهم الأعذار .

وهي في خضم الموج المتلاطم من اليأس والحزن العميق يطرق بابها الطارق ، فتستجيب كالأرض تصدت للمطر ، لكن غيمتها كانت سحابة من (تشيرنوبيل)(١٢٩) كان مطرا ملوثا فتعاني من زوج متقدم في السن غليظ أحمق، وتنهي قصتها بالارتطام والغيبوبة .

والقاصة تضع أمامنا الحقائق فترى أن الإفراط والتمادي في البحث عن فارس الأحلام يؤدي إلى أضرار كثيرة ، وأن الإفراط في الاستجابة أيضا ليس من الحكمة في شيء ، فالأفضل أن تأخذ بتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه) (١٣٠)

البعد الاجتماعي :

الكاتبة تحمل مسؤولية الخلاص من الكم الهائل الذي يتراءى لها في تراكمات اجتماعية تثقل كاهل المرأة ، أو أنها تنشد التغيير السلوكي ، وقبل هذا تريد أن تهز الشعور الداخلي بما تقذفه من قذائف شعورية ، لعلها تحدث اضطرابا يقتضي التدبر والتأمل ويكون فيها إنقاذ للمرأة وإزاحة للعراقيل التي تعترض مسيرتها ، وتقف سدا منيعا في وجه تقدمها وعملها وحريتها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهي تتناول الأبعاد الاجتماعية من جانب المرأة وكفاها ذلك إن استطاعت ولاإخالها إلا قانعة به ، ولأنها ترى أن طبيعة الفن القصصي يقوم على تصوير اللمحات الاجتماعية وأزمة الإنسان عامة ، والمرأة خاصة ، فهي تعالج السلوكيات ولاتقف عند ظواهرها إنما تلج في أعماق النفس ، وتخرج جذور المشاكل بواقعية ، وتشير إليها ، وتجسدها في أبعاد اجتماعية ، ونحصر تلك القضايا الاجتماعية في أقصوصاتها في محاور هي :

١ـ التربية . ٢ـ الطلاق . ٣ـ العنوسة .

١) التربية :

في قصتها (رأيتها وكفى) حيث الفتاة (رها) التي تشردت نتيجة لانفصال أبويها ، وعانت من الحرمان ماعانت ، وأدخلت إلى دار الأيتام وتمردت على الحواجز الحسية والمعنوية ، ومن هنا تدعو إلى تهيئة المناخ المناسب وأن يكون هاجسا إنسانيا يحمل الأبوان معا مسؤوليته ويحد من رغباتهما وسلوكياتهما إن لم يستطيعا التكيف والإعداد له من قبل ، وتحكي القاصة بعض الزفرات التي تقطر دما فتقول :

" لماذا تركتماني وحدي مع الأعاصير أمارس الضياع والفجوة وأعيش في الهوان والظلام ؟! أولم تكونا أمثل قرينين؟ وآرأف أبوين ؟! " (١٣١) .

٢) الطلاق :

تعمد الكاتبة أن تظهر هذه القضية في قصتها (واختلفت الخطوة) فالشقاء والمعاناة والحرمان من الحنان والود مع زوجها المكافح وعندما أثرى فكريا وماديا أعرض عنها وانفصل ، أقول تعمدت أن تبلور السبب الواهي الذي لايقره دين ولاعقل ولامنطق ، فدواعي الطلاق كونها ابنة قروية لاتصلح لحياة المدن ورغد العيش فيها ، والقاصة تهدف إلى كشف الظلم الذي يقع على المرأة ولا إرادة لها ، أو انها تهدف إلى المرأة التي تهمل تكوينها الذاتي ولم

تواصل وعيها وتطورها فعليها ألا تكتفي برعاية غيرها ، فالأجدر الاعتدال والتوازن فلا تهمل ذاتها ولاتهمل حقوق الغير بل تجمع بينهما .

وتعالج قضية الطلاق في قصة (الانعكاس) تلك العانس التي أسرعت في الإجابة والتي تعذبت تحت وطأة الزوج وعالجها بالطلاق فكانت نهايتها،والقاصة تبلغ درجة المبالغة في تحجيم أضرار الطلاق في تلك المرأة حميدة بطلة قصة (الفقد) التي أدي بها إلى استخدام المخدرات وهتك الأعراض

٣) العنوسة والخطوبة :

قصتها(اغتيال الضوء عند مجرى النهر) تحكي واقع فتاة جامعية حيل بينها والتعليم ، لتدفع " لممتليء الجيوب كبير البطن" وتضم القصة أبعادا اجتماعية تتواصل مع الواقع هي :

١) رعاية الدولة للفتاة السعودية ، فقد أعدت لها السكن المريح الآمن المستقر، وأحاطتها بالرعاية لتكمل تعليمها الجامعي ، رغم تباعد الجامعة عن دار إقامتها .

٢) سلب الفتاة من إرادتها ، فالأم الوديعة انقلبت إلى حيوان شرس تحت تأثير المادة والجاه لما رفضت ابنتها " ذا الجيب العامر والبطن الكبير" فأخذت تصفعها وتودعها الحجرات وتنثني عليها بالعصا .

٣) ضعف الريادة ، فالرجل له قيادة فإذا ما تنازل عن دوره فالخطر يداهم الأسرة وتنحرف السفينة عن اتجاهها " أما أبي فظل ضعيفا كالعادة أمام وجه أمي . .لايعبر إلا بملامح وجهه . ."

٤) تحكي القصة التباعد الحضاري عند الفتاة التي نالت حظا من التعليم ، وكانت لها آمالها وإرادتها التي تأمل في تحقيقها ، ومنها فتى الأحلام وبناء المستقبل ، فتصطدم بالأم التي تجري وراء ضبابية العادات والتقاليد حيث لارأي مع أبيها وأمها التي تجري أيضا وراء الجاه والمال وترى أنهما الثروة الحقيقية للفتاة ولم تدرك الأم الفوارق بين أهداف فتاة وأهداف امرأة تقدمت بها السن فتبتغي من ابنتها أن تنظر بمنظارها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي قصة (الانعكاس) تعالج القاصة الفتاة في أبعادها الاجتماعية لاسيما ما يتعلق بكيانها وحياتها الأسرية ، فالقصة تحكي معاناة الفتاة زمن الانتظار ثم مرحلة العنوسة وتفجرها ونفاذ الصبر وبلوغ اليأس أقصى مراحله ، ثم تعلقها بأي ضياء ترتبط بها ويحقق خيوط الآمال حتى قبل أن تتأمل المسير وراء هذا الإشعاع اللماح الذي يبرق من بعد .

وتتعاطف القاصة مع بنات جنسها فتوحي بأن المجتمع الأسري من حولها دفعها إلى اتخاذ هذا القرار الفوري الذي قذف بها في أتون زوج لاخلق له ولا إنسانية ولا شباب ولاعاطفة صادقة .

وتكشف عن واقع الأرضية الأولى لتربية تلك الفتاة قبل عنوستها وقد عاشت على أزيز الشجار وفورات الغضب بين أبويها ، ورأت ما تفوهت به خالتها من إشعال النار في جوف أمها بعد معاهدة صلح بين الزوجين " وخرج الجميع إلا إحدى خالاتي أقتربت منها وأخذت تهمس لها بصوت آمر إياك والتخاذل ..هه..لابد أن تستيقظي من نومك " الرجال اللي يتحزم به عريان " وأنا جنبك " (١٣٢).

وكأنها تقول : إنه متى حدث التدخل في العلاقات الأسرية أو خضع أحد الطرفين لتوجيه خارجي فإن التركيب الأسري سرعان ما يتقوض .

والقاصة كشفت عن علاقة المرأة بوباء العصر وبالداء المستشري ذلك هو المخدرات في قصتها (الفقد) فالمرأة لاقائم عليها وقد ألقى بها زوجها في مهامه الحياة وتلقفت الصائدة(حميدة) المطلقة سعدة فاحتضنتها مظهرة حسن النية ومبطنة الخبث والمكر حتى زجت بها في عالم الإدمان والجريمة ثم طوحت بها إلى السجن .

ومعالجتها القضية في واقعية فالمخدرات كانت غير شائعة بين النساء في مجتمعنا ولكن القاصة تحذر من هذه الندرة وكأنها شرارة تخشى أن تحرق ، والقصة تمثل استشراق الأديب المفكر للمستقبل فقد كتبت القصة عام ١٤٠١هـ

ولم نلبث بعد هذا الزمن إلا قليلا حتى بدأت الحملة العالمية الكبرى ضد المخدرات .

القاصة منحازة مع المرأة فصاغت وحبكت القضايا السيئة الاجتماعية التي تحيط بالمرأة حتى قذفت بها إلى التيه والتشريد والدمار ، ولو أنها جعلت من المرأة شخصية متفاعلة حذرة مناضلة واعية مدركة وتركت لها فرصة الانتصار لكان في نظري له كبير الأثر في المعالجة الاجتماعية ، وربما نلتمس لها العذر فنقول : إنها تهدف إلى غرس الشك والكشف حتى تنير الطريق ولم تبال بالنهاية ولها عذرفي بناء القصة فإنها لا تحتمل الإطالة .

البعد المكاني :

حددت القاصة البعد المكاني في تقديمها القصير لمجموعتها بقولها :" هذه اللوحات بين اليدين وماهي إلا نقل مباشرا استعضت فيها بدل الحركة الحية على أرض الواقع الملموس " والقاصة تعيش في ربوع الجزيرة متنقلة بين المنطقة الغربية والوسطى بين نجدها وحجازها .

وتحديد البعد المكاني في قصتها (واختلفت الخطوة) له دلالته وإيحاؤه فقد حددت ضواحي (جدة) مكانا لشخصية القصة وفيه أشارت إلى الريف ومعاناة أهله لتحصيل المعرفة ، والتفاني في بناء الحياة ، والتطلع لمدنية المدن والعيش الرغيد ، كما تحدثهم به أنفسهم ، ومن هنا كانت الهجرة التي فيها هجران الريف وهجران الأرض ، وهجران القيم والعادات والتقاليد ، أو قل بداية الرفض وتلك مشكلة عانى العالم المعاصر منها كثيرا .

البعد الزماني :

نلتمس البعد الزماني من كون القصة طبعت عام ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م وأشارت القاصة إلى نشر كثير منها في صحيفة الرياض ما بين عامي ١٣٩٧هـ - ١٤٠١هـ ، فتكون الأحداث التي أوحت بالتجربة فيما يقارب هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الزمن وإن سبق بسنتين أو ثلاث فإنها لاتقدم ولاتؤخر بالمقارنة بحركة المجتمع ومتغيراته ، والقاصة تذيل قصصها بتاريخ الكتابة ، فانتهت من تدوين قصتها الأولى (رأيتها وكفى) في ١٤٠١/٥/١٩هـ ، وذيلت قصتها الثانية (واختلفت الخطوة) بتاريخ ١٣٩٧هـ ، وربما تحدد الفترة الزمنية في مستهل القصة فقدمت لقصتها (اغتيال الضوء عند مجرى النهر) بقولها : " المسرح الذي تحركت فيه الخطوة ٤٥٠كم الدرب ملغوم بالأشواك ، الفترة بين الأربعاء ١٤٠١/٥/١٩هـ والأربعاء ١٤٠١/٥/٢٦هـ " (١٣٣)، ومن هذا ندرك بأنها لم تلتزم التدرج الزمني في ترتيب قصصها داخل المجموعة .

وقصة (واختلفت الخطوة) تحتل بعدا اجتماعيا ذا دلالة تأريخية لحركة المجتمع ففي تلك الفترة كثر أولئك الذين لم يلتحقوا بالتعليم من أهل الريف ، فلما يخرج الشاب عن الطوق يلتحق بالتعليم أو مكافحة الأمية في تلك المرحلة، ويخضع للتقاليد التي تحتم عليه الزواج فيحمل مسؤولية الأسرة ، وكثير من هؤلاء جمع بين العمل في نهاره ، والتحصيل المعرفي في ليله حتى نال الدرجات العالية ، وكان سعيد بطل القصة يمثل المرحلة الزمنية تلك فكافح بعمله ولعلمه حتى حصل على الشهادة فأهلته للالتحاق بوظائف المدن(جدة) وأعرض عن زوجته التي صحبته في العسرة ، وبعض من المجتمع يعرف أمثلة من هذا النوع واستثنى حالة الطلاق ونكران الجميل .

والبعد الزمني في القصة القصيرة لايمتد طويلا ولايمثل مرحلة متباعدة ، وإنما لحظة خاطفة محددة غير أن القاصة قد امتد معها الزمن طويلا .

وقصتها (اغتيال الضوء عند مجرى النهر) قد جعلت مكانها أحاسيس النساء وزرعته بقلوبهن وأحاديثهن حيث (منى) في المدينة الجامعية ، وتتكاثر الفتيات في السكن ويتجاذبن أطراف الأحاديث وهن كما قال جميل بثينة :

لكل حديث عندهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

" نفضل أن نجلس إلى كوب دافيء من الشاي ، نتحدث عن أوجه المعلمات وعن الإعلانات على جدار المدرسة أكثر من مشاهدة التلفاز ، لانستمع إلى

مذياعها إلا عندما نرغب في معرفة كم عدد القتلي؟! الذين سقطوا في الساحة أو عدد الموتى الجائعين " (١٣٤).

والمكان الذي تأوي إليه في مدينتها وبين أهلها وذويها قد أحكمت القبضة عليه امرأة حديدية هي الأم التي طغت على الأب وعطلت وظيفته ، أما الفتاة فلم تبد معالجة وانزوت وتجردت من الفاعلية وسلبت إخوتها الفاعلية في المنزل وأصبح المنزل سجنها لوحدها وتجاوزت شعور الأخوة والأب فهم لايستشعرون حالتها أو لاحول لهم ولا طول .

ولانجد القاصة تخرج عن محيط البلاد وندرك ذلك من الإيحاءات وأحداث القصص الملائمة لواقعنا ، وهي لاتغفل أسماء أماكن الديار والمدن ، ففي قصتها (لحظات من عمر يتأكل) حددت " اليوم : الجمعة ١٤٠١/٦/١٣هـ قبل الغروب وبعد العصر " المكان بحر الشعيب مكة (١٣٥).

وعينت المكان الذي جرت على أرضه أحداث قصتها (قطعة الفحم وقطعة النقود) وأن موقعه بين مكة المكرمة وجدة في فصل الشتاء حيث الرعد القاصف والبرد الشديد والريح الزمهرير .

وقصة(الانعكاس) حكت حياة متكاملة حافلة بالمعاناة ابتداء بالتربية والخلاف بين أسرتها وامتداد عنوستها ، وفترة الزواج ثم الطلاق ، وأخيرا النهاية ، والقاريء لا يشعر بفجوة أو تكلف من القاصة في أقصوصتها لهذا الامتداد الزمني لتوظيفها التكثيف الشعوري والإشارات والإيحاء المقتضب فأخفت به الأمتداد الزمني .

والقاصة تشير إلى الزمن في مستهل القصة إما بتحديد اليوم ، وأوقات الصلاة أو تقسيم اليوم وإما بفصله الشتوي برعوده وبرقه وصواعقه كما في قصة (قطعة من الفحم وقطعة من النقود) .

ونحن نلتمس من تحديدها الزمني الإشارة إلى واقعية الحدث والإلحاح في معالجته والترصد له ، فلما تحدد غرق الرجل بين يدي صحبه في مكان مخصوص وزمن مخصوص " قبل المغرب وبعد العصر " والمكان الشعيب (مكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المكرمة) فانها تضع الأمر أمام المسؤولين لحضور الطواريء والاستعداد في المكان والزمان لمثل هذا الحدث .

شخصية البطل :

قصة (رأيتها وكفى) بطلتها الفتاة (رها) التي افترق أبواها وانتقلت إلى مدرسة الأيتام وقد انطلقت القاصة في وصف مشاهد للبطلة توحي وتضيء وتكشف ، دون أن تترك لها فرصة الإفصاح عن ذاتها غير أنها ألصقت بها أوصافا أبانت عن شخصيتها النفسية وبلورت ملامحها ، ووظفت بناء القصة لرسم لوحة متكاملة عن الفتاة وقصة (واختلفت الخطوة) تتكون من شخصيتين هما الزوج والزوجة ، فالزوج أخذ نفسه بالجد والكفاح والكدح في سبيل حياة راقية ناعمة ، والزوجة وقفت بجانبه تدفعه إلى الأمام ولا تستقبله بهمومها وخذ وهات ، صابرة على المعاناة وشظف العيش ، وفقدان الابتسامة أملا في المستقبل ، والرجل يحصد نتيجة كفاحه وتعليمه فيفيض عليه المال والجاه ، أما المرأة التي بنت مستقبلها في تكوين زوجها وظنت " أنها المقيمة أبدا تحت جلده ، والسارية دوما في أوردته ، والممتزجة بلا منازعة بدمه " فقد تركها زوجها ورأى أنها لاتصلح لحياة المدينة التي أحوج ما تكون إلى زوجة متعلمة متطورة فأصيبت الزوجة بخيبة أمل وإحباط .

وقصة (اغتيال الضوء عند مجرى النهر) تتبلور عن الأزمة الاجتماعية التي تمخضت من الخلاف بين التركيبة الأسرية ، فالأم التي عانت من شظف العيش وقد اكتمل عقلها وانحسرت عنها العواطف الذاتية ، رأت في اكتمال الرجولة مع توافر المال والجاه رجلا صالحا للاقتران بابنتها ، والفتاة المتعلمة التي تعج بروح الشباب وآماله وقوته وإصراره تريد أن تحصد نتيجة تعليمها وتبني أسرة متعلمة واعية ، يسودها الحب والألفة والتكافؤ في الفكر والعمر الزمني ، وهنا يحدث الخلاف بين الأم التي تمثل القديم .

والفتاة التي تمثل المعاصرة وتهيج الأم تدافع عن كرامتها في ظاهر الحال لكن تدافع عن المال في واقع الأمر وتعارض الفتاة بحزم وعناد " لن أوافق . . ولن

يكون بيننا ودّ أبدا ، ستنسين أنك أمي٠ ٠وأنني نمت تسعة أشهر في أحشائك أتقسرونني على الموت ؟! " وترد الأم بعناد وموقف تجاري انتهازي فتقول:"الموت٠ ٠ أهون لو أنك تصرين على الرفض "(١٣٦)٠

والأقصوصة لا تحتمل الاستقصاء لحياة متكاملة وإنما توحي بحكاية لحظة أو أزمة أو انفعال أو جانب من الجوانب ، ولكن القاصة بقدرتها على التكثيف المضموني والاختزال اللغوي تجعلنا نتتبع حياة بطلة قصة (الانعكاس) كاملة حيث الشقاق والخلاف وسوء التفاهم والفهم للأبناء ومرحلة العنوسة للفتاة ثم الزواج المتهور، والخلاف وعدم التكافؤ في الزواج ثم الفراق والتيه ٠

والقاصة لاتعطي لشخصية القصة أو بطلها أي تطور أو تفاعل مع الأحداث إنما تجعله يسير وفق خطة وضعتها له القاصة أو تقول : إفراز لمجتمع ، فهي ترسم التركيبة الأسرية والقضية تتوالد عن الأحداث التي تدور في فلكها ومن هنا كانت شخصيات قصصها في جمود وركود كأنها دمية ، ونحن نعترف أن الشخصيات ربما تكون مسلوبة الحرية وليست مسلوبة الإرادة ، وليست محجوبة عن المصارحة والمكاشفة ولها الحق أن تحتج وتفصح وأكثرهن ذات علم ودراية ، فأين الحوار والإقناع أو محاولته ، ثم أين العقل والتدبير من شخصياتها تلك هي التي تتقبل حبات المخدرات في تهاون وانحراف وتذهب إلى بيت (فالح) بلا حذر في قصتها(الفقد)؟ والواقع أنني لا أجد مجتمعا أشد حذرا من هذا المجتمع فيما يتعلق بالمرأة وحذرها ، ومن هنا نقول : إن قصصها يفتقد إلى المنطقية والحوار ، ولا أريد أن تصنع حوارا منطقيا ربما يطول بالأقصوصة لكنها قادرة على إيحائه في عبارات محددة معدودة ٠

وهي تستمد أسماء شخصياتها من الأسماء المعاصرة التي تتداولها هذه الأيام كمثل رها وحميدة وسعدة ومنى وسعيد وعواد وحامد ، والأسماء توحي بمعرفة القاصة لأسماء أهل الريف ، فهل تهدف أن توحي لنا أن القضايا من صنع الريف في أغلبها وتريد معالجتها أم هي مجرد مصادفة ؟! ٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ساعة الحائط تدق مرتين (١٣٧)

مجموعة قصصية للكاتب القاص الأديب محمد صادق المولود في جدة عام ١٣٦٥هـ ، نال الماجستير في علم النفس ويعمل موجهاً تربوياً ، ويمارس العمل الصحفي وصدر له كتاب (الأمثال العامية) وله مجموعة قصصية هي (١٦ حكاية من الحارة) قدم لها الكاتب علي خالد الغامدي ، أما مجموعته الثانية فهي (ساعة الحائط تدق مرتين) قدم لها الكاتب علي محمد حسون المشرف على ملحق صحيفة المدينة (الأربعاء) .

والمجموعة تتكون من ثلاث عشرة حكاية في ثلاث وثمانين صفحة من القطع الصغير وهي تصور ألوانا من الحياة الشعبية لحياة الأحياء داخل المدن قبل التطور فقد قال الغامدي عن مجموعته الأولى " وهو باختصار شديد فنان يشكل بالحروف لوحة شعبية تندثر ، أو تغيب ملامحها عن جيلنا الجديد " (١٣٨)

ومجموعة (ساعة الحائط تدق مرتين) إنما هي تسجيل الذاكرة للأديب ذاته رسم فيها مشاهدات الطفولة ومعاناة الشباب .

وقد دون الكاتب في ذيل كتابه مجموعة من الآراء التي صورت صدى لمجموعته القصصية الأولى تشير إلى أسلوبه الذي يمتاز بسهولته ويسره وجمال تعبيره وقدرته القصصية ، وكذلك أشار إلى لمحات من حياته تضيء للناقد وتكشف بيئة النص الأدبي ، وهذه سنة حسنة في نظري أود أن أراها في كل كتاب .

البعد الاجتماعي :

يغلب على القصص السعودي الاستحضار لماض قريب جداً ، فالقاص يلجأ إلى ذاته يفتش عما تحتويه ، ومن هنا ينطلق بما يتواصل مع نفسيته من أحداث تمتد من عهد الطفولة وربما أن انقراضها أو انحسارها يؤدي إلى علوقها أكثر ومن أولئك القاص محمد صادق دياب ، فإنه استحضر ماضيه الزمني ، فأخذ

يكتب عن المرأة الغسالة التي قضى زوجها نحبه وتحملت مسؤولية الأولاد ، فدأبت على غسل ملابس الحي ، الأمر الذي أضناها ، وجعل الجزار يحاول أن يتعاطف معها ، ويفصل عنها أبناءها إلى دار الأيتام ، لكن الأم الحنون الصابرة المثابرة تصيح في وجه الصبي الذي يحمل هدايا الجزار : " من أبلغ الجزار أن قلوب الفقراء في بطونهم ؟ تهدأ قليلاً .. تضم أبناءها إلى صدرها تتمتم : إن دور الأيتام في صدور أمهاتهم "(١٣٩)

ويلفت نظري عنوان القصة (العمدة مات) فالعمدة يندر أطلاقه ، والعمدة أحسن حالا من أن يخلف أسرة تقوم على الغسل .

والكاتب يطرح قضية الأغتراب الفكري الذي تمحور مع الوفود العلمية ، وكأنه يثير التساؤلات والشكوك هل أولئك العاملون الكادحون أكثر نتاجاً ؟ أم أولئك الذين يعودون وينشدون التغيير بدلاً من الانكباب على العمل الذي من أجله اغتربوا ؟ فهو وضعنا في قصته (ولد الحارة) في مقارنة بين (أبو العيسى) صاحب التاكسي والدكتور مصطفى أبو دلش ، فالأول يبعث من جهده إلى أخيه لعله يبني ذاته ويعود لبناء الوطن ، ولكن مهمة الدكتور انحصرت في نقد الواقع البلدي ، ونشر فلسفته الفكرية ، الأمر الذي جعل أخوه يكتب على مؤخـــــرة (التاكسي) عبارة " أبو عيسى صانع الدكاترة !! " (١٤٠) .

وينكشف البعد الاجتماعي لما يصور التلاحم بين الإنسان والحيوان والبناء في قوله " معركة شرسة تدب فجأة ، تشترك فيها كل كلاب الحارة فلقد تجرأ كلب ابن كلب على أن يترك حارته البعيدة متسللا إلى البرحة ليغازل إحدى الكلاب .. (العسة) يتدخل ب (مشعابه) ليناصر كلاب حارته .. فالحارة في نظره كل لا يتجزأ .. والجميع تحت حراسته ليلا " (١٤١).

ولا ريب في معارضتنا تلك الفكرة التي يطرحها محمد دياب في قوله " تتأمل (ليلى) شهادتها المعلقه على الحائط كمسحاة فلاح متقاعد .. تتساءل عن جدوى هذه الورقة المزخرفة .. تتوه في فلسفات العلم للعلم والعلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للحياة.. رائحة (الطبيخ) تتمرد على مساحة المطبخ .. تتسع فتحتا أنف الرجل تفرز غريزته مزيداً من اللعاب تدفق بيدها ابتسامة ساخرة " (١٤٢).

فكيف يكون العلم يتمثل في شهادات تزين الحائط ، العلم للعمل ، والعلم لا يتعارض مع عمل المرأة ، وعمل المرأة أفضله في منزلها وتربية أبنائها ، وإن زاد بعض الوقت فلا راد لها عن ممارسة مهنة التعليم أو العمل في حدود الشريعة الإسلامية ، والمرأة العالمة تبني جيلاً واعياً وتنشر الوعي في مجتمعها ، وكثير من نساء المسلمات عالمات عاملات ، وقد مارس المجتمع في السعودية تلك العملية ونجح بتجارب رائدة ، فالمرأة تعمل وترعي بيتها ، ومنهن من يمارسنها حتي إذا زادت مسؤوليتها في بيتها أعرضت عما عداها

ويشير إلى تغير الحياة وتطورها من خلال الحديث عن المقهي والولد كافل الأيتام الذي يطرد من المقهي في قصة (البعض يولدون كباراً) فيقول: " زبائن المقهي يلعبون (الضومنة) ويمتصون الموت من (شيش الجراك) عبد الصمد قارئ سيرة عنترة في المقهي سابقا والدلال في حراج الخردة حاليا يحاور صبي المقهي .. "

فقد كانت المقهي ميداناً لطرح الأفكار وتجمع الثلل التي أنتجت عدداً من الأدباء ، أما اليوم فهي تحصد زوارها بسمومها ، وكذلك كانت ميداناً للقصاص الذين أعرض الناس عنهم فاتجهوا إلى مهن أخرى ، وما زالت في بعض البلاد العربية مجمعاً لطرح الأفكار ، وقد لوحظ أن نجيب محفوظ يستمد من المقهي والأسواق الشعبية التي يرتادها(١٤٣) كثيراً من قصصه .

وقل ما يعرف (الرباط) ومعاناة أهله غير أن دياب استطاع أن يعرض علينا بعض لوحاته وإن لم تكن رحلته ذات بعد عميق في نفسية مرتاديه ، وعالجها من خلال نظرة المشاهد خارج الأسوار في قصته (اليوم بلا غد) ويشير فيها إلى أولئك المجاورين أو الذين آثروا استيطان بلاد الحرمين قبل التدوين والسجل المعاصر لأبناء الوطن فيخلفون أطفالا لا عصبة ولا رحم لهم ولا عارف ، ومن هنا يكون مصيرهم (الرباط) .

البعد الزمني :

الزمن في مجموعة محمد صادق دياب يستحوذ على جلها ، فعنوان القصة (ساعة الحائط تدق مرتين) فالساعة زمن ومرتين زمن وذلك تأكيد، و (يوم بلاغد) أيضاً قصة يتمني فيها عدم تفاتي ذلك اليوم وامتداده وفي ذلك إشارة إلى تفاعل الكاتب مع أحداث الزمن وإن الوقت له تأثيره الكبير في بناء الحياة الفردية والجماعية والإحساس به ضرورة حتمية لعمارة الإنسان والأرض .

ومن تقريب الإشارة إلى غسيل الملابس باليد قبل رواج الغسالات الكهربائية ولذا فإننا نستطيع أن نلتمس البعد الزمني فهي قريبة العهد من ميلاد القاص ١٣٦٥هـ وما بعده حتى الخامسة والسبعين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة ، ومن بعدها أخذت الغسالات الكهربائية تنتشر .

والزمن في مجموعة دياب متواصل يشير إلى الماضي في حكايته ، ويلمح بالأحداث مثل حرب البسوس ، ويتواصل مع الحاضر فيذكر أحداثه ، وربما مازج بين الماضي والحاضر وفي هذا إشارة إلي التراث والتوارث في المجتمع

وفي قصصه (يوم بلا غد) و (قهوة أبو جبال) و (موكب العريس) تشير أحداثها إلى مرحلة زمنية تقارب عام ١٣٧٠ للهجرة حتي عام ثمانين وثلاثمائة وألف حيث الأربطة تكون مأوي القواعد من النساء ولا رعاية لهن ، ولم يتحسن حال تلك الأربطة إلا في عهد متأخر ، وكذلك فإن موكب العريس يجوب الدروب والطرقات في شوارع المدن والذين يضربون الدف من ورائه وأمامه يصدحون بأناشيدهم ولم تندثر إلا بعد أن حملت العربات موكب الزفاف وتكاثر الناس في الطرقات وبعدت المسافة بين منزل أهل الزوجة والمنزل الجديد في عهد متأخر أي فيما يقارب الثمانين والثلاثمائة وألف من الهجرة في تلك المرحلة تنامت المدن وتكاثف السكان ، وامتزجت الأجناس في الأحياء الأمر الذي دعا إلى اضمحلال تلك العادات .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البعد المكاني :

ينطلق من أحياء جدة التي عايشت الحياة الجادة الكادحة ، فالأم تغسل لأهل الحي من ميسوري الحال ، ويصرح في (أسنان في قاع الكأس) بأنه يستوطن حياً من أحياء جدة ويطيل الوقوف ، فهو يزدحم بوفود الحجيج ، ويعرض بحـــــرارة (جدة) أزيز المروحة في سقف المجلس تحول إلى صوت يشبه مواء القطط ، ونسمة الهواء داخل الغرفة أصبحت أعز من رغيف الخبز في أحلام الفقراء .

ويتحدث عن المقاهي ويتخذ من مقهى (أبو جبال) مثلا له يتحدث من خلاله عن وظيفة المقاهي سابقا ، حيث القاص يسرد حكاياته ثم كانت منتدى للأدب ثم أصبحت مكانا " للشيش " الذي يقتل ببطء ، ويشير إلى المدن وأثرها في الحياة والهجرة من الريف في قصته (وجوه في زحام المدينة) " يقطب عواد حاجبيه ..يعتصر مزيدا من الهموم ..يسرح بخيالاته إلى البعيد ..يتذكر طفولته في القرية يوم كان ينتظر عودة أبيه من المدينة مرة كل عام .. يتوقف قليلا عند ذلك اليوم الذي ذهب فيه والده ولم يعد يستعيد صورة أمه في ثياب الحزن .. يفكر في (السدرة) التي نبتت على قبرها بعد دفنها بأيام .."(١٤٤).

بناء القصة :

يلجأ محمد صادق دياب إلى استحضار الماضي الذي لامس شغاف قلبه وتفتحت عيناه على مشاهداته ، فعلق بكيانه ، فاستمد منه ، وقد استوقفني القاص في بناء قصته (أسنان في قاع الكأس) حيث جعلنا نعيش معه في حياة الطفولة عندما يصور لنا جده المصلي وأسنان يضعها في كأس بجانبه ، وسبحته الكهرمان التي تضيء وهذه الموجودات من القديم ، ويضيف إلى القديم استمتاع جيله في ذلك الزمن بشدو أم كلثوم المطربة المعروفة ولكن سرعان ما يستدعي شخصية حبيب الله ذلك الاسم الأفغاني المعروف ويقحمه

ومن خلاله يستدعي حالة الجهاد في الأفغان ، ومعروف أن الجهاد بدأ بما يقارب عشر سنوات وهنا يكون الإقحام لولا شفاعة أن حديث الجهاد أصبح حديث النجار ، والحلاق وعامة الناس وكأنها مشاركة منهم ، أما التمهيد في القصة فلازلت أرى الفجوة بينه وحديث الجهاد .

ومن هنا فإن القصة ذات تباعد ولم يوفق الكاتب في طرح القضية ، والأمر الآخر الجديد في القصة هو إدخاله أبيات من أغاني أم كلثوم .

ومن عيوب القصة القصيرة عند أكثر كتابها إرادتهم الشمولية مخالفين أم متناسين أن القصة تعبر عن لحظة زمنية محدودة في مكان محدود لحدث محدود لذا نرى أن الكثير يفرغ فيها عمرا زمنيا ممتدا مما يفقدها الوهج الشعوري والتغلغل كما فعل دياب في قصته(أولاد الجيران) التي يحكي فيها معاناة العقم لمدة عشرين عاما ثم معاناة العقوق لعشرين عاما أخرى .

ومحمد صادق دياب ، يأخذ من الأسلوب السردي الإعراض عن المقدمة فهو يستهل بالحدث مباشرة ، وهو أيضا يتابع الأحداث المتسلسلة ، ويكون الإيحاء عنده بالصور الكلية ، ويترك الفرصة للتأمل في الخاتمة ، وجملته جملة تقريرية لاتكثيف فيها ولاإيحاء فالإشارة الدلالية تكون في النظرة الشمولية لفكرة القصة .

وهو في قصته (أولاد الجيران) يعتمد على توزيعها إلى مقاطع من رقم (١) إلى (٥) وكأنها فصول مسرحية مطولة ، وإخال أن القصة تحتاج إلى ذلك لكن القاص آثر أن تكون بهذا الإيجاز .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

انطفاءات الولد العاصي (١٤٥)

مجموعة سعد الدوسري (انطفاءات الولد العاصي) تنتظم في نسيج متماسك يدور حول محور واحد هو مجتمع الحي المتجاور في مدننا لمرحلة زمنية محددة بحياة الشخصيات المتقاربة في العمر الزمني ، بدليل تقارب الأحداث ، أو أنها سيرة ذاتية لشخصية واحدة ، وإن سمى أبطالا في بعض القصص لكنها ملحوظات ذلك الطفل الذي يرسم تلك اللمحات .

والكاتب الدوسري قسم مجموعتة القصصية إلى قسمين :

أحدهما : انطفاءات وتضم عشر قصص ، وفيها رسم لوحات لعدد من شرائح المجتمع الشعبية ، وتمثل مرحلة سابقة واكبت البناء الفكري ، والبناء العمراني والتكوين الاقتصادي .

وثانيهما : الولد العاصي ، وسرد فيه عشر قصص ، وتسجل أحداثا متجاورة لقاطني حي من أحياء مكة المكرمة ومستوطنيه .

وتسجل المجموعة مرحلة زمنية من تاريخ بلادنا والمجتمع فيها انتقل من حياة الفقر والحرمان والجهل والشعوذة واستوطن المدن ، ورأى الكاتب ما تعانيه تلك الفئة من الأزدواج في الحياة بين الحياة الجديدة وما يحمله الإنسان في تكوينه الذهني وتسرب في نفسيته من العادات الريفية ، التي تكبله بمراقبتها وقيودها ولايستطيع الانفكاك منها والتحلل من صبغتها ، مع هذا الأزدواج فقد أجهدهم الفقر الذي يدعو الآباء إلى الحرص الشديد على المال والكفاف في العيش . وعدم الوعي والإدراك لممارسة حياة المدينة عند النساء وربات البيوت كل ذلك يتلاحم مع البيئة الجديدة ومافيها من عمل مضني متواصل ورب الأسرة يأخذ أجرا زهيدا ويواصل مسيرة التعليم فهو أمام إلحاح الزوجة والأسرة المتأثرة بشرائح متجاورة جديدة من المجتمع .

والدوسري لم يكن هادفا إلى بناء فكري أو زاعما أن ينظر لإصلاح مجتمع أو يقتلع عادات أو تقاليد إنما يريد أن يرصد بريشة الفنان القدير صورا

لشرائح المجتمع الذي عاش مرحلة البناء والتكوين الحضاري ، لتكون في وعي الأبناء وإدراكهم ، فيتواصل إنسان اليوم بماضيه ، وكأنه يأخذ بمقولة(موباسان): " أن هدف الفن هو إعطاء صورة حقيقية للحياة "(١٤٦).

والمجموعة نتاج دقة الملاحظة لطفل هو شخصية جل القصص، ولاأستبعد أن هذا الطفل هو القاص ذاته أو صورة من واقعة الحي ، ولمن عايش المرحلة التي سبقت الطفرة بعقد من الزمن ، فكان اقتباسه لنماذجه وشخصياته وأحداثه من بسطاء الأحياء الشعبية المتقاربة الموارد ، ونحن نفتقد السعادة والمرح والسرور في حياة الطفل وحياة البيئة المحيط به ، بل يوحى لنا أن الشخصيات تحمل في داخلها أعباء وهموما ومتناقضات وغيرة وعدم تآلف ، يعود كل ذلك للعوز وللتباعد بين أبناء الحي فقد توافدوا من أماكن متباعدة متعاملوا بحيطة وحذر .

ونحاول في دراستنا لهذه المجموعة القصصية أن نتعرف عليها من خلال :

١ـ الأبعاد الاجتماعية ٢ـ البعد الزمني .

٣ـ شخصيات القصص ٤ـ بناء القصة .

٥ـ لغة القصص .

الأبعاد الاجتماعية :

يستهل القاص سعد الدوسري مجموعتة بقصة(الرائحة) التي تضرب في أبعاد اجتماعية شعبية فهي أولا : تضيء عن جوانب من حياة متقدمي السن الذين رزحوا تحت وطأة الفقر والحرمان وعدم الأمن والاستقرار ، وهم أحوج ما يكون إلى مد يد العون ولمسة الحنان ، فيضطر الرجل (أبوسليمان) أن يعمل في تنظيف المجاري التي تفوح رائحتها ، وتظل عالقة به ولاتنفك عنه حتى داخل داره ، أما العجوز (أم سليمان) فإنها تسهم بكسب العيش بتجارتها " من منتصف الظهر تفتح ـ بسطتها ـ أمام دار ابنتها وتبيع ، أي شيء ..الحلوى والهيل والسكر والشرائط والبسكويت "(١٤٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لكنها تضيق ذرعا برائحة زوجها الذي إن منعته جاع وجاعت ، وإن تركته صحبته تلك الرائحة التي لاتطاق فآثرت الفراق - لاسيما وهي في سن اليأس - ولو لحين .

وثانيا : تبين الأقصوصة الأوهام والشعوذة التي تهيمن على العجائز ومن يصحبهن ، فيعتقدن في التعاويذ وأحيانا يعالجن بالرقية فأم سليمان صاحبة "طاسة الماء " التي تمزج فيها الأدوية والأعشاب و " تلف الأوراق الصفراء ترميها داخل الماء وتحركها بأصبعها المتورم حتى يصفر الماء ، ترفع الإناء بمحاذاة صدرها تبدأ بالدعاء :

(باسم الشافي المعافي ، باسم الله الكافي ، اللهم أزل عني البلاء ، وامنحني صفاء النفس ، وحبب إليّ الناس .. وتقرب الأناء إلى فمها وتلفظ مزيدا من التسبيح والتهليل) " (١٤٨).

وتظهر السذاجة والأمعة والخرافة المهيمنة على العجائز في تعليلهن " ابتعاد أم سليمان " بأن عينا لم تصل على النبي أصابتها " وهي هاربة في واقع الأمر من القرف والضيق والتبرم من حال أبي سليمان ، وهو أيضا يتوهم أن مرضا أصابها ونصحها أن تعرض نفسها على عجائز الحي " .

وتظهر الأوهام في تعليلهن لغياب ابنهما سليمان منذ عشر سنوات الفار من مجتمعه الذي يتلقب بالألقاب ولايتيح له فرص العمل " خرج سليمان الكبش من بيت أبيه - ولم يعد .. وهو يتذمر من الفقر - وهذا اللقب الذي ألصق به لأن أباه أشتهر بالشراهة والضخامة في الجسم ، وعللوا هروبه " بأن عينا أخرى أصابت سليمان " (١٤٩) من قبل.

وفي قصته (الماء) يصور الهجرة التي حدثت في أوائل النهضة من البادية والريف إلى المدن ، فهؤلاء كانوا يقطنون في مساكن متواضعة ويواصلون عملهم في نهارهم ، ويلتحقون بالمدارس الليلية في ليلهم غير أن حياة المدينة لم تؤثر فيهم " قلت لنفسي ..كيف لم تمسك المدينة ياجد"(١٥٠).

وللهجرة من الريف أضرارها ، فهم تركوا الأرض والإنتاج وجذبتهم العمالة غير الإنتاجية فهجروا الريف ، والقاص لم يخف أن هناك إغراءات منطقية أيضا فالتعليم الذي ينشده أبناء الريف لاسيما الليلي منه لم ينتشر بعد في القرى ولم يتهيأ إلا في المدن وكشف تلك الحالة في قصته لعله يجد حلا وتفتح مدارس ليلية في الأرياف .

وهو يعرج على البيئة ومناخها ، فيذكر في تعارض يوحي بموسمين مختلفين داخل الجزيرة أحدهما قليل المطر ولندرته يهرع الناس لاستقباله ويتعرضون لقطراته .

وثانيهما غزير المطر وكثرته " وأنتم هنا تفرحون بالمطر ، تغدون كالأطفال امامه . .في الجنوب نخاف أن تهدمنا الغيوم ، يحولنا المطر رجالا نحيط الصغار والنساء بأذرعتنا حتى لايجرهم السيل ، فيسحق جماجمهم الرخوة"(١٥١) .

وقصة (الجدران) تحكي حياة امرأة انتقلت مع زوجها إلى المدن ، ولم تتواصل مع جيرانها ، وظلت قابعة في دارها حتى بعد وفاة زوجها وعاشت في سغب وكفاف ، حتى هزلت بقرتها ، وفقدت توازنها من الجوع ، فأرادت الخروج والانفتاح على مجتمع نسج حولها الخيالات ، فرفض التعامل معها .

والقصة تشير إلى دلائل اجتماعية ، حيث انتقل الناس إلى المدن ، وظل كل منهم هائما في شأنه ، فلا تواصل ولاتعهد بالجار ، وتشير أيضا إلى التزام الجيل القديم بالحياء والتعفف رغم معاناة الجوع والحرمان من الملذات ولم تعتدل في أمرها ، وكان نتيجة ذلك الانفجار والتمرد ، فقد انطلقت البقرة هائمة وفتحت الأبواب ، ومارست المرأة عملية التسول ، فكأنه يرى أن الاعتدال في كل الأمور أسلم وأيسر .

وأقصوصة الاختناق : تصور الهجرة إلى المدن أيضا لاسيما مكة المكرمة فكانت تعج بالحياة ، وإنشاء المشاريع لخدمة الحجاج والتجارة فيها رائجة ، وقيام المشروع الضخم بمقربة منها ذلك هو مشروع " الهدا " فقد استقطب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عمالة كثيرة والقصة تشير إلى حامل الماء في الأحياء بما يسمى(الزفة) الرجل يحمل دلاء من حديد ينقلها على كتفيه بعد تعليقها بسلاسل في خشبة معترضة، يسكب ماءها في خزانات صغيرة داخل البيوتات .

وفي (الدائرة) يرسم معاناة أولئك الذين يقودون الحافلات التجارية ويجوبون دروب الجزيرة المتباعدة . وأهلهم وذووهم في انتظار دائم .

و(الغيبوبة) قصة رمزية تحدثت عن العصفور الذي يأكل بمنقار أمه ثم تعلم الطيران وأخيرا قذفت به أم الفتاة إلى خارج الدار فأحاطه الأطفال ودخل في غيبوبة .

والقسم الثاني من مجموعته سماها (بالولد العاصي) استهلها بأقصوصة "البرد" التي كشف فيها من مغامرة المراهقة التي لاتتجاوز النظر من بعد إلى المعشوقة ، أو يكتب شوقة في رسالة لأنه يخشى أن يرى أو يكشف فينال العقاب الرادع .

وفي قصة(السر) يشير إلى حرج الناس من التدخين فيخفونه ويختفون به عن الأنظار وكيف أن الأهل يزرعون في نفس الطفل الخشية والرهبة فالأم تحذر من الرفاق المشبوهين بلا التصريح وبما توحي من أوهام وحكايات مرعبة فتحذر من بيوت أولئك المدخنين " لايمر الناس منه ، في جدرانه يسكن الجن والعفاريت ، وفي سقفه الوطاويط ، ولو دخله أحد يخرج مسموما ، فلا تدخله " (١٥٢) .

وفي شرائحه الاجتماعية يذكر مواقف الكثير من التلفاز " قام ..وضع يده على طرف الصندوق ..سحب القماش ، فظهر مكعب خشبي ، في وسطه زجاجة غامقة ، صاحت " حمدة " شغل التلفزيون يا أبي ..فعرفنا "(١٥٣).

وهناك فئة تستنكره وكان منهم والد ذلك الطفل شخصية قصة (الدخول):فعلم الأب بدخولهم عند الجيران :

" يبدأ صوت أبي في العلو تدريجيا

هو الآن ، أمام باب الغرفة تماما

أسمعه يصرخ

تلفزيون؟

يصمت قليلا

في بيت الشدوى ؟

تسعل أمي .. وهذا يعني أن سريان الخوف بدأ في صدرها "(١٥٤).

ويتابع لنا عرض مشاهد الحي الذي يقطنه عرضا متكاملا بما فيه من مجتمع نسوي وما يحاك فيه من شعوذة وخرافة ، والاختلاف بين أهل الحي في العادات والتقاليد ، وتفاوت في المعيشة .

والواقع أن قصص الدوسري شريحة من شرائح المجتمع أو تركيبة لحي من الأحياء في عهد نهضة المدن وهجرة أهل الريف إليها ، وانتقى شخصياته من ذلك المجتمع المتواضع فالأحياء تزخر بالمباني القديمة العهد الآيلة للسقوط المتشققة الجدران ، والأحياء يتكاثر فيها النزلاء من الأرياف والمدن المتباعدة في المملكة العربية السعودية فيكون هناك تبادل المعلومات ، والاقتباس ، والأنزواء ببعض العادات وربما تختفي ، وتظهر العادات الحسنة وتشيع وينتشر الوعي والإدراك وتتنافس النساء في التنظيم والتدبير المنزلي ، ويلمح إلى تربية الأولاد التي تميل إلى الإهمال وعدم الرعاية ، والرهبة من الأباء الذين يعاملون أولادهم بغلظة خشية الضياع ، ويكشف في قصصه عن نساء الحي فلا عمل لديهن ولا وعي بتدبير المنزل ، ويصف الطرقات فهي ترابية ضيقة تفتقر إلى الرصف والقار والإضاءة .

البعد الزماني :

لم يهتم الكاتب برصد الزمن وتحديده أو ذكر تاريخه ، ليس من ناحية الحديث وزمن وقوعه فحسب بل من ناحية تاريخ كل قصة وتاريخ الانتهاء منها أو زمن نشرها في الصحف من قبل ، ولكنه أشار إشارة مجملة إلى كتابة المجموعة في عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، هذا الزمن ليس هو زمن الأحداث

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإنما هي استعادة لذكرى أحداث لمرحلة متقدمة لأكثر من عشرين سنة . ومع ذلك لاتعدم دلائل الزمن وأبعاده من خلال الأحداث ومؤشراتها .

ففي أقصوصته الأولى (الرائحة) نرى أنها وقعت في بداية النهضة ومرحلة البناء والتكوين لمدن الجزيرة العربية ، وقبل الفائض المادي الذي ازدهرت به البلاد بإرادة الله سبحانه وفضله ، نعرفه من قوله : " تبحث في شق الجدار عن أوراق خبأتها قبل نومها "(١٥٥) فإن الجدار ذا الشقوق من آثار البيوت الطينية القديمة المتصدعة التي التجأ إليها الفقراء واستوطنوها ، وظلت في أحياء المدن الكبري مثل الرياض ومكة المكرمة إلى ما يقارب عام ١٣٨٠هـ. وهذه المرحلة وما قبلها تكثر فيها العمالة انسعودية غير المؤهلة التي تفتقر إلى الخبرة فتقل فرص العمل أمامهم " في الثلاث سنوات الماضية كان أبو سليمان يطرق كل أبواب العمل لكن رجاءه يخيب "(١٥٦).

وتحديد الزمن في قصته الثانية(الماء) ندركه من هجرة الريف للعمالة في المدن واستهلال مكافحة الأمية في مرحلة البناء الأولى " لم تفتح مدرستنا الليلية أبوابها بعد .. قلت له نتمشى في السوق حتى يجيء البواب "(١٥٧).

وقصة (الاختناق) استدللنا على زمنها بذكره لمشروع(الهدا) فهو بدأ بما يقارب عام ١٣٧٨هـ ذلك المشروع الكبير الذي اخترق الجبال وربط بين المنطقة الوسطى والغربية وبين المصيف الوطني الطائف ومكة المكرمة مهوى أفئدة المسلمين ، فالأب يهدد ابنه(عبود) " إما أن تعمل صبيا عند السيد فضلان وفي هذا راحة وسعة في الأجر ..او تصبح عاملا تكسر حصى جبل (الهدى في مشروع(بن لادن) " (١٥٨).

وفي المجموعة الثانية يحدد البعد الزماني بسيرة طفل في المدرسة ، ومشاهد الطفل في الأحياء ، وما يلحظه من تنوع بين الأسر ، فهذه أسرة مصرية تجيد صنع الطعام ، وهذه عجوز تجيد الشعوذة وتدعي السحر ، وتلك أخرى تسر وجه أبنائها بالبهجة والسرور .

وعلاقة الأحداث بزمن الطفولة لأنها نسجت في تاريخ الدراسة الابتدائية ومنها ما يتمحور من العادات القديمة وقليل منها ينسل من المعاصرة ، والمجموعة كاملة تمثل المجتمع في مرحلة زمنية كادت أن تختفي معالمها من عالم المجتمع اليوم ، فقد اهتدى الناس لأصول التربية ، وقد استبدلوا دورهم المتشققة بالفلل والقصور ، واتسعت الطرقات وأنيرت وعبدت ، وانتشرت حدائق الأحياء وأزداد الناس وعيا وإدراكا فتلاشت الشعوذة وإدعاء السحر .

شخصيات القصص :

يلمس القاريء لقصص سعد الدوسري النزوع إلى الحدث لا إلى الشخصية فتدرك الإصرار والإرادة على بلورة الحدث وتجليته ، ومن هنا فقد وظف الشخصية لإظهاره الأمر الذي جعله يعرض عن ذكر أسماء الشخصيات أحيانا وإن ذكرها فمن باب الإقناع ، فلما تتأمل دور الشخصية في قصته الثانية(الماء) يتضح أن شخصية (بتال) ليس لها دور يذكر ، وإنما هو وسيلة الحوار من أجل معرفة الأحداث التى تتعلق بالهجرة من الريف أو التحاق شبابهم بالمدارس الليلية وليس هذا الحكم مطلقا وإنما هو في الأعم الأغلب لأن قصة (الجدار) اختار المؤلف لها اسما ذا دلالة " فأم الهول " تشير إلى نسج الأوهام حولها فنسبوها إلى الجن وتعمل أعمالا هائلة حيث احتجبت عن الجيران ، وظلت حبيسة الدار .

وفي المجموعة الثانية : (الولد العاصي) سرد الأحداث التي تدور في فلك الطفل الذي يقطن حيا من الأحياء ، ويتفاوت فيه الجيران ، وكأن هذا الطفل آلة لاقطة ، فسجل مشاهداته والأحداث من حوله وما علق في ذهنه ، وكان التمازج بين المجتمع يفتح آفاقا أمام الطفل ، فيرى ويسمع ويمارس ، والكاتب سجل ذكريات الطفل فحسب ولم يدخل عليها عقليته التي تطورت إلى سرد الأحداث الطفولية ، أو أفكار الكاتب فليس فيها تحليل أو حوار أو نقاش للأحداث أو التركيبة الاجتماعية ، أو لشريحة من شرائحها ، واقتصر في بلورة الشخصية التي تحس وتشعر وتتلون مع الحدث في قصته (البرد) فقد كشف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن حالته النفسية وعلاقة الفتى بالفتاة وتلك الأطواق والمحاذير التي تحجز بينهما ورسم لنا استراق النظر من فتحات الباب ، والحرص على رسالة ورقية قذف بها في مكان متعارف عليه . وهو عندما ينظر يشتد رهبة وخشية حتى تختلج نفسه وينسكب عرقه أو يصاب برعدة وانتفاضة تنفضه نفضا .

وتظل شخصية القصص تسجل تلك الأحداث وإن طرأ عليها تأثير فهو موقوت بلحظتها ، ولم يكشف عن تتابع مراحل نمو الطفل وتطور فكره أو عقله وتأثره بالمجتمع ، لأنه لم تكن غايته بلورة شخصية الطفل ، وتنامي إدراكه للتجارب إنما جعل الشخصيات آلات نقل ، انظرإليه يخاطب أم الحصيني:

" قلت لها : أبي هو الذي يقول .. (أم الحصني بدل الحصيني)

ـ وماذا يقول أبوك عني ؟

صمتن وبدأت أتحدث بصوت عال..

ـ يقول أنك دجالة وأن ادعائك باستحضار الجن كذب وباطل ، وأنك تغشين الناس بقولك أنك ترفعين السحر عنهم ..

تحس (أم الحصني) أن مكانها غير قادر على حملها .. تصطنع الابتسام وهي تهتز ثم تقول..

وماذا بعد ؟

يقول : إن ابنك مخادع مثلك .. مخادع كبير .. حصني وأنت أم الحصني يا أم الحصني..

قم ياكذاب..

واستقبلت ضربتها على جانب مؤخرتي وقلت لها بسرعة..

هل في الولد الساكن طرف الشارع سحر؟ . "(١٥٩).

والقصص رغم أنه يدور في فلك حي شعبي يزخر بالحب والتعاطف والحنان إلا إننا نفتقد التصوير الشعبي وحياة التآلف بل نراه يوحي بغلظة الأباء حتى في تربيتهم ، ويؤول مراقبتهم وتوجيههم إلى القسوة ، حتى حنان

الأولاد وتعاطفهم ينبيء لنا أن الآباء لا يبالون بهم ويسلبهم إحساس الأبوة يقول في قصة العبور:

" كنت أرقبه وهو يصعد الدرج إلينا .. نهضت إليه ، وطبعت قبلتين على ظاهر راحة يده اليمنى كان يكمل مشيه ، وأنا أتبع يده التى لم تكن تعبأ بشفاهي الصغيرة ، فماذا ؟

أقول - يوميا - لنفسي - بعد هذا المشهد .

إذا كان يكره أن أقبل يده ؟

وجلست على بعد كاف منه " (١٦٠).

وكان من الخير أن يتأوله للأب فيجد له مبررا إما بترابط الفكر ، أو أن شدة الإعياء أفقدته الشعور بالآخرين ، أو يريد الأب أن يربي ابنه على تقدير الأب واحترامه ، وأن القبلة علامة تواصل .

والإنسان يميل إلى أولاده ويداعبهم لكنه يتناسى ذلك ويتغافل عنه ، ويطفو عليه حزم التربية أو تبرم الأب في حياته ، مما يشغله عما يدور حوله أو أن هناك ماهو أولى بالاهتمام ككسب العيش بما يدور حوله ، وحكاية مثل هذا القصص يستدعي الأحداث المماثلة في نفوس القراء ، وتغور دوائر الفرح تحت ضبابها ، وكان من الأجدر بالقاص أن يستحوذ عليه جانب الخير أو يوجد توازنا ويعرض الجانب الرحيم الذي يتدفق حنانا وعطفا في بعض قصصه على الأقل .

وكأنهم يرون أن الأب هو الذي يجب أن يبذل ويقدم العطاء ، أين هم من استقباله والاحتفاء به وتقدير عمله ، ومؤانسته؟! فهو أشد حاجة إليه .

بناء القصة :

دأب الدوسري على استهلال قصصه بعبارات موحية منبعثة عن الحدث الذي أثار التجربة وانغمس فيها ، وتجلى ذلك في الشكل الفني القصصي وبداية أقصوصاته ، تكون أحيانا بجمل ذات صور موحية ، وخيالات مبدعة متباعدة كقوله في قصة (الرائحة) " في منتصف الضحى الثقيل تصحو " أم سليمان"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبحث في شق الجدار عن أوراق خباتها قبل نومها .. يحبو النعاس خارج وجهها ببطء "(١٦١).

وتارة يمطرك بوابل من العبارات المضيئة التي تنتزعك وتخطفك لتصحب القصة فيقول في مقدمة (الجبل) : "يحاصر الظلام .. تحفر الكلاب اصواتها على المساحات المتلاصقة..يرسل ضوء الشارع البعيد خيوطا من النور لتستضيفها أعالى السطوح المنخفضة ، يتسلل بعض الخيوط إلى سفح الجبل القاتم خلف هذه البيوتات .. يخفي المنظر الليلي الأحجار المتسلقة إلى القمة ويصير حجم الجبل الهائل هو المشهد الوحيد " (١٦٢).

ويلجأ إلى الجملة الواحدة أحيانا كقوله : " الشاعر محفوف بنوم ثقيل"(١٦٣) في قصة (البرد) ويضع فواصل في وسط السطر الذي يليه مما يدل على اهتمامه بهذه العبارة في السطر الثالث يبدأ حديثه عن تجربته ، وفي مقدمته رمز لأن نوم المقيل عادة يكون خفيفا حذرا وهو ينبيء عن حذره وترصده للفتاة التي يرقبها من الطرقات .

وكأنه يميل إلى الإشارة في مقدمة قصصه كما في مقدمة (السر) :

" كل الشوارع معتمة ، كلها ضيقة

لكن هذا الشارع بالذات

العتمة والضيق "(١٦٤).

وربما يستهل قصصه بسرد الحدث مباشرة كمقدمته (للاختناق) " يتشقق الفجر ، فتصحو الطيور ، يفيق (عبود) .. ينتزعه أذان الحرم من هواجسه المبكرة ، ومن تدربه على لهجة أهل مكة " .

ويستمر بسرد أحداث يومه ليقوم بواجب العمالة المنزلية ، وهو سرد ليس فيه تركيب عضوي أو هندسي ، إنما هو وسيلة لقبض خيط الأحداث .

والقصة عند الدوسري تحكى على لسان أبطالها أو من خلال الحوار معهم أو الذاتي في أغلبها كقوله :" يصيح الألم داخل (أم الهول) .

ياجماعة الخير ..أنا فاطمة السهلي ..عشت حياتي معكم ..أسمع أفراحكم وأحزانكم ..كنت أقوى من الجدران التي فصلتني عنكم .. عندما تزوجني أحضرني من بلدة أهلي إلى هنا وقال : هذا البيت بلدتك فلا تخرجني منها .. لم أخرج ، ولم يدخل إليَ سواه ..حتى أهلي لايعرفون أين أنا .. أنا الآن عجوزة مريضه ، جائعة متعبة ، الرحى يابسة ، والبقرة هدها الجوع ، والبيت سيسقط على رأسي ، لاأحد يرد .. تدور الذبابة حول أذنها .. تهشها .."(١٦٥).

يظهر الحوار مع الغير قصصه ، أو إن المشاهد يصف حال شخصية القصة كقوله لوصفه لأم الهول ومحادثتها نفسها " تجلس ..تمسح ..التراب العالق برجليها ..تخفي شعرها داخل غطاء رأسها ..تربط أزارير الصوفية ..تنظر إلى الباب الخارجي :

ـ من زمن لم يزرني مخلوق

تعاود إخفاء شعرها .. تبلل شفتيها ..

ـ كيف أخرج ؟ " أم الهول تخرج ؟سوف يهتز قبره ..طول حياته لم أشاهد الشارع ..سموني الناس (أم الهول) لأنهم يخافون مني ..لايدرون من أنا ..يقولون : إنه متزوج امرأة من الجن " (١٦٦).

وحكاية القصة على لسان شخصياتها أو شخصيتها فيه مشاركة أكثر وتفاعلا فكأن القاص تقمص التجربة بمضمونها ولغتها وغمسها في إحساسه وتجربته الشعورية فكأن القاص هو شخصية الحدث ، فيحس بها ويقدحها بشرارة من نفسه ، فتتبلور مثقلة بالإحساس ومعبرة عن الشعور الإنساني يقول والد (عبود) بطل قصة (الأختناق) : " النخل هذه الأيام لايفتح بيتا ..التجارة في مكة قائمة في الحج وغير الحج ..نوينا مكه عسى النية الطيبة ترزقنا الحلال الطيب " (١٦٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو لايترك الشخصية تتحدث دائما إنما يوظف وصف الحركات والمسير والمخاتلة والترصد ، والرائحة ، ووصف الأحداث كلها لرسم اللوحة الاجتماعية

ويوظف التغيير والانتقال من أسلوب التخاطب والحوار إلى حديث الغائب ، فهو ينظر إلى الحدث نظرة متكاملة ولايعتمد على وسيلة واحدة ، ويستنجد بتوارد الخواطر ولا يعتمد على البناء العضوي لقصصه إنما تتضافر ما ذكرت في بناء الهيكل للأقصوصة عند الدوسري .

ونحن إذا نظرنا نظرة شاملة في تركيبة البنية القصصية عند القاص ، نرى هناك تلاحما بين العنوان والمضمون والشكل في وحدة متماسكة ، تظهر الحكاية او الحدث أو الشريحة الاجتماعية وتظهرها في قوالب جمالية فنية في لحظات قصيرة تختطفك اختطافا ، وإن كانت لاتبخل عليك بالإحساس والشعور ولا تنأى عنك بالمضمون ، ولاتلج في تحليل نفساني ذاتي الأمر الذي جعل قصصه تميل إلى القصر ، فيمر عليها القارىء في لحظة كالذي يستخدم (كبسولة) علاجية .

لغة القصص :

ولغة القصص هي اللغة العربية الفصحى فلا يحيد عنها ، وينأى عن العامية حتى في أمثاله وحكاياته وحواره مع أن القصص يمثل الحي الشعبي الا أنه لم ينقل لنا عامية هذا الحي ولا لهجته بل إن لهجة أهل مكة التي حرص على إجادتها لم نرها تظهر في قصصه .

ولغته تقوم على التكثيف في أول القصص ثم يعقبها بسرد وحوار ويختمها بعبارات تجمل التأثير النفسي لتجربته كقوله : " لم يكن منظر الأب الصامت وهو يحمل جسد ابنه العظمى ، ولم يكن منظر المرأة الباكية محاطة بـ(أم الحصنى) و(شمروخ الغاوي) كافيين لأن أدخل في بكاء حارق لكن الأخشاب المسندة على الجدران والمعلقة عليها اللحوم الطازجة ، جعلتني أتمزق بكاء وسعالا أشعر به لأول مرة " (١٦٨).

ويميل إلى توظيف الصور الفنية ويستخدم التراسل بين الحواس ، وتصويره لايعتمد على التشبيه أو الاستعارة أو المجاز ، وإنما يعتمد التكثيف اللغوي الذي يلمح بالعلائق المتقاربة بين الأشياء المتباعدة أو يضمها في جملة واحدة كقوله في وصف شخصية ذلك الطفل الذي صفعه والده في قصة الفضاء : " يتساقط الصباح فجأة ، فيشتعل الفقراء بالصحو ..يخلعون أحلامهم هذا الجليد .. ويرتدون هذا القيض ـ التعب ـ عنيزة مدينة خارجة عن حصارات الصحراء لابسة شغبا يرتد إلى جوع وجذب كان .. سائدة ظهرها ، تنتظر حكايات شعبية مملوءة بالنخيل وبالسفر .. مستندة توزع ابتساماتها لكل الخارجين من بيوتهم في هذا الصباح "(١١٩).

والدوسري يستخدم الرمز في قصصه فقصة (الجبل) رمزية ، رمز بالجبل لمستقبل تلك الأسرة وما يشاكلها من الأسرالمتوسطة التي تأمل بحياة رغيدة ممثلة آمالها في شبابها كان الشاب ينطلق يتحدى السدود ، ويقفز العقبات ، حتى يبلغ مرامه ، ويفتح آفاقا لأمثاله من الفتيان والشباب ، ويدفع بالكبار الذين يحجمون ، فيدعون له ويهللون ويكبرون لما رأوا نجاحه في الوقوف على قمة الجبل ، فيتحدث بلسان شخصية القصة ذلك الغلام الذي عقد العزم أن يصعد الجبل الشاهق :" مشيت حتى صرت في مواجهته ..قلت له : ها أنذا في مواجهتك أيها المتغطرس .. هل تظن أنك معجزتنا ، هل وصل بك غرورك أن تسكن كوابيسنا .. سوف أصعدك .. سوف أطأ بأقدامي قمتك العالية وسوف أصرخ حتى يجتمع الناس في حوضك وسيضحكون " .

ويتابع :" لم أكن أستخدم يدي ..كنت أرفعها عاليا وأنا أصعد أضرب الهواء الجبلي وأهمس في نفسي : سوف تحترق أيها الهواء ليدخل إلينا هواء نقي.

وصلت قمة الجبل .. كان يملأني آلاف الأطفال وآلاف الكبار ..كان الأطفال في جسدي والكبار على بعد شاسع عني ..تخلصت من خيال الكبار ..وقفت شامخا على رأس الجبل .. كنت أضع جسمي على أصابع قدمي..بدأت التلويح للناس..استخدمت كل قدرتي على الصراخ ..تجمع الأطفال والرجال

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٠٠خاف الأطفال أمسكوا بثياب آبائهم الذين بدأوا بالتهليل والتكبير : اللهم احرس أحمد المنصور"(١٧٠)٠

ويستخدم الرمز في أقصوصته(الغيبوبة) فالقصة تحكي ذلك العصفور الذي شهق جوعا واخوته الصغار في نوم عميق وأمه خارج العش " سقطت على الأرض مرات ومرات ثم استوت في السماء كان يتغنى بأبيه لكنه يطير بعيدا عنه"٠

قلت لنفسي سوف أصادف أمي تبحث عن طعام لنا٠٠سأقول لها :

" لاتشغلي نفسك بي لقد علمت نفسي الطيران ، ولم أعد صغيرا لأنتظرك حتى تدفعين الأكل من منقارك إلى منقاري " ٠

ويظل العصفور كادحا حتى يقف مواجهة فتاة تشاطره الأحزان وتحتضنه وتشتكي من أمها التي منعتها من الالتحاق بالمدرسة ، ولكن المرأة من داخل البيت تقذف بالعصفور فيلتقطه الأطفال ويذوب في غيبوبة ٠

فقد رمز بذلك لحياة الفتي الذي حمل أثقال المسؤولية لإخوته الصغار فمرحلة الطفولة تمثلها حياة العصفور في عشه ، ومرحلة الطيران والبحث عن الغذاء ترمز لقوة الشباب وانطلاقاته ، ومرحلة احتضان الفتاة للعصفور ترمز لنجاح الشباب في سعيه وتواصله مع بداية القفص الذهبي ثم مرحلة الغيبوبة عند العصفور ترمز إلى انهماك الرجل في حياة الخدمة المالية والأسرية ٠

والكاتب يحذف علامة الوصل ، وحروف العطف بين الجمل ، ويكتفي بالفواصل التي تدل على تباعد الأحداث أو علامات الترقيم ، ويتجلى ذلك واضحا في النص المقتطف من قصة (الجبل) السابقة ٠

أسفار السروي(١٧١)

مجموعة قصصية للكاتب القاص عبدالعزيز مشري ، والسروي نسبة إلى جبال السراة الممتدة من اليمن إلى بلاد الشام ، ولكن المجموعة ترتبط وشائجها مع المنطقة الجنوبية للمملكة العربية السعودية ، وتنسج أحداثها من شرائح المجتمع الريفي المتلاحم مع الحياة الحضرية في المدن الكبري .

والمشري له مجموعة قصصية سابقة هي (موت على الماء) طبعت في الرياض عام ١٩٧٩م ، وله رواية (الوسمية) وله (بوح السنابل) قصص ، من مطبوعات نادي الطائف الأدبي .

وقد صدرت مجموعة (أسفار السروي) عن نادي القصة السعودي (الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون) وتضم المجموعة إحدى عشرة أقصوصة في ثمان وعشرين ومائة صفحة من القطع القصير .

البعد الاجماعي :

المجموعة القصصية متواصلة بين الريف والمدينة أو قل بين الحياة القروية والحضرية وتورق أبعادها الاجتماعية في :

١ـ قصة عنترة بن رداد تحكي ذلك البدوي المهاجر إلى المدينة ، الذي لم يستطع أن يصمد أمام المتغيرات الحديثة ، وعاجلته المنيه نتيجة استبقائه لحياتة الأولى ، فهو يرمز إلى اندثار القديم تحت وطأة الوافد المستحدث أو إلى عدم وعي بعُض المهاجرين من القرى بالحياة في المدن وإدراك ضرورة التخلي عما ألفه في القرية ومجاراة ما يطرأ في الحاضرة أو قدرة الاحتواء لما يجد .

٢ـ ويستحضر مرحلة ما قبل النهضة في قصته(ابن السروي) فهم يسافرون أثناء رحلتهم على الأقدام ، ويتوافد الناس زرافات ووحدانا رجالا وركبانا ، ويمرون بالقرى " وكان أن دخل في صحبة عشرة من الرجال ، محلوقي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرؤوس ، معممين ، ومحتزمين بأحزمة من الجلد عريضة ..تلزم الوسط ، وتحفظ بعض دراهم فضية .

ومشوا .. تحملهم الحكايات والسير ..حتى شكت أقدامهم .

صنعوا مجلسا ظليلا تحت سدرة تهطل بالفي ، وكان بالقرب من السدرة مسيال بخيل يسرب الماء .

فرد كل زغبته(١٧٢) وفرد (عطية بن السروي) زغبته وحوت مثلما حوت زغب العشرة "(١٧٣)

والقصة تمثل جانبا من عادات وتقاليد المنطقة الجنوبية ، ومعاناتهم للحج وقد ينسحب ذلك على أقاليم المملكة في زمنه . ويختم القاص بإشارة إلى قريته التي أحوج ما تكون إلى مجاراة العصر فهي تفقد كثيرا من المقومات :

" أنا من قرية عزلاء منسية

وكل رجالها ..في الحقل والمحجر

أبي من أسرة المحراث

لا من سادة نجب ، وجدي كان فلاحا بلا حسب ولانسب " (١٧٤).

٣- وقصته (من السروي إلى شوق) تحكي صراع الهجرة من الريف إلى المدينة " لا تحدث نفسك بالسفر فالغربة في المدينة أثخن من طعنة (الجنبية)(١٧٥)

لاتسافر

وبعد ،

وصلتني رسالتك ، وكانت تحمل طابعا منقوشا بنغمة ..حسبتها من تنهدات قهر العيش الذي تشتكيه في بيتكم الطيني .

اسمح لي ياشوق لاتجرأ فأقول :

لم أصدق أنك لاتزال في ذلك البيت ! وحسدتك ..كم أنت حبيب مخلص لبيتك العتيق .

صدقت أن الزمان لايقدر على تحويل الأرض إلى أيام ، وساعات وإن قدر على تحويل الإنسان .

أطمئنك بأن الخبر أعطاني الدليل على استمرار العم (أبو جمعان) في حبه لخبزة الذرة في الصباح وأدم (البلسن) في العشاء .

صدقني ، أن الألم الذي أعيشه الآن في المدينة ليس إلا انتفاخا من قذارتها .

كم تبلغ مساحة قلبك ، بعد هجرة آمالك من أعالي فروع الصلح!!؟

أتعلم الصراع لايزال عنيفا ، وأن الرفض لايزال ؟! أرجو أن تحمل تلك الآمال الرائعة فيك ، وتعلقها على مشارف قرى القلب المسكونة بالانتظار"(١٧٦).

يفصح عن أحداث الهجرة في قصصه (الأبواب) و(يصلكم مع حامل الرسالة) و(حمدان يسأل) ويصف السذاجة والفطرة والسطحية عند القرويين في قصتة(ابن عود) الذي يلجأ إلى منزل سعدان وزوجته صالحها ، وادعى أنه رب القافلة التجارية فهو ينتظرها فقدموا له الأكل الطيب وأغراهم بالوعود حتى ذبحوا بقرتهم ، واستعار حلي نساء القرية وفر هاربا .

وخاتمة مجموعته قصة زواج الشيخ(الشيخ بن الشيخ . يتزوج) تحكي منزلة أمير القبيلة ، وتحكي الإسراف الذي ينجم عن التفاخر وذلك بقدوم الزوج وأقرباته ومعارفه إلى حي والد الزوجة وعمل الأفراح والرقصات ونحر الخراف ومد الموائد في إسراف وتباه يبتعد عن العقلانية والعادة تلك مازالت جارية في بعض القرى .

٤- والقاص قد خرج عن نطاق المحلية إلى التلاحم مع العالم العربي ، حيث يمثل النزيف الذي يتفاعل داخل أبناء الجزيرة من الواقع الأليم ، والجراح الغائرة التالد منها والطريف ، تلك النكبات التي تقع على أرضنا أرض فلسطين، وعلى بيت مقدسنا ، وعلى أخوتنا ، والعالم من حولهم يغرر بهم أكثر مما ينصرهم ، ويكتفى بالأقاويل والشعارات ، وهو يشير إلى المأساة " شيخ يفقد عكازه بين الأنقاض والدخان : موت نساء يبحثن عن مأوى وسط الحريق: موت مقاتلين يرفعون الراية الملتهبة في لهب (الفسفور) "(١٧٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعد تلك العبارات الشعورية الرامزة إلى مشاهد واقعية يشير إلى مواقف العالم وأنها تتصدر الصحف ووسائل الإعلام فحسب ويتعرض لهم في سخرية وتهكم " في الصحف :

ـ الموقف صعب ، شديد ..معقد !

في القلب :

ـ الموقف صامت ، مخجل .. يستفز .

في الشارع :

الموقف صعب (نعم) نريد فرصة قدر شعرة..للقول : يسقط المتآمر "

الموقف مخجل ؟! (لماذا)؟!..

في التلفزيون..في الإذاعة:

طلعنا عليهم طلوع المنون فصاروا هباء وصاروا سدى "

و..

قاتلوا..

نحن معكم ،

بالقطن ...

بالملابس وبالبطاطين ..ندعمكم !

وقاتلوا..

نحن معكم أغان عاطفية في العيون السود.."..

وينقلنا إلى ميدان الجدل القتالي (بيروت) :

" سقط ألف

خمسة آلاف

عشرة آلاف

أطفال يقتلهم الدعم العربي

أطفال يقتلهم المال العربي

أطفال يقتلهم الصمت العربي" (١٧٨).

والقصة بوح الجراح لقلب القاص نفسه تنبض بشعوره ، وإحساسه أكثر من سردها قصة واقعية فهي قصة القلب الذي اصطلى بلهيب الأحداث المحرقة وهي تنداح في تموجات الشباب المسلم الذي يلتهب بحريق بيت المقدس ، ومرجل الفؤاد الفلسطيني ٠

والقصة من القصص القصير النادر الذي يخرج عن إطار المحلية ويقذف التجربة في أتون الصهريج الذي يغلي في عالمنا العربي والإسلامي ٠

بناء القصص :

المشري من أولئك القصاص في المملكة العربية السعودية الذين أثروا الساحة وتجاوزوا مرحلة السردية إلى التقريرية ، وأخذوا بأساليب شتى لبناء قصصهم ، فهم يزاوجون بين حكاية قصصية قديمة وأخرى تقوم على فراغات موضوعية ، وينتقلون في وقفات خاطرية ، وأخرى فضاءات أسلوبية تقوم على استدعاء الحديث ، ويلجأون إلى الرمزية أحيانا ، وقد تمازجت تجارب القصاص العرب والأوربين في تجاربهم القصصية ٠

المشري من أولئك الذين نهلوا من تفاوت البناء القصصي ، فقد استدعي الراوى من الحكايات القديمة ، وانتخب الأسماء من الأساطير ،فقصة عنترة بن رداد ، تمثل عملية التناص مع الماضي الاجتماعي والتراث التليد ، فقد اقتبس شخصيته وأحداثها والأبيات ذات الدلالة غير أن وقائع الحدث تنبع من المعاصرة فعنترية عنتر ليست في معارك حربية فالسيف سقط من قرابة ، وإنما تجلت في مصارعات في المعابر والطرقات وصرخات يرخي عنانها كأنه في قمة جبل أو تلعة من التلاع تعيد صدى صوته " كان عنترة يغني٠٠ يرفع عقيرته ٠٠فتلعلع في المباني التي ارتفعت ٠٠من اليمين ومن الشمال ٠٠تصطدم القوافي مثل لمعان البرق، بواجهات الزجاج، وتسقط كالعصافير فوق الاسفلت ٠٠وتحت قواعد العمارات الشامخة ٠٠يحمحم ، ويرفع عقيرته :

فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم (١٧٩)٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقصة ترمز للصراع النفسي الذي نتج عن تفاعل الحياة العربية الأولى مع المتغيرات الجديدة المعاصرة ، فالبدوي يهاجر يحمل الثأر ويحمل الأنفة ويحمل الرفض لما لم يألفه ، فيصارع ويجالد حتى يفقد صوابه ويضعف ويندثر كما قضت تلك على عنترة البطل في الطرقات : فالمدينة لاتحتاج إلى قوة البطش إنما إلى قوة العقل ورجاحته ، وقد رسم لنا ذلك في رفيق عنترة وصاحبه بعد مقتل عنترة :" أما ما كان من أمر صاحب عنترة فقد بكى قلبه حتى تفجرت مسامه بالقهر ..ولم يحس بفرط مسبحته ، إلا عندما انطلقت به السيارات الريح في الشارع الطويل " .

ويستعين بالحوار الجانبي بين شخصيات الأقصوصة مثل صحب السروي في رحلته للحج ، أو أنه يوظف الرسائل المتبادلة بين شخصيتين متبادلتين لتنتهيا بالجدل ، فيبعث الرجل الذي هاجر إلى المدينة إلى صديقه القروي وفيها يفيض بحب الحياة الريفية ويشكك في حياة المدنية ، كالرسائل المتبادلة في قصته (من السروي إلى شوق) .

وقصته (ترحلون) تنقلنا إلى بناء مستحدث جديد درج عليه بعض الأدباء المتأخرين من الذين ينشدون التواصل بين فنون الأدب ، فالأدب قصيدة شعورية فليس هناك بطل يتعامل مع الأحداث ، إنما هناك نبضات شعورية ، والقاص له الحق أن يزعم انتسابها إلى القصص ، وصاحب الشعر تتراءى له أن يضمها إلى ديوان الشعر المنثور ، والقصة تقوم على مقاطع ذات عناوين جانبية . صدرها بمطالعات . فيشير إلى مصدر التجربة حيث المطالعات الصحفية التي تبث موجات النكبات وتزرع وخزات الضمير فهناك موجات الظلمات المدلهمة من فلسطين ولبنان وغيرهما .

وتدخل في الأقصوصة من باب الإشارات لموجات متتالية من الأحداث والمواقف التي يفصل بينها بعلامات في وسط السطر تدل على انفصال الفكرة أو إنها فصول جديدة ، وهو يضع لكل فصل قصير عنوانا مثل : في الصحف ، في التلفزيون ، في الإذاعة ، في هيئة الأمم ، في بيروت ، أو الشارع .

القلب ٠٠ وهو توتر ينبض به قلب الكاتب ويتفاعل مع صور الأحداث العربية في فلسطين وفي لبنان ، فمحور الارتكاز في فصول القصيدة أو المقطعات هو الشعور بالإحباط للعالم العربي ٠

شخصيات القصص :

١ـ تنطبع الشخصيات بالطابع القروي الريفي حيث الهجرة إلى المدن والإعراض عن الأرض والحرث والانتقال إلى المعيشة الجديدة للحياة الحضرية فيحدث التوتر والتعارض والتأزم النفسي ، ويكون الفشل ، في الحياة كعنترة ابن رداد ، أو الندم والحسرة على الحياة الريفية ذات البساطة والفطرة والشعور بالثبات والتواصل مع الطبيعة ٠

٢ـ يختار الأسماء المتداولة في الجنوب ، سعيد ، وسعدان وعبدالله وصالحة وسعدى ٠

٣ـ اختار شخصية قديمة هي عنترة واستعار مع الاسم أحداثه فالعنترية البدوية أو القروية لاميدان لها في الحياة الحضرية ٠

٤ـ الشخصيات احتفظ بكيانها الواقعي فقد تجذرت في الريف وطباع حياته وانتقلت إلى المدن وتفاعلت مع حياتها واتضح أثر التمازج بين القديم والحديث في لي العنق إلى الريف الذي يفتح قلبه لساكنه ويستهويه أما المدن فإنها تلفظ أهلها أو تحويهم بالضياع والانقطاع ٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتشاء الأقدار(١٨٠)

لاريب في أن العنوان للأقصوصة أو للمجموعة القصصية يحمل دلالات في نفسية المنتقي ، ويتواصل مع المتلقي ، والقاصة انتقت عنوانها (وتشاء الأقدار) انتقاء فقد اختارته لإحدى قصصها ، واستهلت به مجموعتها ثم علت ذلك بقولها :" أما سبب اختياري لهذا العنوان دون غيره فلأن الأقدار لعبت كثيرا مع أبطال وبطلات هذه القصص" (١٨١).

والنظرة الأولى للعنوان توقع الكاتب أو القاريء في حيرة من أمره فكيف إذا رأى هذا التعليل والإصرار ، فالإسلام يعارضه والمسلم لايعلق المشيئة إلا بالله سبحانه وتعالى لا إلى الأقدار أو الدهر أو الايام ، ولا إلى المريد صاحب الإرادة من البشر وغيرهم وأعطى الله الإنسان حق الاختيار والإرادة بواسطة عقله ، فهو يعمل ويعارض ، وينفذ والله سبحانه يعلم كل ذلك ومن هنا يكون الجزاء والعقاب ، والذي يشفع للكاتبة أنها لم تتعمق في مضمون العنوان ودلالته التي ذكرتها أو هو ينبيء عن عدم معرفتها لهذه القضية الشرعية .

والعنوان عند الكاتبة يحمل قضية تريد أن تطرحها وتثيرها كقصتها(الفيديو) التي طرأت وأصبحت قضية معاصرة لزمن الكتابة ، وربما توضح الهدف من اختيارها للعنوان كقصتها (لاأريد شريكي ثريا ولاجميلا) و (والدي هما السبب) و(الغربة ضيعت صديقتي) .

ومن خلال مقارنة العنوان مع مضمون القصص فإننا نجد التلاحم والاندماج بينهما في وضوح وتقريرية . ويتضح أن المجموعة تمثل المرحلة الأولى من حياة الكاتبة الفنية ، فالقصص يجري على السردية في معالجة القضايا ، وينبي عن وعي الكاتبة بحركة المجتمع ، ودقة ملاحظتها ، وإحساسها بالمرأة ، غير أننا نفتقد العمق الفني في البناء والتراكيب اللغوية التي تجلب الصور وتثير الخيال .

ويتفاوت حجم القصص بين صفحتين وثلاث صفحات ، وأقله صفحة واحدة في قصة (عندما فقدت الاختيار) و(أيهما أختار) ٠ وربما تبلغ خمس صفحات في قصتها (زجاجة عطر) وقد كتبت قصصها في حجم متوسط ، ومن هنا تأتي قصصها خاطفة ، فلا تميل إلى الإطالة والاستطراد أو التحليل النفسي ، فهي تستمد موضوعاتها من واقع الحياة المؤطرة لها بوعي وإدراك لشرائح المجتمع وتحس بالمتغيرات التي تلاحقه ، فترصدها وتكشف عنها ٠

والكاتبة ملتزمة فكريا ، فهي تصافح المجتمع ، وتلج في أعماقه ، وتستميلها قضايا المرأة ، وتقف عندها بكل أحسيسها ، وتنحاز إليها ، ولم تنصف الرجل في جل كتاباتها بل توقع عليه مسؤولية الاضطهاد والظلم ، وقد أعلنت ذلك في مقدمتها"هذه القصص القصيرة أتمنى أن يجد القاريء الكريم العبرة الحسنة ، والتعود على فضيلة الصبر وقوة الإيمان ، والاتكال على الله سبحانه وتعالى٠٠ والرضا بالقضاء والقدر ٠٠كما أتمني أن يدرك مدى قوة احتمال المرأة على الألم وصبرها على ظلم الرجل ، وظلم الحياة لها ويدرك مدى ما تعانيه المرأة ويعظم تضحيتها " (١٨٢) والتوكل على الله أفضل من الاتكال مضمونا وتعبيرا ٠

البعد الاجتماعي :

كيما نعرف البعد الاجتماعي للقصة لابد من معرفة زمنها ومكانها فالقصة الأولى (أربعة عشر عاما قضيتها في دموع) كتبتها المؤلفة في عام ١٣٩٦هـ وتحكي واقعا اجتماعيا يمثل تلك الحقبة التي لم يتجاوز تعليم الفتاة السادسة عشرة من عمره ، فقد استهل في المملكة العربية السعودية عام ١٣٨٠هـ وتكاثفت النداءات والتوجيهات إلى تعليم الفتاة ، ومواصلته ، وهذا منطلق خير حصدنا ثماره ، وإن صحبته بعض الانحناءات فقد كان الوطن في حاجة إلى معلمات من بنات الوطن يستلمن قيادته ، ويمارسن التربية النابعة من المجتمع ويحافظن على أسسة ، وفتحت الأبواب لكل دعوة للتعليم ، فكانت التمثيليات موجهة نحوه وقد حملت لنا مغالاة ومبالغة ، فقد زرعت في نفوس الناشئة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقديم مواصلة التعليم على الحياة الزوجية ، وكذلك لانسى كيف جعلت الأم خادمة لابنتها؟ عندما تقدم لها الأطباق وأكواب الشاي والفتاة منهمكة في دراستها ، وكذلك فإن المعلمات الوافدات يحملن فكرا نيرا ولكن لايخلو من مبالغة فيضفن إلى ممارسة التعليم الدعوة إلى تأخير سن الزواج حتى تنتهي الفتاة من المرحلة الجامعية .

والقاريء لقصصنا القصيرة في هذه المرحلة يجد تلك الأفكار مجسدة بارزة في قصصهم كقصة بهية بوسبيت "أربعة عشر عاما قضيتها في دموع" التي تقول فيها على لسان شخصية القصة"بعد غد سيكون زفافك ،ولايصح أن تذهبي للمدرسة . .سمعت هذه الكلمة وشهقت ،وسرت برودة الموت إلى جسدي المرتجف ، وغرقت عيوني بالدمع ، وقلت وأنا أغالب موجة بكاء حادة لا أريد أن أتزوج ، سأكمل تعليمي أولا ، وكيف سأتزوج ، ولم يبق على الامتحان إلا شهر واحد ، وقلت كلاما كثيرا في موجة غضب حادة ، ولست أدري ماهو . .ورجوت أمي أن توافقني ، ولكنها قطعت آخر خيط لي بالأمل عندما قالت :إن كل شيء قد تم ولا يمكن الرجوع فيه ، وقضيت ليلتي ساهرة مفكرة دامعة العينين جريحة الفؤاد ، أبكي أحلاما تحطمت وآمالا ضاعت وهي في زهرة الشباب وأفكر في مستقبلي "(١٨٣).

والأفضل إزاء ذلك الاعتدال ، فمسيرة الحياة من الخير لها أن تقترب من الفطرة ، التي أيدها الشرع وأصدر فيها توجيهه" من أتاكم ترضون دينه وأمانته فزوجوه" فلا تحبس الفتاة من أجل التعليم إذا تقدم إليها الكفء والزواج لايقف حاجزا دون مواصلة الطلب والتحصيل ، والجمع بينهما أفضل ، ولاتحبس الفتاة في انتظار الزواج عن تحصيلها المعرفي .

وقصتها الأولى(وتشاء الأقدار) التي تحكي واقع الثري الذي تزوج بفتاة فقيرة هي قصة واقعية تتواصل مع كل عصر ، فالأثرياء قائمون في كل زمان ومكان والفقراء يسيرون بجانبهم ، والثراء يدعو صاحبه إلى تلبية رغباته ، ويدعو الأسرة إلى الاستجابة ، غير أن أحداث القصة ومراقبة الثري للفتاة

الذاهبة والآيبة من مدرستها ، واقتراض والدها لمعالجة والدتها من الجار الثري تحدد زمانها في مجتمعنا المعاصر .

والكاتبة تجسد آفة من آفات العصر تلك سرعة العربات في الطرقات التي اعتامت رؤوس الشباب ، فقصتها (لاتسرع فالطريق خطيرة) تبين كيف اختطف الموت الفتى في ريعان شبابه ، وزوجته الشابة في ميعة الصبا ، وابنته في سنتها الأولى ، فالمصيبة عظمى ، والأمر خطير جدا ، والسرعة يجب معالجتها .

وقصتها الثالثة (أمي في قلق) تتناول بعدا اجتماعيا مازال قائما ذلك هو عمل الفتاة في أماكن يرتادها الرجال كمهنة الطب ، والتمريض ، والعمل الصحفي ، وتحكي حيرة الأم المتنورة التي عارضت رغبة ابنتيها اليتميتين ، فإحداهما تريد التمريض وثانيتهما تهوى الصحافة ، والأم في قرارة نفسها راغبة لكن المجتمع يرفض الارتباط بفتاة تقابل الرجال في ميدان عملها "ومتى عرف الناس أنكما ستمارسان عملا بعد نجاحكما يختلف عن التدريس فالكثير من الرجال والنساء الجاهلات يعتبرون أن مهنة التمريض والصحافة شذوذ وقلة أدب وديننا الحنيف أعطى المرأة حقها في التعليم والعمل وجسَّمها ، وحدد معالمها ، ولكن بكل أسف لانزال بمشاكل عاداتنا وتقاليدنا البالية على تعاليم ديننا وهي بعيدة كل البعد عن ذلك " (١٨٤).

والواقع أن المشكلة لازالت قائمة وحلها ليس بالمستعصي ، فالدين لايبيح لها الاختلاط بالرجال ، وهذا حق ولكن أليس من الممكن أن تحل القضية بإيجاد مستوصفات تديرها النساء ، وتلجأ إليها النساء أيضا ، وهنا تحل القضية فنكون قد استمسكنا بالتعاليم الإسلامية ، وأرضينا المجتمع .

ومعالجة بهية بوسبيت لقضية (الفيديو) في أقصوصتها التي تحمل الاسم ذاته معالجة واقعية ، فقد زحف الفيديو تلك الآلة الإعلامية ، والآلة مسخرة لما يوظفها له الإنسان ، ولكن الفيديو أتى إلينا بآلته وبفكر صانعيه أيضا ، فأراد نشر فكر واستهدف أخلاقا ، بسبب قيام الفكر(والأفلام) التي تملاء الفراغ ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والناس اختلفوا في هذه الوسيلة ، فمنهم من قال : إنها عصرية وأقبل عليها بلا حذر ولاحيطة ومن هنا كان الضياع والدمار .

وفئة اقبلت بحذر وانتقت الصالح من الأفلام وبحثت عن الوسائل التعليمية والأحداث الجيدة والندوات والمحاضرات وسجلتها ، فهذه التي أخذت بالحكمة واستفادت ، وفئة أحجمت عنه ، وحاربته خشية منه ، لم تشأ أن تضع قدمها في مواطن الشك والريب ، وكان (سالم) بطل القصة في موقف بين هذه الاتجاهات فالأب قد أحجم عنه ، وزملاؤه قد متعوا أبصارهم به ، وحثوه عليه حتى أظهر العجز ، وكاد أن يكون ضحية السخرية ، فجاءه الحل بأن الدولة أخذت تحارب الأفلام السيئة المنحطة وتعاقب عليها " هل أصارحهم وأصبح في نظرهم كاذبا معقدا أنا ووالدي؟ فكيف أطلب منه أن يشتريه؟!

وصل المدرسة .. بادره أصدقاؤه بالسؤال .

أحس بدوار .. قبل أن يجيب .

مابك ياسالم لاتجيب ؟ هل انتهت فلوس والدك ؟

وضجوا بالضحك جميعا .

وفيما يبلع ريقه محاولا إظهار عدم المبالاة باستهزائهم أقبل زميل آخر وهو يلهث ويصيح :

هل سمعتم آخر أخبار الفيديو ؟

بدا الاهتمام على وجه الجميع وراقت الكلمة لهم .

إليكم الخبر .. لقد تقرر قفل محلات الفيديو وإتلاف جميع الأشرطة غير الصالحة"(١٨٥) .

وقد دأب القصص الصادر في تلك الفترة والصحافة التي تعني بالقضايا الإجتماعية على إدانة الأباء في التربية ، وزواج فتياتهم ، ويحملونهم مسؤولية العنوسة ، ومسؤولية فشل الحياة الزوجية ، وينتقون الحالات التي يقع فيها الفشل ويجعلونها تطفو على السطح وكأنها الحقيقة الثابتة ، حتى الأب بمعزل عن الثقة بل لابد من معارضته ، ونحن لو أحصينا الحالات التي

يفشل فيها الزواج بمعزل عن الأب لوجدناها تفوق الأولى عددا وتعقيدا . إذا فأين إنصاف الأب؟! وقد أنصفته القاصة بهية بوسبيت فى قصتها (الخوف الذي كان سعادة) حيث زوج الأب ابنته دون علمها ، فثارت لحريتها ولكنها وثقت بأبيها ، وأسلمت أمرها ، فكان اختيارا موفقا ، وقد انقشع الخوف وحل محله السعادة ، وأذكر أني سمعت قصة يتيمة تماثلها عبر الأثير من المذياع تتحدث امرأة عن مخالفة أبيها لرأيها تريد مواصلة التعليم بدون زواج ، وهو أجبرها على الزواج ، وبعد خمسة من الأولاد تعلن رضاها عن تصرف والدها ، وأنها في غاية السعادة ، وتحمد الله على هذا التصرف لاسيما وقد رأت زميلاتها اللاتي يشاركنها الرأى قد فاتهن القطار وظللن عوانس .

وإني أسجل تلك الفكرة الواقعية التي نقلتها بكل صدق عن بنات مجتمعها فرغم زواجهن الإجباري بلا إرادة أو استشارة " لكنها قررت بينها وبين نفسها أن تكون الزوجة الوفية المخلصة ، وتصبر على ما تلاقيه"(١٨٦). فقد أشارت إلى الفكرة في قصتها الأولى (وتشاء الأقدار) وكررتها في (والدي هما السبب) وها هي تذكرها في (عندما فقد الاختيار) .

وقد عالجت قضية الاتصال عبر الهاتف بين الفتى والفتاة ، وأنها عرضة للخطر في قصتها(زجاجة عطر) التي لو قبلتها لانفضت الألفة ، وأعرض الفتى عن خطبتها بعد أن علقت آمالها عليه .

وعرضت لمشكلة التأثر بالغرب عند أولئك اللاتي يسافرن لمواصلة التحصيل العلمي وكيف يتنكرن لمجتمعهن وصديقاتهن بل ويخالفن الشريعة بسلوكياتهن في قصتها (الغربة ضيعت صديقتي).

وقصة (إرادة الله) تسجل ظاهرة اجتماعية تبلورت نتيجة افتتاح المدارس للفتيات وقد حوت البيوت فتيات كبيرات بعض الشيء حجبن عن الدراسة وصغيرات أتيحت لهن الدراسة ، فأحدث ذلك أثرا نفسيا في نفوس البنات اللاتي منعن عن الدراسة " تم فتح أول مدرسة ابتدائية للبنات في حارتنا ، فسارع أبي إلى تسجيل أختى في هذه المدرسة بعد إلحاح أمي – أسوة ببنات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عمي وبنات الجيران ـ أما أنا فقد مانعت أمي في تسجيلي بحجة أنني كبيرة . . ."(١٨٧).

وبتكرار الوخز النفسي تغيرت نظرتها للأم " وقفزت فكرة سوداء من رأسي وارتسمت باسمة أمامي . .لابد أنك لست ابنتها ؟ ابحثي عن أمك الحقيقة . ."(١٨٨)

ولكن تلك الفتاة تواصل تعليمها بعد فترة وتبلغ أعلى المراحل وتظل تلوم أمها .

والواقع أن شخصية القصة لم توفق في معرفة نظر الأم ، فالولد الأكبر يكون عرضة لتجربة التربية فالأم والأب يحزمان عليه ، ويستخدمانه أكثر من غيره ، والأم خشيت على الفتاة من فشل الحياة الزوجية فالفتاة تزوج في صغر وجيلها من الشباب يراها . في مستهل الدراسة فيحجم عنها لأنها تسير مع فتيات أصغر وهكذا في نظر الأم فلعل لها عذرا ونحن نلوم .

هناك من يسخر ذاته لخدمة أبنائه وأخواته ، فالأب لايفكر بما تستدعيه ذاته ، وإنما يكسو أولاده أفضل الحلل ويغذيهم أفضل الأطعمة ، ويتناسى ملبسه ومطعمه . وهناك الأم التي تفقد زوجها في ريعان شبابها ، فتسخر حياتها لأولادها فلما يشبوا عن الطوق يسعون في الحياة وينتشرون ويتركونها وحيدة ، ومنهم من يقلوها بسبب زوجته ويترك رعايتها ، وهناك عاق تبرم بوالديه وأدخل أحدهما دار العجزة .

ويماثلهما الأخ الأكبر الذي فقد والده فبذل جهده ، والتحق بالوظائف من أجل إخوته حتى إذا تعلموا ابتعدوا عنه وربما يذكرون الأخطاء ، والشواذ ويهضمون حقه فيحس بالإحباط .

وهناك الأخت الكبرى التي ترفض الزواج من أجل القيام على أخوتها الصغار حتى إذا ما أكملوا تعليمهم ، وتفرقوا في مسارب الحياة ظلت وحيدة أحست بالندم على زمنها الذي وهبته لهم وقد طرحت (بهية) هذه القضية في قصتها (امرأة في الأربعين) وجعلت (مريم) تلك الفتاة الجامعية تحجم عن

الزواج وتصرف مرتبها على أخوتها فلما توظفوا تزوجوا وأعرضوا عنها ، فأخذت تعاني من الوحدة .

والواقع إزاء ذلك كله فإن الاعتدال مطلوب وإن الإنسان لايهضم ذاته ببذلها للآخرين ، ولا يغض الطرف عن حقوق الآخرين فأم الأطفال لها الحق في الزواج مع الاحتفاظ برعاية أبنائها وتشترطه وتبحث عن الزوج الذي يقبله والاخت تتزوج مع مراعاة الشرط ذاته ، أما أن يوقع اللوم على أولئك فماذا يعملون له إن الأغلبية لاتترك التقدير والأحترام والبذل والعطاء ولكن كل ذلك لايغني عن بناء الأسرة ، ومما شجع على تلك الظاهرة القصص الذي يعرض في تمثيليات بالتلفاز أو عبر المذياع ، فهي تصرح بمعارضة الأولاد لزواج الأب الذي فقد زوجته وهو مازال في مقتبل العمر ، ويعارضون زواج الأم التي فقدت زوجها وهي في مرحلة الشباب ، وبعد مضي الزمن يندم كل منهما ويطلب من الأبناء مالايقدرون عليه فتفسد العلاقة ، وكل ذلك ظلم وجحود وتعطيل للفطرة الإنسانية .

البعد الزماني :

تتخذ المجموعة القصصية للكاتبة(بهية بوسبيت)أبعادا زمنية من عام ١٣٩٦هـ حيث كتبت قصتها الأولى وعام ١٤٠٤هـ التاريخ الذي انتهت من كتابة قصتها (زجاجة عطر) آخر قصصها .

وهذا الامتداد الزمني هو مرحلة الطفرة وإن مثلت الحكايات القصصية بعضا من المراحل السابقة التي أفرزت قبلها ، غير أن جلها كتب في ظلالها

والطفرة كأنها تيار مائي حمل معه عواصف هوائية تقابلت على المجتمع ولولا الثبات على العقيدة من المجتمع والسلطة التنفيذية ، والهيمنة الثقافية لطرأت تغيرات وانحرافات ولكن المجتمع في جل سلوكياته اقتبس الأشعة الضوئية واستنار بها ، وأوصد أبوابه في كل ما يشتبه أمره ، ومع الحذر طرأت بعض القضايا التي هي أحوج ما تكون إلى رصد ومعالجة ، كأي مجتمع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

متحرك متطور يبحث عن الفكر النير ، فهب أرباب الفكر لمعالجة ما يفد من قضايا ، وكشفها الأدباء من الكاتب والقصاص ، والصحفيون .

ومن القصص التي مثلت تلك المساحة الزمنية مجموعة(وتشاء الأقدار) التي سلطت الأضواء على قضايا المرأة لأن الكاتبة فتاة سعودية ، فهي أعلم ببنات جنسها ، فالتمست أفكارهن من الواقع ، والكاتبة لم ترصد القضايا الاجتماعية رصدا استبيانيا وإنما تناولت لحظات أو شرائح صغيرة من ذلك الهيكل الاجتماعي الكبير، ففي تلك الفترة الزمنية بل أولها بصفة خاصة طرأت قضية تردد الفتاة والأسرة بين الزواج المبكر ومواصلة التعليم ، فكتبت قصتها (أربعة عشر عاما قضيتها في دموع)عام ١٣٩٦هـ و(الخوف الذي كان سعادة) و(والدي هما السبب) وكلها حول التعليم والزواج المبكر .

ونراها ترصد قضية نتيجة الفيديو في زمن ظهوره عام١٤٠٠هـ في بداية انتشاره ، وأيضا ترصد الوقائع نتيجة استقبال الوطن لأبنائه الذين بعث بهم إلى الدول الغربية ، فنالوا حظا من التعليم وتغيرت سلوكيات بعضهم ، وكذلك استفحال قضية العنوسة وغيرها ، ذلك ما ظهر في المرحلة الزمنية التي أشارت إليها وأبانت الكاتبة عنها .

بناء القصص :

المجموعة (نبض فتاة) كونت مفاهيمها الذهنية عن البناء القصصي والقصة القصيرة بطرفيها الشكل والمضموني عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، وبناء القصة القصيرة في زمنها يقوم على السردية والتقريرية ، ومعالجة القضايا في كشف ووضوح ، فنأت عن التكثيف والإيحاء ، وأطلقت العنان ليراعها بالإفاضة المتدفقة التي تقوم على بناء فني متواصل مع مراحل القصص الأولى وبعضها يلتقي مع المقالة العاطفية الشعورية كقصتها (إرادة الله) فتحكي العقبات التي اعترضت سبيل فتاة عارضتها أمها ، وحاولت أن تصنع منها ربة بيت ، لكن لم ترض وكررت المحاولات حتى أتيح لها فنالت الجامعة .

والكاتبة تستهل قصصها بفيض من الخواطر التي تعطي صورة متكاملة عن القصة أو الحكاية ، ثم يأتي السرد التفصيلي كمقدمتها لـ (امرأة في الأربعين):" لم أكن أعلم بما يخبيء لي القدر في طياتة ، ولكني رغم الأحزان التي فاجأني بها القدرْ انغمست فيها ، حتى قدمي وحاولت بكل قدرتي أن أجعل من نفسي أبا وأما وأختا وصديقة لأخوتي ، زرعت فيهم كل الخير والمودة وضحيت بالكثير والكثير من أجلهم ، وماكنت إخال يوما أنني أزرع في أرض قاحلة لايطيب فيها الزرع ولايثمر "(١٨٩) ثم سردت كيف مات والدها وكانت أكبر أخوتها ، وفي المرحلة الأخيرة من الجامعة ، فتعهدت تربيتهم وامتنعت من الزواج ، حتى نالوا حظا من التعليم ، وانفضوا من حولها وتركوها وحيدة .

وهي في بعض قصصها تبدأ حكايتها الأولى وتستمر في سردها بتقريرية واضحة ، كقصتها (لاتسرع فالطريق خطيرة) وأحيانا تأتي بالمناخ الذي يولد التجربة القصصية ، ويجسد القضية الاجتماعية ، كقولها في قصتها(أمي في قلق) :" إن كثيرا من الأمور والعادات لاتخضع للجدل والاعتراض وخاصة إذا كانت من الأمور الشرعية ، أما العادات والتقاليد فالحال يختلف ، فبعضها محكوم بالقيم والمباديء وبعضها قابل للتغيير والتجديد بحكم تقدم العلوم والتكنولوجيا فالآمال والطموح شيء وجهل المجتمع وتعصبه شيء آخر"(١٩٠).

ثم تسرد العقبات التي وقفت في وجه التحاق الفتاتين بما تهويان فواحدة ترغبُ مهنة التمريض وأخرى تميل إلى الصحافة لكن المجتمع لايحبذ هذه المهن الأمر الذي جعل الأم تحجم عن إلحاق ابنتيها بهاتين المهنتين ، ومادام القضية لم يقطع المجتمع برفضها أو تأييدها فأنها لم تحكم في خاتمتها وإنما قالت " أمي وما ذنبنا نحن بنات حواء من مجتمع لايرحم" وتبقى الإجابة متروكة للتدبر .

وقد خرجت عن المألوف في بناء قصصها في قصتها (لاأريد شريكي ثريا وجميلا) فقد اعتمدت الرسائل المتبادلة بين الخاطب والفتاة وذكرت الفتاة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تطلعاتها وآمالها في الحياة واشترطته " أما عن مباهج الحياة أو ترف الدنيا فكل هذا لا أبالي به لأنه في نظري زائف يزول بزوال الأيام ، فلا يبقى بعد ذلك إلا الحب والحنان والذكرى الطيبة ، فإن رأيت ياسيدى أنك تستطيع أن تهبني وتوفر لي مطلبي هذا وتعوضني من نبع حبك ونهر حنانك كل ما حرمت منه في طفولتي وصباي كنت لك خير زوجة وخير رفيق على الحياة وأسعدتك بالسعادة غير مايراها الآخرون ، فأنا أرى السعادة الحقيقية ليست بالجمال ، ولا المال ، ولا بالسلطة والمركز العالي ، ولابالشباب لأن هذه الأشياء كلها زائلة .. وأرى السعادة الحقيقية التي يبحث عنها كل الناس ، ولا يدركونها أنها تتمثل في راحة الضمير والصحة والأمان والاستقرار في وجود الحب ، وتوفر الحنان ، والتفاهم بين الزوجين "(١٩١).

شخصية القصص :

من يقرأ قصص(بوسبيت) يجد أن محور الارتكاز يدور حول شخصية البطل في القصة ، فشخصية القصص متطورة متحركة متفاعلة مع الأحداث فهي تنمو من الطفولة فتحمل معها تلك التربية في شبابها ومسيرة حياتها كقولها في قصتها(الحب الذي ضيعني) :

" أنا وحيدة والدي فائقة الجمال محبوبة من الجميع ، من كل الناس ، لى أخوة كثيرون عشت طفولتي وصباي كأسعد فتاة في الدنيا ولم أتمن شيئا إلا وحصلت عليه .. طلباتي كانت أوامر ، نلت الشهادة الثانوية ثم التحقت بالجامعة ونجحت بتفوق في السنتين الأولتين مما زاد حب والدي لى ومما جعلني أفتخر واعتز بنفسي كثيرا في العطلة الصيفية تقدم لي خطاب كثيرون مختلفون في المناصب والشهادات رفضت بعضهم معتذرة باكمال دراستي ، ورفضت البعض الآخر لأني لم أجد فيه الصفات المطلوبة ثم حصلت على الشهادة الجامعية وأصبحت موظفة تحتل مركزا كبيرا فزاد غروري بنفسي ، وامتلأت كبرياء وإعتزاز ، وتقدم لي خطاب كثيرون مختلفون في المناصب والشهادات أيضا رفضتهم جميعا ، كان غروري يصور لي أن كل رجل يتقدم لخطبتي أنه أقل

مني بكثير لايستحقني حتى انقطع الخطاب من طريقي وهأنذا أسير في نهاية الأربعين ومازلت أشعر بأني امرأة لم أعد أعرف طعما للحياة السعيدة ، ولم اعد أشعر بلذتها ، انقلبت حياتي من سعادة ورفاهية إلى عذاب يعصرني ويسوقني إلى موت بطيء" (١٩٢).

وقريبا من هذا آخر مجموعتها القصصية (أربعة عشر عاما قضيتها في دموع) وفي (امي في قلق) ، أما قصتها الأولى فإنها ربطت الفتاة بزوج لاترغبه فتحكي حياة الفتاة التي تتوارد عليها خواطر الوفاء والإخلاص للزوج، وبين الإغراء الذي تراه في الطبيب المعالج لزوجها ، لكن يحفظ الطبيب صداقته ويمتنع عن صاحبة النزوة الشيطانية ، فتعود إلى رشدها ، وكأنها تفيق من غيبوبتها وتواصل مسيرة حياتها وتحمد الله على النجاة ، إذا فالأحداث تابعة من بطلة القصة مؤثرة فيها ومتأثرة بها ، هذا ما يسمى بتطور الشخصية وتفاعلها .

وتظهر شخصية القصة في قصة (زجاجة عطر) وتمثل ارتباط الفتاة مع المجتمع في حيطة وحذر ترقب نفسها ، فالفتاة تتحادث مع صديقتها (سارة) ويدور الحديث حول الفن التشكيلي الذي تعشقه بطلة القصة (نجلاء) وتصطحب سارة بعض لوحات نجلاء لعرضها على ابن خالتها (ماجد) الفنان التشكيلي وتم التواصل عبر الهاتف ثم الإعجاب أيضا وتتمناه زوجا " وأحسست بمرور الأيام أن شيئا ما لاأدري كنه يشدني إليه ويجذبني بقوة غريبة ، ويقربني معه أكثر، كل يوم ، وانتابتني الحيرة لهذا الشعور ..المفاجيء وتسورني القلق كثيرا من الليالي والأيام ، وكان سؤالا واحدا يعذبني دائما ترى ماهو شعوره نحوي ؟ وجال في فكري خاطر جديد عندما تذكرت صديقتي سارة ترى ماهي حقيقة علاقتها به؟ هل هي مجرد ابنة عمته بالنسبة له ، وهل هو مجرد ابن خال لها؟" .

ولكن يتضح لها أن ماجدا أخ لسارة من الرضاعة فلا زواج بينهما ، إذن فإن هاجس الحب ربما يكون صادقا وتظل الحيرة حتى يقدم لها ألوانا من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآلات المساعدة وفي داخلها زجاجة عطر ، فتحس بالحيرة وتكاد تقذف بها لولا آمالها لقطعت حبل الاتصال ، ورفضت الهدية بشدة وكبرياء وأعادتها إليه وإذا الإعادة والرفض هي المطلب الوحيد لماجد فكأنه إختبار فهي إذا قبلت منه قبلت من غيره فتصاب بصدمه نفسية كيف لو أخذتها بحسن نية ومجاملة ؟!

وهكذا تنقلنا القاصة مع أحاسيسها الشخصية المتغيرة المتطورة حتى مرحلة الزواج .

أحبك ولكن (١٩٣)

مجموعة قصصية للقاصة المذيعة (مريم محمد الغامدي) تمثل شريحة اجتماعية من شرائح المجتمع في المملكة العربية السعودية ، فتستعيد حياة الريف في الجنوب ، حيث الزراعة ورعي الماشية ، والحياة القروية ، وقد نقلت لنا تلك اللوحات كما هي وقد استمدتها من الماضي القريب الذي عايشته أو صحبت من عايشه .

والقصة تتكون من أربع عشرة قصة في خمس وثمانين صفحة من القطع الصغير ، وقدم لها القاص والكاتب الصحفي محمد صادق دياب المشرف على ملحق المدينة (الأربعاء) يقول عنها :" وهي في مجموعتها القصصية القصيرة هذه تحاول أن تقدم بفطرتها " في تكوين قصصي " مجموعة من التداعيات العفوية لمشاعر " أنثى" تعيش صخب المدينة حينا وتتجاوز أسوارها إلى سكون القرية حينا آخر .. وهي في الصخب والسكون تتفجر بـ"المأساوية" التي توشك أن تكون المصير المحتوم لبطلة هذه المجموعة المتكررة في معظم هذه القصص ولكن بأثواب متعددة ومسارح اجتماعية مختلفة ، ومستويات ثقافية متباينة!!(١٩٤).

البعد المكاني والزماني :

حينما يجوب القارىء أعماق القصص يدرك أن جنوب البلاد هو المكان الذي يحوي بين جوانبه أحداث القصص ، ونقترب إلى تحديد المكان من خلال معرفتنا الشخصية بموطن قبيلة القاصة ، فقبيلة (غامد) تستوطن الجنوب الأقرب للطائف من بلجرشي والباحة ، وبيشة ، وكان من الأفضل أن تلمح القاصة إلى القرى أو المدن ، والقصص يدور في فلك ذلك المكان ما عدا (مركب الشمس المنتظرة) و(القرار الصعب) و(يموت الانتظار)و(حدث ذات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليلة) وجلها في مدينة جدة كما أشارت إليها في صراحة ، وقد حددت مكان الكندرة أيضا .

أما البعد الزماني :

فإنه يتراوح بين الأربعين والثلاثين عاما سلفت ، تلك المرحلة التي تمثل الهجرة إلى المدينة ، وانتظار العائدين ، وصعوبة الدروب والمسالك حيث (عقبة الموت) ويتكاثف ذلك في أحاديثها عن حياة الصبا لفتاة الجنوب في جل قصصها

ويتضح الزمن القريب من تعاطف المعلمات وتآلفهن ، وتحملهن المسؤولية التربوية والأسرية في القصة (القرار الصعب).

البعد الأجتماعي :

تستذكر القاصة الماضي القريب الذي يلفع القرى والحياة في جنوب جزيرتنا التي أضحت معلما سياحيا لجمال جبالها وشعبانها وتلاعها ، وانحدار أوديتها ، وتواصل أشجارها الباسقة بعنان السماء ، ومعانقة السحب لجبالها وأشجارها والأولاد يتنادون ويقفزون ، والأغنام تتثاغي ، والنساء يطلقن صرخاتهن محذرات الأطفال والأغنام خشية جرف السيول أحيانا ، وفي قصتها (الغنم والسيل يامهرة) التي صدرت بها مجموعتها تكشف عن :

١ــ مهمة النساء في المجتمع القروي في جنوب بلادنا ، فهي تعمل في الزراعة وتقوم بالسقيا في قرب الماء ، وترعى الأغنام .

٢ــ مهمة الرجال " التسوق والحفاظ على النساء ، والإنجاب ، وعار أن يحمل أحدهم قربة زوجته" (١٩٥).

والقصة تذكرنا بقصة (الأرض الطيبة) التي تحكي حياة الفلاح الصيني وزوجته العاملة التي تلد في المزرعة منفردة حيث إشارتها إلى ولادة(فكرة) التي أنجبت في خارج دارها ، والمطر ينهمر ، والبرق ينشر ضياءه والبرد

يوقف الحركة ، ولم يحس بها إلا الصبيان الذين تغمرهم الفرحة بنزول الأمطار .

وقصتها (أعيدوا إلى كفني) تحكي الحب العفيف الذي يتولد عن التعارف والإلتقاء في الحياة الريفية ، ويتوج بالزواج وإن حال دونه الحريق الذي غير معالم الزوجة المعشوقة فعذرته .

وليست هناك قصة ـ من القصص التي اطلعت عليها ـ تمثل واقع رعاة الأغنام في جزيرة العرب أكثر من قصتها (المجنونة تحاول تغيير أعراف القرية) حيث الأم تستيقظ مبكرا ، وتعد الأغذية ، تدعوا الأولاد للنهوض ، ينهضون بتثاقل ، تخرج الشويهات ، ويختلط الثغاء بين البهم وأمهاته ، والبرد يتماوج في لفحات شديدة :" أضع قبعتي على رأسي ..لاأغسل وجهي!!لاأسرح شعري!!أدثر قدمي المرتعدتين بردا ورعبا بقطعة صوفية ..البهم الصغير يقفز فوق أمه ليراني ..يخرجون خرافي ..شويهاتي ..بهمي فرحين جذلين يدعونني بثغائهم حيث الحرية والانطلاق بدون أسوار .."(١٩٦).

وأخيرا ترسم معاناة الفلاح" مسكين أبي !! يقف بجوار البئر ..البئر الخطيرة تلك التي أغرقت أخي ذات صباح ..عندما كان يبذر (الحب) و(الحُب) في الوادي ..وقف على حافتها يعدل وضع البكرة التي يرتكز عليها حبل الدلو ليجلب الماء من البئر والغروب " التي يجرها الثوران ـ اقترب من (عينها) فابتسمت له ـ " فزلت قدمه ..و "ارتمى في أحضانها ..و "غرق" في قاعها ـ ولم يعد ذلك الصبح حتى عندما أخرجوه في المساء .." (١٩٧).

وهي تحكي المعاناة التالية التي أدت إلى رحيل الأهل عن البئر التي التهمت الأخ والأب " بكيت يومها ..صرخت ..ترحل!! فهجر تلك البئر (الغانية) التي تفتح أحضانها لضحاياها ..و "تغريهم" بالاقتراب منها حتى" يقعوا في غرامها ..و" يموتوا" فيها ..ماذا؟! المجنونة تحاول تغيير أعراف القرية ، نهجر حقولنا ..وبيتنا ..وبئرنا ..ووادينا؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكنها بعد أن امتد العهد وتباعد الزمن ، عاودها الحنين إلى الأرض إلى (الوطن) والآن عندما كبرت ..أحببت البئر .. كلما ذهبت إلى قريتي الصغيرة النائمة في حضن الجبل مررت بها .. فقد احتضنت(حتى الموت) كل من أحببت ..وكان يمكن أن أحب "(١٩٨).

إنه حب الوطن حب الأرض ، الذي لولاه لخرب بلد السوء فكيف بأرض مثل تلك الديار الجميلة العامرة بالخيرات .

وقصة (أحبك ولكن ...) تندرج خلف قصتها الأولى حيث تصوير التآلف والتواد والتحاب بين الرعاة ، أو بين أبناء القبيلة أو القرية ثم يكون العشق ، وإن كانت تحول دون الزواج التباعد الأسري من حيث المكانة الاجتماعية ، والمال وحسن التعامل (١٩٩).

وتستمد حكاية قصصها من الحياة الريفية ، فنلمحها متجلية في ثنايا القصص ففي (المرأة الشبح) تقول :" عدوت خلفك ..وأنا متسيبة القدرة على الركض ..أتعلق بثوبك ..بقلبك ركضت متعثرة الخطى ..مسلوبة التصديق ..قفزت أقطع حقول الذرة ..أغتال زهور الوادي ..أطأ حبات الحنطة المتناثرة ..شوك ..(الطلح)يدمي قدمي .."(٢٠٠).

والقاصة يسجل لها تدوين الحياة القروية لكن يؤخذ عليها أنها لم توغل في اعماق المجتمع وتتلمس قضاياه ومشاكله وتوجيهاته وتعالجها وربما يعود ذلك إلى فقدان المعاناة في مجتمعها بفضل الله ثم وجود الأمن والأستقرار والرفاه ، وهي أيضا لم تتعامل مع فئات المجتمع التي تعاني من نوائب الدهر ، ولم تتناول مشكلة لها صفة العموم أو تطرح قضية تعليمية أو اجتماعية .

بناء القصة :

يعتمد بناء القصة عند مريم الغامدي على استذكار الماضي البعيد ، فتطوف عليه بفكرها وتستلم شعور الماضي وتنظمه في توارد الخواطر التي مازالت لوحاتها عالقة بالذهن ، وهي متقاربة الفعل ، وكأنها قد صورت مشاهدات متواصلة مع بعضها وربما أن الذكريات تحولت إلى أحداث حية لقوة تعلقها

بنفسية القاصة ، إذ ربما شهدت الأحداث في صباها ، وتعمقت في وجدانها ، وقد تقف موقف المشاهد الذي يتأثر بما يرى ، ففي قصتها الأولى أستعادت ذكريات (مهرة) التي تقفز مع أترابها ، وترعى الأغنام ، وتحمل الماء وتتجاوب مع الطبيعة ، وتشاهد النساء في مزارعهن ، وقد وقفت طويلا عند عملية ولادة (فكرة) إذا فالقاصة تحكي واقع (مهرة) القريبة الشبه بالشعور الذي يعتلج في ذاتية مريم الغامدي .

وتكثر في ألفاظ القصة بعض الكلمات التي تحتاج إلى تعريف مثل (الشكوة) و(الحقينة) و (الدهانة) و (السقان) و(القصيل) و (المرزح) وغيرها الكثيرة .

والقصة الأكثر تأثيرا وتجتذب القاريء هي قصة (اعيدوا إلى كفني) التي احترقت فيها بطلة القصة بعد حب ختم بالموافقة على الزواج لكن قوض ذلك الحريق الذي شب في غمرة الفرحة . فأدبر عنها أملها ، وعذرته ، والقصة تتوارد مع الشعور في عفوية صادقة ، الأمر الذي يجعل النفس تتفاعل معها ، وتتعاطف مع البطلة والبطل أيضا ، فقد استهلتها بلوحة متكاملة عن هواجس حياة الحب الأولى" أقلب وجه النهار ..أفتش في غيمه المثقل بالوجوم عن وجهك..أعبث في صدر السكون ..أبحث عن زمن كنا نجنح فيه كفراشتي وجد..لؤلؤتين في محارة عشق بدائية ..

ها أنا أركض في زمني وحدي..أسقط في إعياء ..أحمل أوراقي وأقلامي الملونة ..أحاول رسم صورة لك..أحاول تذكر ابتسامتك كأمسية قمرية..أحاول أرسم وجها بدري التكوين.."(٢٠١).

ثم أخذت في السرد من اشتعال الحريق حتى كشف عنها الكفن الأبيض الذي جللت به وقت الحادث فإذا بها مشوهة ، وهي تقوم على الحدث وتتابعه وتأثيره في النفس أكثر من التحليل والتفسير والولوج داخل النفس .

وتقوم حكايات المجموعة على الإيجاز والنبض السريع الذي يحاكي توارد الخواطر ومن هنا استطاعت القاصة أن تنتظم أحداثها في صفحات قليلة لا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تتجاوز الأربع وهي تعتمد على الفضاءات التي تشير إليها (بالنقطتين) وإن كانت في أكثرها لاتعني فراغا معنويا .

والقصص يقوم على السردية واللغة الناصعة اللتين تدلان على قدرة القاصة حينما وظفتهما في رسم الشرائح الريفية وتصويرها للمشاهدين .

والفصحى لغة القصص ولا تلجأ إلى العامية إلا في النادر القليل لاسيما في المصطلحات المتعارف عليها ، ولغة القصص قريبة إلى الشعبية التي تدركها شرائح القراء ، وهي تسمو عن السطحية فيما تصوره من لوحات مرئية وذهنية .

ويتبلور الإحساس الصادق في قصصها لأنها مستمدة من الواقع الذي خاضت القاصة عبابه ، وتفاعلت مع نبضاته ، فقرع شعورها ، وامتزج بذاتيتها .

والقصص لايتعمد طرح المعالجة أو يتعمد البحث عن مشكلة ذات أبعاد شائكة ويجلو قضاياها ، وإنما هي تسجيل لواقع تميل النفس إليه ، تتذكره في خضم المدينة والمدنية الأمر الذي جعلنا نلمس الميل والحنين إلى الأيام السالفة القروية الجميلة التي تقوم على الفطرة والتآلف والتواد .

وتستمد أسماء شخصياتها من أسماء بيئة الجنوب مثل مهرة وزهرة وأحيانا لاتلتفت إلى تسمية الشخصية : فالقاصة تتحدث بلسان حالها ونبضات قلبها ولاتذكر اسم البطلة كمثل(أعيدوا إلى كفني) .

شخصيات القصص :

تدور شخصيات أقصوصات الكاتبة مريم الغامدي حول الإطار الإجتماعي فالشخصية في قصتها تنبع من الريف ، فتتولد أحداث الشخصية من واقع الحياة الريفية ، كما يتضح من وصفها الحياة الرعوية (أحمل نصيبي من الخبزة) الشهية صنعتها أمي في (المشهف) ..باتت ليلها على رماد(الصلل) ..تدثر أمسها الماضي بحبات الجمر .. كنت أرقب أمي وهي تعجنها بيدها الكبيرة على ظلال وهج النار المرتقصة في المساء ..من أعشاب (العرفج)

الجافة ..أعجب كيف يد أمي كبيرة تعصد (العصيدة) الكبيرة؟! كيف يدها الكبيرة تصنع" (الدغابيس) الكبيرة!! أمي عظيمة!!" .

وشخصيات القاصة في أغلبها سطحية غير متطورة تنظر إليها القاصة من الخارج وتصفها في لحظة من اللحظات التي تستوعبها القصة القصيرة ، ومن هنا يستحيل على القاصة أن تسير مع حياة الشخصية وتطورها غير أنها تخالف ذلك في قصتها(أحبك ولكن) فالفتاة الريفية تهوى بقلبها وتآلف ولكنها تحكم العقل في الزواج من (يعين الله) الذي تعشقه وتحاوره بقولها : "آه.." "يعين الله " رغم ذلك لن أتزوجك !!

لقد أتهم أبوك امي الطيبة ذات يوم بأنها خرجت في الليل لتقطع شجيرات (اللوز) وأتهمت أمك أخي بأنه دفع بثوركم (مقرون) إلى البئر وهو يجر الغروب .."(٢٠٢).

ويظهر تطور الشخصية وملاحقه التوتر النفسي في قصتها (أعيدوا إلى كفني) تلك التي عشقت" أريد مرآة !! أصرخ مرآة!! أذهب إلى الحمام ..على ذراعي معلقة حقيبة التجميل ..أقف أمام المرآة ..انظر إلى وجهي؟! يدور رأسي ..تضعف ركبتي ..أتهاوى ..وعندما افقت ..تذكرت الموقف .." ياه منظر فظيع ..مريع ..شنيع ..لم يكن في رأسي شعر ..وجهي ليس وجهي لقد اختلطت الملامح ..ليس له حاجبان ولا رموش ..أنفي لم يعد فيه إلا فجوتان ..اخذت أصرخ : كفنوني ..أعيدوا كفني ..(مهند) كان معي طوال الوقت ولم يهرب إلا عندما ظهرت الحقيقة .."(٢٠٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حواشي الفصل الرابع

(١) أحمد السباعي ، خالتي كدرجان ، مجموعة قصصية ، دار قريش الطبعة الأولى ، مكة

(٢) أحمد السباعي ، خالتي كدرجان ٢ .

(٣) رواه الترمذي ، انظر منار السبيل ٢/١٦٠ الطبعة السابعة .

(٤) المرجع السابق ٤٩ .

(٥) المرجع السابق ٢٦ .

(٦) المرجع السابق ٢٧ .

(٧) المرجع السابق ٢٧ .

(٨) أحمد عبدالغفور عطار ، جحا يستقبل نفسه ، طبعت عام ١٩٧٩م .

(٩) أحمد عبدالغفور عطار ، جحا يستقبل نفسه ١١٦ .

(١٠) المرجع السابق ١١٩ .

(١١) محمد علي مغربي ، البعث ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م جدة ، نشر تهامة .

(١٢) محمد علي مغربي ، البعث ١١ .

(١٣) المرجع السابق ، الإهداء .

(١٤) محمد علي مغربي ، البعث ٣٣ .

(١٥) جحا يستقبل نفسه ، المقدمة .

(١٦) لقمان يونس ، من مكة مع التحيات ، الطبعة الثانية١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ، دار الشروق

(١٧) المرجع السابق ٦ .

(١٨) المرجع السابق ٢٣ .

(١٩) المرجع السابق ٢٥ .

(٢٠) المرجع السابق ٣٦ .

(٢١) المرجع السابق ٩٣ .

(٢٢) المرجع السابق ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢٣) المرجع السابق ١٣٦ .

(٢٤) غالب حمزة أبو الفرج ، ذكريات لاتنسى ، مجموعة قصصية ، الطبعة الأولى١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، المكتبة الصغيرة .

(٢٥) المرجع السابق ٥ .

(٢٦) المرجع السابق ٧٦ .

(٢٧) انظر ، ذكريات لاتنسى ٩ .

(٢٨) المرجع السابق ٢٨ .

(٢٩) المرجع السابق ٦١ .

(٣٠) عبدالله بوقس ، خدعتني بحبها ، مجموعة قصصية ، نشر تهامة .

(٣١) إبراهيم جبرا ، ثلاثة قرون من الأدب ١ : ٧٥ .

(٣٢) انظر ، عبدالله بوقس ، خدعتني بحبها ٥٥ .

(٣٣) عبدالله بوقس ، خدعتني بحبها ٦٥ .

(٣٤) المرجع السابق ٧٥ .

(٣٥) المرجع السابق ٩٢ .

(٣٦) المرجع السابق ٩٥ .

(٣٧) المرجع السابق ١٠٧ .

(٣٨) المرجع السابق ١١٧ .

(٣٩) ثلاثة قرون من الأدب ١ :٧٦ الكاتب لمجموعة من المترجمين .

(٤٠) عبدالله بن عبدالرحمن جفري ، الظمأ ، الطبعة الأولى١٤٠٠هـ ، نشر مؤسسة تهامة .

(٤١) المرجع السابق ١٣ .

(٤٢) المرجع السابق ١٥ .

(٤٣) المرجع السابق ١٥ .

(٤٤) المرجع السابق ١٥ .

(٤٥) المرجع السابق ٢٨ .

(٤٦) المرجع السابق ٣٩ .

(٤٧) المرجع السابق ٤٤ .

(٤٨) المرجع السابق ٩٧ .

(٤٩) المرجع السابق ١٣ .

(٥٠) المرجع السابق ١٧ .

(٥١) المرجع السابق ٢٥ .

(٥٢) المرجع السابق ٥٣ .

(٥٣) المرجع السابق ١٠٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(٥٤) المرجع السابق ١٠٨ .

(٥٥) المرجع السابق ١٠٨ .

(٥٦) المرجع السابق ٤٥ .

(٥٧) المرجع السابق ٤٨ ، ٤٩ .

(٥٨) المرجع السابق ٢٧ .

(٥٩) المرجع السابق ٦٧ .

(٦٠) المرجع السابق ٢٨ .

(٦١) المرجع السابق ٧٤ .

(٦٢) المرجع السابق ٧٥ .

(٦٣) المرجع السابق ١٥ .

(٦٤) المرجع السابق ٢٠ .

(٦٥) المرجع السابق ٨٧ .

(٦٦) المرجع السابق ١٣ .

(٦٦) المرجع السابق ١٣ .

(٦٧) المرجع السابق ١٤ .

(٦٩) المرجع السابق ٢٦ .

(٧٠) المرجع السابق ٢٣ .

(٧١) المرجع السابق ٣٨ .

(٧٢) المرجع السابق ٢١ .

(٧٣) المرجع السابق ٣١ .

(٧٤) المرجع السابق ٣٣ .

(٧٥) المرجع السابق ٨٠ .

(٧٦) محمد علوان ، الخبز والصمت ، مجموعة قصصية ، دار المريخ ، الرياض القاهرة ١٩٧٨م الطبعة الأولى .

(٧٧) محمد علوان ن ١٧ .

(٧٨) محمد علوان الخبز والصمت ٣٤ .

(٧٩) محمد علوان ، الخبز والصمت ٣٧ .

(٨٠)محمد علوان ، الخبز والصمت ٣٧ .

(٨١) محمد علوان ، الحكاية تبدأ هكذا .

(٨٢) محمد علوان ، الخبز والصمت .

(٨٣) محمد علوان الحكاية تبدأ هكذا ٧ .

(٨٤)المرجع السابق ١٢ .

(٨٥) المرجع السابق ١٤ .

(٨٦) محمد علوان ، الحكاية تبدأ هكذا ١٦ .

(٨٧)المرجع السابق ١٩ .

(٨٨) المتنبيء ، الديوان ٣ :٤١ ، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي .

(٨٩) محمد علوان ، الحكاية تبدأ هكذا ٢٣ .

(٩٠) المرجع السابق ٣٠ .

(٩١) عبدالله السالمي ، مكعبات من الرطوبة ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٧٠م الطبعة الأولى .

(٩٢) المرجع السابق ٢٥ .

(٩٣) محمود رداوي ٨٥ ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .

(٩٤) محمد يوسف نجم فن القصة ٨ ، الطبعة الخامسة ، دار الثقافة - بيروت١٩٦٦م .

(٩٥) جريدة الرياض ، ع ٧١٧٧ في ١٤٠٨/٦/٢٨هـ .

(٩٦) لطيفة إبراهيم السالم ، الزحف الأبيض ، مطابع السامر بالرياض ، نشر نادي القصة السعودية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٩٧) لطيفة السالم ، الزحف الأبيض ١١ .

(٩٨) المرجع السابق ٣٠ .

(٩٩) لطيفة السالم ، الزحف الأبيض ٢٩ .

(١٠٠) المرجع السابق ٣٣ .

(١٠١) أبو نواس ، الديوان ٤٨٠ تحقيق عبدالمجيد الغزالي ، الكاتب العربي .

(١٠٢) المرجع السابق ٣٩ .

(١٠٣) المرجع السابق ٤٧ .

(١٠٤) لطيفة السالم ، الزحف الأبيض ٤٨ .

(١٠٥) لطيفة السالم ، الزحف الأبيض ٥٢ .

(١٠٦) المرجع السابق ٥٤ .

(١٠٧) المرجع السابق ٣٢ .

(١٠٨) رواه الترمذي وقال حسن غريب ،انظر منار السبيل ٢ الطبعة السابعة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٠٩) لطيفة ابراهيم السالم ، الزحف الأبيض ٦١ .

(١١٠) المرجع السابق ٤١ .

(١١١) المرجع السابق ٤٠ .

(١١٢) المرجع السابق ٣٤ .

(١١٣) لطيفة السالم الزحف الأبيض ٨ .

(١١٤) المرجع السابق ٣٤ .

(١١٥)المرجع السابق ١٣ .

(١١٦) المرجع السابق٨٠ .

(١١٧) المرجع السابق ٨٣ ، ٨٤ .

(١١٨) ترنيمة الرجل المطارد ، حسين علي حسين ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(١١٩) المرجع السابق ٩ .

(١٢٠) حسين بن علي ، ترنيمة الرجل المطارد ٢٣ .

(١٢١) المرجع السابق ٤١ .

(١٢٢) المرجع السابق ٤٣ .

(١٢٣) المرجع السابق ٨٣ .

(١٢٤) المرجع السابق ١٠٠ .

(١٢٥) د. خيرية السقاف ، أن تبحر نحو الأبعاد ، مجموعة قصصية في سبع وعشرين ومائة صفحة من القطع المتوسط ، صدرت عن دار العلوم للطباعة والنشر عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م . ضمنت المجموعة بعضا من القصص الذي نشر للمؤلفة في صحيفة الرياض ما بين عام ١٣٩٧هـ إلى ١٤٠١هـ .

(١٢٦) خيرية السقاف ، أن تبحر نحو الأبعاد ٥ .

(١٢٧) خيرية السقاف ، أن تبحر نحو الأبعاد ٦٩ .

(١٢٨) المرجع السابق ٦٩ .

(١٢٩) أحد المصانع النووية في روسيا وقد أصيب بعطب واشتعل مما أفزع العالم بل أدى إلى انتشار الإشعاع الذي مرض منه الكثير من الدول المجاورة .

(١٣٠) رواه الترمذي وقال حسن غريب انظر منار السبيل ٢/١٦٠الطبعة السابعة .

(١٣١) المرجع السابق ١٥ .

(١٣٢) المرجع السابق ٤٢ .

(١٣٣) المرجع السابق ٣٣ .

(١٣٤) المرجع السابق ٣٤ .

(١٣٥) المرجع السابق ٤٥ .

(١٣٦) المرجع السابق ٤٠ .

(١٣٧) محمد صادق دياب ، ساعة الحائط تدق مرتين ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م طبعت في دار العلم للطباعة والنشر ، جدة

(١٣٨) محمد صادق دياب ، ١٦ حكاية من الحارة من المقدمة .

(١٣٩) محمد صادق دياب ، ساعة الحائط تدق مرتين ١٢ .

(١٤٠) المرجع السابق ٢٤ .

(١٤١) المرجع السابق ٣٢ .

(١٤٢) المرجع السابق ٤٧ .

(١٤٣) فاطمة الزهراء محمد سعيد ، الرمزية في أدب نجيب محفوظ

(١٤٤) المرجع السابق ٣٨ .

(١٤٥) سعد الدوسري ، انطفاءات الولد العاصي ، كتبت خلال عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، عن دار المريخ للنشر ، ريع هذه المجموعة لصالح جمعية رعاية الأطفال المعوقين بالرياض .

(١٤٦) فصول مجلد ٢ ، عدد ٤ سبتمبر ١٩٨٢م .

(١٤٧) سعد الدوسري ، انطفاءات الولد العاصي ٩ .

(١٤٨) المرجع السابق ٩ .

(١٤٩) المرجع السابق ١١ .

(١٥٠) المرجع السابق ١٥ .

(١٥١) المرجع السابق ١٨ .

(١٥٢) المرجع السابق ٧٧ .

(١٥٣) المرجع السابق ٩٨ .

(١٥٤) المرجع السابق ٩٩ .

(١٥٥) المرجع السابق ٩ .

(١٥٦) المرجع السابق ١٠ .

(١٥٧) المرجع السابق ١٦ .

(١٥٨) المرجع السابق ٣٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٥٩) المرجع السابق ١٤٢ .

(١٦٠) المرجع السابق ١٠٤ .

(١٦١) المرجع السابق ٢٧ .

(١٦٢) المرجع السابق ٢٧ .

(١٦٣) المرجع السابق ٦٧ .

(١٦٤) المرجع السابق ٧٣ .

(١٦٥) المرجع السابق ٢٣ .

(١٦٦) المرجع السابق ٢٢ .

(١٦٧) المرجع السابق ٣٥ .

(١٦٨) المرجع السابق ١٤٥ .

(١٦٩) المرجع السابق ٥٩ .

(١٧٠) المرجع السابق ٢٩ .

(١٧١) عبدالعزيز مشري ، أسفار ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(١٧٢) زغبته : الوعاء الذي يحمل الراجل أمتعته فيه .

(١٧٣) عبدالعزيز المشري ، أسفار السرور ٢٨ .

(١٧٤) المرجع السابق ٢٤ .

(١٧٥) الجنبية : خنجر حادة .

(١٧٦) المرجع السابق ٤٠ ، ٤١ .

(١٧٧) المرجع السابق ٥٦ .

(١٧٨) المرجع السابق ٥٩ .

(١٧٩) المرجع السابق ١٣ .

(١٨٠) بهية بوسبيت ، وتشاء الأقدار (قصص قصيرة) الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ، الرياض . تضم عشرين أقصوصة في سبع ومائة صفحة من الحجم المتوسط .

(١٨١) المقدمة .

(١٨٢) بهية بوسبيت ، وتشاء الأقدار ١١ .

(١٨٣) المرجع السابق ١٠٥ .

(١٨٤) المرجع السابق ٢٣ .

(١٨٥) المرجع السابق ٢٧ .

(١٨٦) المرجع السابق ٥٩ .

(١٨٧) المرجع السابق ٧٤ .

(١٨٨) المرجع السابق ٧٥ .

(١٨٩) المرجع السابق ٨ .

(١٩٠) المرجع السابق ٢٢ .

(١٩١) المرجع السابق ٣١ ، ٣٢ .

(١٩٢) المرجع السابق ١٠٠ ، ١٠١ .

(١٩٣) مريم الغامدي " أحبك ولكن..." صدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م وهو الكتاب الرابع والأربعون من الكتب التي أصدرها النادي .

(١٩٤) المرجع السابق ٦ .

(١٩٥) المرجع السابق ١٠ .

(١٩٦) المرجع السابق ٢٤ .

(١٩٧) المرجع السابق ٢٦ .

(١٩٨) المرجع السابق ٢٧ .

(١٩٩) المجع السابق ٤٨ .

(٢٠٠) المرجع السابق ٥٩ .

(٢٠١) المرجع السابق ١٥ .

(٢٠٢) المرجع السابق ٢٤ .

(٢٠٣) المرجع السابق ٢١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس المصادر والمراجع

* **إبراهيم الناصر**
  - أرض بلامطر، الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م الدار السعودية للنشر
  - عيون القطط ، الطبعة الأولى١٤١١هـ - ١٩٩٠م ،دار الصافي للثقافة
  - غدير البنات ، ١٣٨٥هـ - الناشر العربي : محمد فايق أحمد
* **أحمد السباعي** ، خالتي كدرجان ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨٠م ، تهامة للنشر .
* **أحمد عبدالغفور عطار** :
  - أريد أن أرى الله ، الطبعة الأولى١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م ، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ
  - حجا يستقبل نفسه ، الطبعة الأولى عام ١٩٧٩م .
* **أميمه خميس** ، والضلع حين استوى ، الطبعة الأولى١٤١٣هـ - دار الأرض - الرياض .
* **بهية بوسبيت** ، وتشاء الأقدار ، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر .
* **تركي ناصر السديري** ، حادي بادي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد .

- **جار الله الحميد :**
  - أحزان عشبة برية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م منشورات دار الوطن ٠
  - وجوه كثيرة أولها مريم ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م نادي القصة السعودي ٠
- **حسن حجاب الحازمي** ، ذاكرة الدقائق الأخيرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ دار الطائر للنشر والتوزيع ٠
- **حسين علي حسين** ، ترنيمة الرجل المطارد ، دار العلوم ،الطبعة الأولى١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م٠
- **خليل إبراهيم الفزيع** ، سوق الخميس ، ١٣٩٩هـ - ١٣٧٩م شركة مكة للطباعة والنشر ٠
- **خالد اليوسف :**
  - أزمنة الحلم الزجاجي ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م الطبعة الأولى ٠
  - إليك بعض أنحائي -١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - مطابع الفرزدق التجارية٠
  - الراصد الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م مطابع الفرزدق التجارية ٠
  - مقاطع من حديث البنفسج ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م مطابع الفرزدق التجارية ٠
- **خالد باطرفي** ، محاولة ٢ ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م شركة المدينة للطباعة والنشر ٠
- **د٠ خيرية السقاف** ، أن تبحر نحو الأبعاد ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م دار العلوم للطباعة والنشر ٠
- **الدائر للإعلام المحدود** ، معجم الأدباء والكتاب ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م مطابع الفرزدق التجارية ٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

* **رقية الشبيب :**
  - الحزن الرمادي ، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م مطابع الفرزدق
  - حلم ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م مطابع الفرزدق التجارية.
* **زهرة سعيد المعيني** ، التحديق في عيون حالمة ، الطبعة الأولى دار العلم للطباعة .
* **رشاد رشدي** ، فن القصة القصيرة ، ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة الأنجلو المصرية .
* **سحمي ماجد الهاجري** ، القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م النادي الأدبي بالرياض .
* **سعد الدوسري** ، انطفاءات الولد العاصي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دار المريخ بالرياض .
* **د. سيد حامد النساج**
  - اتجاهات القصة المصرية القصيرة ، دار المعارف بمصر .
  - القصة القصيرة ، دار المعارف بمصر ضمن سلسلة كتابك .
* **شريفة الشملان** ، مقاطع من حياة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الجمعية العربية للثقافة والفنون .
* **عبدالحفيظ الجازع الشمري** ، رحيل الكادحين ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م دار الشبل للنشر والتوزيع .
* **عبدالسلام طاهر الساسي** ، الموسوعة الأدبية ، الجزء الثالث ، مطبوعات نادي الطائف .
* **عبدالعزيز صالح الصقعبي :**
  - الحكواتي يفقد صوته ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٣م مطبوعات الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون .
  - لاليلك ليلي ولا أنت أنا ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م مطبوعات نادي الطائف الأدبي .

* **عبدالعزيز مشري :**
- أسفار السروي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م صدر عن الجمعية السعودية للثقافة والفنون ٠
- بوح السنابل ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م مطبوعات نادي الطائف الأدبي ٠
- الزهور تبحث عن أنية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م إصدارات نادي جيزان الأدبي ٠

* **عبدالكريم الخطيب** ، شجرة الليمون ، القاهرة مطبعة الحضارة العربية٠
* **عبدالكريم النمله** ، نزوة ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م مطابع الإشعاع
* **عبدالله باخشوين** ، الحفلة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م مطابع شركة دار العالم للطباعة والنشر ٠
* **عبدالله باقازي :**
- الخوف ٠٠والنهر ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م دار الصافي للثقافة والنشر ٠
- الزمردة الخضراء ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م مطابع الصفا ، بمكة المكرمة ٠

* **عبدالله بوقس** ، خدعتني بحبها ، الناشر تهامة ، الطبعة الأولى١٤٠١هـ ١٩٨١م ٠
* **عبدالله السالمي** ، مكعبات الرطوبة ، الطبعة الأولى ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ٠
* **عبدالله سعيد جمعان** ، تذكرة عبور ، الطبعة الأولى١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م مطبوعات نادي الطائف الأدبي ٠
* **عبدالله عبدالرحمن جفري :**
- الجدار الآخر ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م الدار السعودية للنشر والتوزيع ٠
- الظمأ ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ نشر مؤسسة تهامة ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- **عبدالله عبدالرحمن العتيق :**
  - أكذوبة الصمت والدمار ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ دار الرياض للنشر والتوزيع .
- **عصام خوقير** ، زغرودة بعد منتصف الليل ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م تهامة - جدة .
- **علوي طه الصافي** ، مطلات على الداخل ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م دار الصافي للثقافة والنشر .
- **علي محمد الحبرتي** ، حلم فوق الماء ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م دار الحبرتي للنشر والتوزيع .
- **غالب حمزة أبو الفرج :**
  - ألقاك غدا ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م دار الآفاق الجديدة .
  - ذكريات لاتنسى ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م نشر المكتبة الصغيرة .
  - الضياع الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، دار الآفاق الجديدة.
  - ليس الحب يكفي ، الطبعة الرابعة ،دار الآفاق الجديدة بيروت .
- **فاطمة داود الحناوي** ، أعماق بلا بحار ، الطبعة الأولى جمعية الثقافة والفنون بجدة .
- **فؤاد عبدالحميد عنقاوي** ، أيام مبعثرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م مطبوعات تهامة .
- **فهد العتيق :**
  - مسافات للمطر الآتي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م نادي القصة السعودي .
  - عرض موجز لمقتل مغني الرصيف ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

- **فوزية الجار الله** ، في البدء كان الرحيل ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ، نادي القصة السعودي ٠
- **قماشة السيف** ، محادثة برية شمال شرق الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م نادي القصة السعودي ٠
- **قماشة عبدالرحمن العليان :**
  - خطأ في حياتي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ تهامة للنشر والتوزيع ٠
  - الزوجة العذراء ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م مطابع الجمعة٠
- **محمد منصور الشقحاء :**
  - الإنحدار ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م مطبوعات نادي الطائف الأدبي ٠
  - البحث عن ابتسامة ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م الدار السعودية للنشر ٠
  - حكاية حب ساذجة ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م الدار السعودية للنشر جدة٠
  - الغريب ، الطبعة الأولى ، منشورات دار مجلة الثقافة ٠
  - مساء يوم في آذار ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ١٩٨١م تهامة جدة٠
  - انتظار الرحلة المغاة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م مطابع الفرزدق الرياض ٠
- **لطيفة إبراهيم السالم** ، الزحف الأبيض ، الطبعة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م الجمعية العربية للثقافة والفنون ٠
- **لقمان يونس** ، من مكة مع التحيات ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م دار الشروق ٠
- **د٠ مراد عبدالرحمن مبروك** ، الظواهر الفنية في القصة القصيرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م الهيئة المصرية للكتاب ٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

* د. **محمد زغلول سلام** ، دراسات في القصة العربية الحديثة ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، الطبعة الأولى .
* د.**محمد زكي العشماوي** ، المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة ، دار النهضة العربية .بيروت .
* **محمد صادق دياب** ، ساعة الحائط تدق مرتين ، مجموعة قصص قصيرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
* **محمد صالح الشنطي** ، القصة القصيرة المعاصرة في المملكة العربية السعودية دراسة نقدية ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م دار المريخ بالرياض.
* **محمد عز الدين التازي** ، السرد في روايات محمد زفزاف ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨م دار النشر الغربية .
* **محمد علوان** ، الخبز والصمت ، مجموعة قصصية ، دار المريخ ـ الرياض القاهرة ١٩٧٨م الطبعة الأولى .
* **محمد علي رزق** ، ظاهرة الابتذال في اللغة والنقد ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٢م مطبوعات تهامة .
* **محمد علي قدس** ، النزوع إلى وطن قديم ، وقصص أخرى الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م الدار السعودية للنشر والتوزيع .
* **ناصر العديلي** ، الزمن والشمس اللذيذه ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م دار العلوم للطباعة والنشر .
* **نجوى خالد مؤمنة** ، أخيرا ضاعت مجاديفي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م دار العلم .
* **ولسن ثورنلي** ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ١٩٩٢م كتابة القصة القصيرة ، ترجمة د . مانع حماد الجهني النادي الأدبي الثقافي بجدة .
* **يوسف المحيميد** ، ظهيرة لامشتاة لها ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م مطابع الشريف .

من مطبوعات نادي القصيم الأدبي ببريدة

م	اسم الكتاب	المؤلف
١	أبو مسلم الخرساني	د. صالح بن سلميان الوشمي
٢	شعر بني تميم في العصر الجاهلي	د. عبد الحميد المعيني
٣	اللغة العربية بين القاعدة والمثال	للشيخ ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
٤	مع الشعراء	للشيخ حمد الجاسر
٥	الشعر السعودي بين التجديد والتقليد	د. محمد بن سعد بن حسين
٦	ديوان شعر ترانيم الرمال	للاستاذ عبد العزيز النقيدان
٧	النزعات الشعرية عند جماعة ابوللو	د. احمد بن عبد الله اليحي
٨	ديوان شعر " أنوار ذهبية "	للاستاذ عبد السلام هاشم حافظ
٩	سوق الأدب والنقد في القصيم	للأستاذ دريد يحي الخواجه
١٠	مشاهدات في بلاد العنصريين	للشيخ محمد بن ناصر العبودي
١١	مأدبة الله في الارض	للأستاذ احمد محمد جمال
١٢	اتجاهات الشعر المعاصر في نجد	د. حسن بن فهد الهويمل
١٣	المختار (١) من مسابقات النادي	اللجنة الثقافية بالنادي
١٤	المناحي العلمية عند القزويني	د. علي بن عبد الله الدفاع
١٥	عنصر اللون في شعر المتنبي	د. عبد الله احمد باقازي
١٦	مع الواضح في كتاب الأشبيلي	للمرحوم عبد القدوس الأنصاري
١٧	المختار (٢) من محاضرات النادي	اللجنة الثقافية بالنادي
١٨	رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	د. محمد بن عبد الله السلمان
١٩	البنوك الأسلامية بين النظرية والتطبيق	د. عبد الله بن محمد الطيار
٢٠	نقد على نقد	د. عبد الله العلي الحامد
٢١	حديث الأفك	د. عبد الحليم بن ابراهيم العبد اللطيف
٢٢	الصين يأجوج ومأجوج	للشيخ عبد العزيز المسند

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٣	النبع الذي لاينضب	للاستاذ ابراهيم البليـــــهي
٢٤	العقل الأدبي (جزئين)	لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
٢٥	العناصر البينية في الفن القصصي بالمملكة	للدكتور طلعت صبح السيد
٢٦	المختار (٣) دراسات ادبية ونقدية	اللجنة الثقافية بالنادي
٢٧	المختار (٤) دراسات اسلامية	اللجنة الثقافية بالنادي
٢٨	عندما تلتهب القوافي	اللجنة الثقافية
٢٩	محمد هاشم رشيد شعره وشاعريته	د. رزق محمد داود
٣٠	المقاييس البلاغية والنقدية في نقد اشعار العرب	د. محمد بن سعد الدبل
٣١	اللغة الادبية والتعبير الأصطلاحي	د. احمديوسف علي
٣٢	المراهقة مفترق الطرق بين الاستقامة والانحراف	د. ابراهيم بن حمود المشيقح
٣٣	الأحكام التي تخالف فيها المرأة الرجل	د. سعد بن شارع الحربي
٣٤	من اداب الشعوب الأسلامية	د. محمد بن عبد الرحمن الربيع
٣٥	الأتجاه الفني في تراثنا النقدي والبلاغي	للأستاذ حمد بن عبدالعزيزالسويلم
٣٦	الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة	د. مسعد عيد العطوي
٣٧	المختار (٥) دراسات نقدية عن الشاعر الأميري	اللجنة الثقافية بالنادي (تحت الطبع)
٣٨	المختار(٦) من محاضرات النادي	اللجنة الثقافية بالنادي (تحت الطبع)
٣٩	المختار (٧) من محاضرات النادي	اللجنة الثقافية بالنادي (تحت الطبع)

فهرس الموضوعات

المقـــــدمة ١

تمهيـــــــد ٥

تعريف القصة القصيرة ٩

الفصل الأول : مراحلهـا ١١

- المرحلة الأولـى ١١

- المرحلة الثانيـة ٢٦

- المرحلة الثالثـة ٣٧

- حواشي المقدمة والفصل الأول ٥٢

الفصل الثانـــي : البناء الفني ٥٦

- شمولية القصص ٥٧

- اللغـــة ٦٤

الأبتـــــذال ٦٤

الأخطاء اللغوية والنحوية ٦٧

- بناء القصـة ٧٠

الاستهلال ٧٠

الحوار ٧٣

حواشي الفصل الثاني ٧٩

الفصل الثـــــالث : الاتجاهات الفنية ٨٢

١- الســـرد ٨٣

٢- التقريرية ٩٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- التفتيت ١١٦
- المفارقة ١١٨
- الإيحاء ١٢٣
٤- الرمزية ١٤٠
حواشي الفصل الثالث ١٤٤
الفصل الرابع : دراسة فنية لبعض المجموعات القصصية ... ١٤٥
خمالتي كدرجان ١٥٥
جحا يستقبل نفسه ١٥٨
البعث ١٦٤
من مكة مع التحيات ١٦٨
ذكريات لا تنسي ١٧٥
خدعتني بحبها ١٨٢
الظمأ ٢٠٠
الخبز والصمت ٢١١
مكعبات الرطوبة ٢١٧
الزحف الأبيض ٢٣١
ترنيمة الرجل المطارد ٢٤٠
أن تبحر نحو الأبعاد ٢٥٣
ساعة الحائط تدق مرتين ٢٥٩
انطفاءات الولد العاصي ٢٧٤
أسفار السروي ٢٨١
وتشاء الأقدار ٢٩٤
أحبك ولكن ٣٠١
حواشي الفصل الرابع ٣٠٩
فهرس المصادر والمراجع ٣١٦
فهرس الموضوعات .....

مطابع السلمان للأوفست
بريدة - ت ٣٢٤٣٨٣٥